كلية الدراسات العليا

برنامج الماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان

رسالة ماجستير بعنوان:

الأسرى الفلسطينيون وجيل الغضب: قراءة أصلانية في السيادة وتقرير المصير

Palestinian Prisoners and the Generation of Rage: an Indigenous Reading of Self Determination and Sovereignty

مُقدمة من:

أماني حسين سراحنة

بإشراف د. رنا بركات

2020م

كلية الدراسات العليا

برنامج الماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان

رسالة ماجستير بعنوان:

الأسرى الفلسطينيون وجيل الغضب: قراءة أصلانية في السيادة وتقرير المصير

Palestinian Prisoners and the Generation of Rage: an Indigenous Reading of Self Determination and Sovereignty

مُقدمة من:

أماني حسين سراحنة

لجنة المناقشة:

د. رنا بركات

د. عبد الرحيم الشيخ

د. علاء العزة

قُدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الديمقراطية وحقوق الإنسان من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت– فلسطين

2020م

رسالة ماجستير بعنوان:

الأسرى الفلسطينيون وجيل الغضب: قراءة أصلانية في السيادة وتقرير المصير

Palestinian Prisoners and the Generation of Rage: an Indigenous Reading of Self Determination and Sovereignty

مُقدمة من:

أماني حسين سراحنة

إشراف:

د. رنا بركات

تاريخ المناقشة: 15 حزيران 2020م

أعضاء لجنة النقاش:

د. رنا بركات(رئيسةً) .....

د. عبد الرحيم الشيخ (عضواً) .....

د. علاء العزة (عضواً) .....

قُدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الديمقراطية وحقوق الإنسان من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت- فلسطين

2020م

قائمة المحتويات

- شكر وامتنان ..... ح
- ملخص الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية ..... د

الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي

- المقدمة..... 1
- الإشكالية 4
- حد المصطلحات 5
- أهمية الدراسة 10
- المنهجية 10
- الصعوبات 11
- موقع/موقعية الباحثة 23
- مراجعات الأدبيات 24

الفصل الثاني:(جيل انتفاضة الأقصى) ومعركة الإضراب عن الطعام عام 2004م

- المواجهة الأولى 78
- (جيل انتفاضة الأقصى) ومرحلة أوسلو 82
- استعادة المواجهة والانخراط في انتفاضة الأقصى 84
- (جيل انتفاضة الأقصى) – مرحلة الاعتقال ومواجهة السجن 90
- ما قبل معركة الإضراب عن الطعام عام 2004م 99
- إضراب عام 2004م قرار ومسار 101
- أزمة قيادة.....112
- حجم المشاركة وأثرها على مصير الإضراب 114
- أدوات عنف السجان 120
- الحوار والمفاوضات 125

- الخلاصة 130

الفصل الثالث: استعادة محاولة الإضراب عن الطعام وممارستها

- (إضراب الجبهة الشعبية عام 2011م) 132
- صفقة (وفاء الأحرار)..... 138
- الإضرابات الذاتية 139
- الذات في مواجهة الجماعة.....142
- قرار الإضراب الذاتي وتجاوز القرار الجماعي 145
- منهج الرفض في مسار الإضراب الذاتي..... 151
- الخلاصة..... 155

الفصل الرابع: إضراب عام 2012م المواجهة الثانية لـ(جيل انتفاضة الأقصى)

- إضراب عام 2012 المواجهة الثانية لـ (جيل انتفاضة الأقصى)..... 157
- معركة (العهد والوفاء)..... 159
- العزل الانفرادي ومستوياته في بنية السجن 161
- العزل في رواية الأسرى 164
- التخطيط لمعركة (العهد والوفاء)..... 169
- واقع قرار وقيادة 176
- حركة فتح، صراع وقرار 178
- سجن (بئر السبع إيشل) نموذجاً 183
- استعادة الانتصار... نهاية معركة إضراب عام 2012م.....184
- إضراب عام 2014م ما قبل معركة 188
- إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م..... 191
- مستشفيات الاستعمار الصهيوني بوصفها أداة عنف 195

- نهاية المعركة بعد أكثر من 60 يوماً..... 197
- خلاصة 201

الفصل الخامس: إضراب الكرامة عام 2017م

- استعادة المحاولة والممارسة، زنزانة رقم (28).....205
- خارطة قرار الإضراب 210
- تحديات استعادة المحاولة والممارسة عام 2017م 220
- مصير الإضراب.....226
- الخلاصة..... 231

قائمة المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية 233-245

شكر وامتنان

ليس سهلا أن أختزل وجود كثيرين في رحلة البحث عبر سطور متعددة، أوجه خلالها شكري وامتناني، بدءاً من الأسرى المحررين الذين شكلوا صوتها ورسالتها، والأسرى والأسيرات كافة في السجون الصهيونية، إلى الملهمة والداعمة لي د. رنا بركات، وعائلتي، وصديقاتي، وزملائي في العمل، والأساتذة في لجنة النقاش: د. عبد الرحيم الشيخ، ود. علاء العزة.

سأخصص هنا جزءاً من الحديث عن تجربتي مع د. رنا، تلك التجربة الخاصة، التي أسهمت في خلق كثير من مسارات التحول على الصعيد المعرفي؛ فالدعم الذي تلقيته من د. رنا بركات يتجاوز التوصيف الأكاديمي، الذي يتمثل في (الإشراف)، وهنا، ربما كان علينا إعادة النظر في هذا التوصيف، إلى جانب توصيف المسمى (مشروع البحث)؛ فقد كشفت لي هذه الرحلة كيف أدى دعم د. رنا إلى خلق معرفة أصيلة دافئة أعيشها، لا أكتبها فقط، أسهمت في تحقيق المعنيين اللذين شكلا البحث: المحاولة والاستمرارية؛ فقد عملت د. رنا، في كل محطة من محطات الرحلة، على بث روح المحاولة والاستمرارية بقدر عالٍ من الجهد، وكثافة من الأسئلة لا تنتهي؛ فكان حجم الأسئلة التي تركتها كفيلاً بصنع تحولات كبيرة في رحلتي، انعكست بصورة كبيرة على عملي وأدائي في قضية الأسرى، ورؤية مساراتها من جوانب خارج النمطية، والصورة التي راكمتها تجربة العمل سابقاً، فعاشت الأسئلة معي مسارات اكتشاف جديدة للكلمات، واللغة، والحوارات، وكثير من التفاصيل، وغالباً، لم أكن أصل تماماً إلى إجابات واضحة؛ إذ إنني لم أسع في واقع الأمر إليها ، كيف لا، والسؤال كان كفيلاً بصنع خيط الاستمرار والمحاولة، وهذا الأهم؟

إلى د. رنا التي قضت معي لحظات طويلة من النقاشات الكثيفة، علمتني عبرها خير معلمة، فكان البحث بمثابة ماجستير جديد، وبخاصة مع جملة مشكلات نظام التعليم، التي تمثل مشكلات عامة لدى أغلب الطلبة؛ فقد

كانت إشكاليات عمليات التعلم جزءاً من هذه النقاشات، كما في: مشكلات الكتابة، واللغة، والقدرة على بناء بحث طويل نعيشه ويعيش فينا، ويصبح معنى الزمن مرهوناً بقدرتك على الاستمرار في الرحلة وتخطي العقبات.

نعم، لقد واجهت صعوبات كثيرة، أطرح جزءاً كبيراً منها في الجزء الأول من البحث، فضلاً عن صعوبات التعلم الموروثة عبر النظام التعليمي، التي تبقى موضوعاً هامشياً في رسائل الطلبة، على الرغم من أهمية طرحه في المسارات والمحاولات والرحلات البحثية الأكاديمية كلها.

فليس من السهل أن تحظى بداعم صادق وأمين في رحلة البحث، فشكراً للقدر الذي وضع د. رنا في طريقي، رغم قسوة النقد الذي تلقيته في كثير من الأحيان، وسأذكر دائماً أن هذا البحث يبقى مسودة قابلة للتطوير والتعديل والتحسين، والأهم من ذلك كله أنّ هذا البحث هو الباب الأول لي لأرتقي سلم الكتابة البحثية، وأسير في طريق الاستمرار والمحاولة.

ملخص الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية

تسهم هذه الدراسة في فتح مسار جديد في محاولة فهم السيادة وتقرير المصير الفلسطيني، عبر معانٍ خاصة تفرضها المحاولة وممارسة[1] المواجهة واستمرارها في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وتتخذ الدراسة محاولة الأسرى الفلسطينيين في المواجهة، وممارستهم لها، واستمرارهم فيها، كنموذج –المواجهة بالإضراب عن الطعام– في منظومة السجن وبنيتها العنيفة، عبر قراءة تاريخية لتجربة أسرى (جيل انتفاضة الأقصى)[2]، منذ عام (2004م – 2017م)، بما في هذه التجربة من إشكاليات، تكشفها الاستمرارية، التي بدورها تبين أثر التراكم فيها؛ فالأدبيات والدراسات التي تناولت السيادة وتقرير المصير بقيت محصورة بما فرضته المركزية الأوروبية، والقومية، والمنظومة الحقوقية الدولية، بما في ذلك تبني النمطية السياسية الفلسطينية هذه التوجهات؛ ما يجعل هذه الدراسة تأتي –كما ذكرت أعلاه– مساراً جديداً لقراءة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني.

وقد اعتمدت هذه الدراسة بصورة أساسية على الرواية الشفوية؛ بوصفها أحد أهم المداخل لجلب رواية الأسير الفلسطيني (جيل انتفاضة الأقصى)، وتحليلها، عبر مقابلات حوارية مع أكثر من (30) أسيراً محرراً، إلى جانب الملاحظة، فضلاً عن جزء من أرشيف الصحف الفلسطينية، وأرشيف جمعية نادي الأسير الفلسطيني، على وجه الخصوص، بما فيه من مراسلات كثيفة تعكس تفاصيل رحلة كل إضراب ومساره ومصيره في الفترة التاريخية الممتدة منذ

[1] سيتكرر مفهومان أساسيان في هذه الدراسة: المحاولة والممارسة، ولا يمكن فهمهما إلا بتتبع تجارب الإضراب؛ بوصفه محاولة وممارسة في السيادة وتقرير المصير؛ فالمحاولة هي الأساس والطريق الموصل إلى لحظة الممارسة الفعلية ونضج القرار؛ إذ إنّ هناك كثيراً من المحاولات التي تبقى محاولة، دون أن تصل إلى مستوى الممارسة التي تبدأ بالقرار الحاسم في المواجهة، وما الممارسة ذاتها إلا سلسلة من المحاولات، التي يمكن أن تنتج ممارسات أو تبقى محاولات، وهي ما تعطي معنى الاستمرارية؛ ما يعني أنّ المحاولة والممارسة والاستمرارية ترتبط بخيط متصل؛ لتشكل المعنى الذي تسعى إليه الدراسة حول السيادة وتقرير المصير.

[2] جيل انتفاضة الأقصى: هو صانع الانتفاضة و(وقودها)؛ بوصفها أول مواجهة مسلحة يخوضها منذ وعيه بأهمية المواجهة؛ كيف لا، وهو من يصف نفسه عبر روايته الخاصة (بجيل انتفاضة الأقصى) التي فرضت مصيراً خاصاً، له روايته الخاصة، وعلى الرغم من حضور روايات من أجيال أخرى، تعكس امتداد تجارب الإضراب، إلا أن هذه الدراسة تتكئ أساساً على رواية (جيل انتفاضة الأقصى) ، الذي عبر عن نفسه بصيغة أخرى أعطت معنىً خاصاً له هي(جيل الغضب).

عام (2004م – 2017م)؛ إذ يُشكل الأرشيف، على وجه الخصوص، داعماً أساسياً للتحليل التاريخي للرواية، فضلاً عن اعتماده على المنهج الفكري الحي الذي فرضه الأسير وليد دقة؛ بوصفه محاولة وممارسة في منظومة السجن.

وتستند القراءة التاريخية عبر رواية (جيل انتفاضة الأقصى) بما تحمله من خصوصية، إلى زمنٍ خاص، تفرض معناه تجارب الإضراب عن الطعام؛ بوصفها سيادة على الزمن، وتستمد نفسها من رحلة المواجهة، التي بدأت فعلياً منذ وعيه الأول المرتبط بانتفاضة الحجارة عام 1987م، وما تلا تلك المرحلة من مسار جديد فرضته مرحلة التسوية، إلى أن شكلت انتفاضة الأقصى عام 2000م، فرصتهم لاستعادة المواجهة، واستمرارها لاحقاً في منظومة السجن بأشكالها المختلفة، بما فيها تجربة الإضراب عن الطعام .

وتكشف الدراسة عن التحولات التي أصابت تجارب الإضراب عن الطعام، بما تعكسه من ممارسة للسيادة وتقرير المصير الفلسطيني، وبخاصة منذ عام 2004م، الذي شكّل هزة جذرية لمسار التجربة، بما فيها من قراءة لتحولات بنية العنف الاستعمارية الصهيونية الاستيطانية، المتمثلة في منظومة السجن، وكيف أثرت هذه التحولات على محاولة الأسرى وممارستهم تجربة الإضراب عن الطعام لاحقاً.

وتعكس رواية أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) لغة خاصة، بما تحمله من غضب، يصب في مسارين: أحدهما نحو المستعمِر (السّجّان)، وآخر نحو القيادة، وتبرز محاولة استعادة تجربة الإضراب عن الطعام عبر إضراب الشعبية عام 2011م، والإضرابات الذاتية[3] بكثافتها عام 2012م، إضافة إلى محاولة جديدة لمعنى الاستمرارية في السيادة وتقرير

[3]تميل أغلب الأدبيات التي تناولت الإضرابات الذاتية سابقاً، إلى وصفها بالإضرابات الفردية، لكن، ولأسباب أساسية، جعلت الدارسة الإضرابات الذاتية وصفاً مستخدماً في هذه الدارسة، في مقدمتها التمييز بين الفرد الذي رسخته المنظومة القائمة؛ بوصفه فرداً بعيداً عن مدى فعاليته، فضلاً عن كون هذه المنظومة قد أسهمت بصورة أساسية في ترسيخ بنية الاستعمار، ومنها الاستعمار الاستيطاني؛ ما يجعل هذه الدراسة تتخذ من الذاتية وصفاً فاعلاً في مواجهة الاستعمار الاستيطاني، ولا يخفى على أحد، أنَّ بنية السجن (الحداثي) تسعى إلى تحويل الأسرى إلى أفراد، وتستهدف أي فعل جماعي؛ ما يجعل الأسير (الفرد) ممارساً فاعلية الذات الجماعية؛ بفعل المواجهة، وبكلمات أخرى، فإنَّ مواجهته منظومة السجن (الحداثي) ما هو إلا كسر للهدف الذي تسعى إليه.

المصير، بما فيها من إشكاليات، تتوجت فعلياً في إضراب عام 2012م، ولاحقاً في استعادة المواجهة من جديد في إضراب عام 2014م، وما آل إليه من مصير.

ويُشكل إضراب الأسرى عن الطعام عام 2017م، كثافة تجربة (جيل انتفاضة الأقصى)؛ لما فرضه من تساؤلات وتناقضات كثيفة في منظومة السجن، أسهمت في ترسيخ كثير من التحولات التي أصابت تجربة الإضراب عن الطعام؛ فكانت كاشفاً ومِصفاةً لواقع المواجهة ونوع (العلاقاتية)، بما فيها علاقة الأسير بالسّجّان، وعلاقة السجن الصغير (الداخل) بالسجن الكبير (الخارج)، ودور هذه المركبات في تشكل مصير المواجهة ومسارها، فضلاً عن الأهمية الأساسية في بقاء المحاولة والممارسة للمواجهة، إلى جانب استمرارها الذي أسهم في الكشف عن الإشكاليات المتربصة بها، وأهمها نوع القيادة.

وتتضمن رحلة هذه الدراسة في محتواها خمسة فصول:

الفصل الأول: يتضمن الإطار النظري والمنهجي للدراسة؛ إذ تستند إليه الفصول اللاحقة، إضافة إلى قراءة الصعوبات والتحديات التي رافقت رحلة البحث، ومراجعة أدبيات الأسرى حول تجربة الإضراب عن الطعام تاريخياً؛ بوصفه ممارسة ومحاولة مستمرة منذ عام 1967م – 1993م.

الفصل الثاني: يعكس حكاية (جيل انتفاضة الأقصى) عبر روايتهم المتأصلة بوعي المواجهة، التي تمثل امتداداً تاريخياً لها منذ انتفاضة الحجارة، مروراً بمرحلة التسوية، ووصولاً إلى انتفاضة الأقصى، ورحلة السجن، حيث تبدأ فيه رحلة (جيل انتفاضة الأقصى) في المواجهة عبر تجربة الإضراب عن الطعام عام 2004م، بما فيه من قراءة مسار التجربة، وتحدياتها، وصراعاتها، ومصيرها، وخصوصيتها التي تستمدها من رواية الجيل، وما تحمله من معانٍ خاصة للسيادة وتقرير المصير الفلسطيني عبر المحاولة والممارسة والاستمرارية، إلى جانب قراءة التحولات التي فرضتها، بما فيها من إشكاليات.

الفصل الثالث: يتضمن هذا الفصل محاولة استعادة تجربة الإضراب عن الطعام، عبر إضراب فرضته الجبهة الشعبية عام 2011م، إلى جانب كثافة الإضرابات الذاتية التي بدأت منذ أواخر عام 2011م وتصاعدت مع بداية عام 2012م، وعملت محركاً لعودة تجربة الإضراب عن الطعام إلى الواجهة، بما فرضته هذه المحاولات من قراءة خاصة وأهمية عرّت تراجع المواجهة الجماعية، التي ارتبطت بجملة الإفرازات التي خلفها إضراب عام 2004م.

الفصل الرابع: يعكس هذا الفصل الامتداد الناجم عن استعادة المواجهة، التي نضجت في محاولة إضراب عام 2012م، الذي سقطت فيه التجربة الجماعية للأسرى؛ إذ شاركت فيه التنظيمات، دون أسرى حركة التحرير الوطني الفلسطيني –فتح– بوصفه تنظيماً، وفيه حقق الأسرى منجزات كان أهمها إنهاء قضية العزل الانفرادي، التي شكلت أبرز أدوات العنف، التي دفعت الأسرى إلى الإضراب عن الطعام، كما يتناول هذا الفصل، على وجه الخصوص، رواية أسرى حركة فتح، التي أخذت قراراً بعدم المشاركة؛ لما عكسته روايتهم من كثافة في التناقضات والصراعات التي تُعاني منها الحركة والأثر الحاصل على فكرة المصير؛ لتعود المحاولة من جديد في إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م، بما رافقه من تحديات وعوامل أسهمت في تشكيل مصيره، وما اثاره من تعقيدات وتساؤلات كثيرة.

الفصل الخامس: يتناول هذا الفصل الحديث عن إضراب الكرامة عام 2017م؛ بوصفه نتاجاً لاستعادة المحاولة والممارسة واستمرارهما؛ إذ مرت الإضرابات السابقة في رحلة طويلة، أفرزت خلاصات مهمة، نقلتها الرواية، وبخاصة فيما يتصل بمعنى السيادة وتقرير المصير الفلسطيني، الذي يستند معناه إلى استمرار المحاولة والممارسة، كيف لا، وقد شكل إضراب عام 2017م، خلاصة تاريخية للتجارب السابقة، بما يحمله من إفرازات تراكمية، وكثافة في التساؤلات عن الراهن، وما يعكسه من وضوح أكثر لرواية (جيل انتفاضة الأقصى)، رواية الغضب؟

Abstract:

This study attempts to forge a new path in trying to understand the concepts of sovereignty and self-determination in the Palestinian context. I argue that understanding the continuity of resistance as a praxis requires an understanding of the structural specificities of zionist settler colonialism in Palestine. This study focuses on working to conceptualize the continuity of confrontation by Palestinian prisoners as a model towards understanding the intricacies of resistance and reading resistance historically. Specifically, reading hunger strikes as confrontation over time sheds light on how we can read both resistance and the violence of settler colonial structures of the prison system. I argue that the methodological assertion of continuity while reading the experiences of "generation of rage" (the al Aqsa intifada generation, 2004-2017) provides us with a deeply historical reading that helps us understand changes over time of both hunger strikes and the settler colonial prisoner system.

Because so much of the existing literature on sovereignty and self-determination emerge from a Euro-centric and international human rights paradigm, current trends in Palestinian literature concerned with the topic reflect this conceptual dominance. This study reflects an attempt to break this intellectual hegemony and read Palestinian sovereignty and self-determination through a different lens. Orality, oral history and ethnographic research has long been one the most important entry points for research among Palestinian prisoners. In this vein, this study is based on an analysis of the direct account of prisoners from the generation of rage themselves. Over the course of three years of fieldwork, I conducted interviews with more than 30 freed prisoners. In addition, I worked in digital archives of the Palestinian newspapers and, most importantly, in the archives of the Palestinian Prisoner's Club Association, which include an extensive compilation of correspondences reflecting the details of each strike in the historical period between 2004-2017. The Palestinian Prisoner's Club Association's archive, in particular, is an indispensable tool for a historical analysis of the

hunger strikes. More over, both in terms of methodology and framing, I have relied on the living approach as read through the experiences and vast intellectual production of WalidDaqqa and his long and ongoing experience as a Palestinian prisoner in Israeli prison complex.

This historical reading is based on a specific understanding of temporality informed by the experiences of hunger strikes as a means of resistance over time, culminating in the experiences of "al-Aqsa Intifada generation." Specifically, many from this generation described their experience as one of rage derived from their journey of confrontation, which began effectively in their initial political consciousness associated with the first Intifada, the stone uprising in 1987, leading to the subsequent phase of a new path of partial political accommodation that ended in the uprising of Al-Aqsa in 2000 and their opportunity to restore confrontation. Imprisonment and experiences in the prison system in various forms, including the experience of the hunger strikes, cannot be read as a journey outside of political life and action, thereby complicating the outside/inside dichotomy of prisoner studies in Palestine.

The study reveals the transformations that have affected the experiences of the prisoners' movement and the tactical use of hunger strikes, specifically since 2004, which constituted a radical shake-up, including in the zionist settler colonial structure of the prison system, and how these shifts affected the attempt and practice of prisoners with hunger strikes. The account of the prisoners of Al-Aqsa Intifada reflects a special language of rage, directed both towards the colonizer (the prison system) and the current Palestinian leadership.

This study covers several iterations of the hunger strikes culminating in the most recent collective hunger strike in 2017. The intensity of the 2017 strike highlights all of the contradictions accumulated over time and the formation of the "Generation of Rage," raging against, in their words, the dilemmas caused by the current political context in Palestine. Massive questions remain lingering in the stories of those who

participated in the strike revealing both the transformations of the prisoner movements and the changing nature of confrontation with zionist prison complex. Most prominently, the political context in Palestine in 2017 affected how the hunger strike as confrontation was both perceived and executed. Complications involved in the outside/inside prison complexes (in reference to the actual material prison and the prison of settler occupation) are both a result of past experiences and a potential way to read the present and the potentials of the future.

This thesis is composed of five chapters:

Chapter One: Introduction. This chapter includes the theoretical framework, methodology, and also includes a discussion about the challenges faced in the journey of the research project. In addition to a general a literature review of secondary sources, this chapter also includes a review of the literature specifically concerning prisoner hunger strikes in Palestine between 1967 and 1993.

Chapter Two: Presents the political journey of al Aqsa Intifada generation beginning with their political awakening in the first Intifada (1987), through the era of political compromise into the the Second Intifada/Aqsa Intifada (2000) and their entry and experiences in prison. This chapter includes the stories of the the 2004 Hunger Strike as political fighters became a prisoners and assumed a new yet similar fight against Zionist oppression. Including in the ethnographic details of these stories are the struggles and transformations in the prisoner's stories, in particular concerning the conceptual formations of sovereignty and self determination as it relates to the changing nature of the politics of prisons and imprisonment.

Chapter Three: This chapter covers the concept of continuity as it connects the hunger strike of 2004 with that of subsequent individual hunger strikes, mainly from folks in the PFLP (Palestinians for the Liberation of Palestine Party) political party. This

chapter also covers how these individual strikes paved the way for the general hunger strike from the end of 2011 into 2012.

Chapter Four: This chapters covers the continuity of confrontation as it covers the accomplishments of the 2012 hunger strike including the issues of solitary confinement, which represent the worst of settler violence in Palestine in prisons. This chapter also reveals the stories of prisoners from Fateh who decided not to participate in the hunger strike, but nevertheless paved the way to the seeds of the 2014 hunger strike that was mainly concerned with administrative detention.

Chapter Five: By way of conclusion, this chapter focuses on the hunger strike in 2017 as a kind of culmination of the experiences, concepts, dilemmas and possibilities of huger strikes of the longer historical trajectory. This chapter presents a number of questions about that particular hunger strike, the history that brought it about, in particular the ongoing conceptual questions regarding sovereignty and self determination, and the present and presence of a narrative of rage.

الفصل الأول

الإطار النظري والمنهجي

المقدمة

بقيت محاولة قراءة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني رهناً لما فرضته المنظومة الدولية لحقوق الإنسان وخطابها، التي مهدت الطريق لتجذر الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين عبر منظومة القوى، كما أن النمطية السياسية الفلسطينية، بقيت قيد الرهن ذاته، ولم تسع في واقع الأمر إلى تعزيز محاولة الفلسطيني عبر مسارات جديدة في فرض معنىً خاص للسيادة وتقرير المصير الفلسطيني، رغم كثافة تاريخ المواجهة الفلسطينية، التي أعطت بعداً مستمراً ومعنىً خاصاً لمحاولات السيادة وتقرير المصير وممارستهما، بما فيهما من إشكاليات، منها محاولات المواجهة التي فرضتها الحركة الأسيرة الفلسطينية؛ بوصفها ممارسة مستمرة في منظومة السجن الاستعماري الصهيوني الاستيطاني، وأبرزها تجربة الإضراب عن الطعام.

وقد شكلت تجربة الإضراب عن الطعام في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، أحد أبرز أنواع المواجهة وأشدها كثافة؛ فقد فرضها الأسير (الفاعل) في منظومة السجن الاستعماري الصهيوني الاستيطاني، وأسهمت في الكشف عن كثافة التحولات التاريخية على مستوى الجماعة والذوات، وأدوات عنف المستعمِر؛ لتكون هذه التجربة بمثابة المِصفاة لقراءة تاريخ المواجهة الفلسطينية وإشكالياتها عبر الفاعلين فيها، ولتفتح بكثافتها مدارك ومحاولات جديدة؛ لقراءة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني (الأسير) انطلاقاً من السجن الصغير إلى السجن الكبير[4]، وذلك عبر رواية أسرى (جيل انتفاضة الأقصى)، التي تمثل محاولة مستمرة في وجه الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وما رافقها من

[4] انظر في: عبد الرحيم الشيخ.حكاية سر الزيت. المقولة الخامسة: حكايات السجن الصغير والسجن الكبير. 2018م. https://bit.ly/2H8ztjz

تحديات وتحولات هائلة ومركبة، ارتبطت بواقع التحولات التي فرضها السياسي الفلسطيني، والظروف التي أحاطت به في كل مرحلة من مراحل التاريخ؛ لتسير محاولة القراءة هذه من الأسفل إلى الأعلى.

وتنبع أهمية هذه المحاولة من كونها محاولة خارج إطار الفهم الذي فرضته بنية المنظومة الدولية الاستعمارية، تحاول الدارسة عبرها خلق التساؤل عن إمكانية الوصول إلى فهم فلسطيني جديد للسيادة وتقرير المصير؛ ففي كل مرحلة من مراحل تاريخ الحركة الأسيرة التي احتفظت بهذا التوصيف حتى عام 2004م –أي ما قبل المواجهة الأولى لـ(جيل انتفاضة الأقصى)، التي تُعَدُّ تجربة أولى لهم في مواجهة السّجّان عبر الإضراب عن الطعام– فرضت تجارب الإضراب عن الطعام الجماعية تحولات تاريخية ومعانيَ خاصة للعلاقة بين الأسير والسّجّان، ومنحت الوجود معنىً خاصاً، ولا يخفى على أحد أنَّ المواجهة لطالما شكلت معنى الوجود والزمن في بنية السجن، والأهم من ذلك هو كشفها المستمر عن تحولات أكبر في المصير الفلسطيني.

وقد فرض أسرى (جيل انتفاضة الأقصى)، عبر تجربتهم في الإضراب عن الطعام، رواية خاصة لمحاولتهم السيادة وتقرير المصير، شكلتها مجموعة من العوامل المركبة تاريخياً بدءاً من لحظة تكون وعيهم الأول[5] بضرورة المواجهة في انتفاضة الحجارة عام 1987م، مروراً بمرحلة الاصطدام بواقع التسوية في مرحلة أوسلو، حتى فرصة المواجهة المسلحة واستعادة الوعي الأول، في انتفاضة الأقصى عام 2000م؛ فهذه الرحلة بما فيها من تفاصيل، تنقلنا من محاولة قراءة تقرير السيادة وتقرير المصير، إلى ما يتصل بهما من إشكاليات، عبر تجربة الإضراب عن الطعام.

[5] يُعَدُّ الوعي مفهوماً إشكالياً لدى الدارسين والباحثين؛ ما يجعل هذه الدراسة ترتكز على مفهوم معين مرتبط بسياق المواجهة الفلسطينية، أي وعي الإنسان الفلسطيني بضرورة مواجهة المستعمِر.

وتنبع خصوصية هذه التجربة منذ عام 2004م، التي تشكلت فيها رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، بكشفها عن بنية السجن (الحداثوي)[6]، بما فيه من عنف (غير مرئي)، شكل نقطة تحول مصيرية؛ إذ ترك هذا الإضراب قواعد جديدة للمواجهة بما شكلته نواتج التجربة، وهذه القواعد لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تفكيك مسار كل إضراب ورحلته، وما كشفه من صراعات كبيرة بين الأسير والسّجّان، والأسير وقيادة التنظيم، إضافة إلى مجموعة من العوامل التي شكل السّجن الكبير (الخارج) عاملاً أساسياً في مساره ومصيره.

وعلى الرغم من وجود إجماع في رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، على الضربة التي تلقوها نتيجة إضراب عام 2004م، إلا أن بقاء المحاولة في مواجهة السّجّان لم تتوقف، وبقيت تواجه مسار هبوط وصعود؛ لتعود من جديد في محطة استعادة للمحاولة، فرضها أسرى الجبهة الشعبية عام 2011م، مع بروز الإضرابات الذاتية، التي جاءت رداً على حالة الترهل والتراجع التي أصابت المواجهة الجماعية، وفيها ذهب الأسرى إلى معنى جديد في تقرير المصير عبر الخلاص الذاتي، وقد عكست رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، الذي شكلت حركة فتح السواد الأعظم منه، لغة غضب وخذلان، كما يصفها (ف.ع): *"عرابيد الغضب"*[7]، غضب نحو المستعمِر، وغضب آخر على القيادة؛ لتُشكل هذه اللغة مساراً مهماً في محاولة فهم المصير الذي وصل إليه الأسير الفلسطيني، وواقع هذه التجربة في بنية السجن الاستعماري الصهيوني الاستيطاني؛ بوصفه واقعاً ممتداً من السجن الكبير.

وقد تعاظمت لغة الغضب، بصورة غير مسبوقة في إضراب الكرامة عام 2017م، حينما استعاد الأسرى تجربتهم في الإضراب عن الطعام؛ لتكشف مجدداً خلاصة المصير الذي وصل إليه الأسرى، وعلى وجه الخصوص، حركة

---

[6] يقدم وليد دقة في (صهر الوعي)، في إعادة تعريف التعذيب (العنف الحداثوي)، محاولة جديدة، عبر تجربة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؛ بوصفها محاولة تفكيك بنية العنف وأدواته في السجون الصهيونية الاستيطانية، حيث تُسهم المواجهة بصورة أساسية في محاولة الكشف هذه، وهو يتناول السجن الحداثي؛ بوصفه صورة مصغرة عن بنية العنف التي يفرضها الاستعمار الصهيوني الاستيطاني على الإنسان الفلسطيني في المعازل الكبيرة أو السجن الكبير، وبأدوات عنفه الحداثوية، وسعيه الدائم إلى وأد أية حالة جماعية، وتعزيز الحالة الفردية؛ لإحكام قدرته على السيطرة، والتحكم في الأسرى.

[7] مقابلة مع (ف.ع) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت في مخيم الأمعري. رام الله. عام 2018م.

فتح، وما هو إلا امتداد لحالة الترهل والتفكك والتشظّي التي وصلت إليها الحركة،[8] كما كشفت هذه التجربة عن مصير الأسرى عموماً، عبر صراعات وتناقضات كثيفة؛ كيف لا، وقد تركت هذه التجربة كثافة عالية من أسئلة راهنة ممتدة تاريخياً، حول العلاقة بين السّجّان والأسير، والعلاقة بين الأسير وقيادة التنظيم؟ ما يشكل أحد أبرز الإشكاليات التي واجهت المحاولة والاستمرارية، وما تحملانه عبر هذا البحث من معنى ممارسة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني.

الإشكالية

تُشكل الدراسة مدخلاً للتساؤل عن إمكانية تحقيق السيادة وتقرير المصير؛ بوصفها محاولة في الحالة الفلسطينية، بما فيها من إشكاليات، عبر زاوية جديدة خارج إطار توجهات المركزية الأوروبية، والمنظومة الدولية الحقوقية الراهنة، والنمطية السياسية في معالجتها السيادة وتقرير المصير، وذلك بقراءة تاريخية متعمقة في تجربة الإضراب عن الطعام لدى الأسرى الفلسطينيين (جيل انتفاضة الأقصى) في السجون الاستعمارية الصهيونية الاستيطانية، انطلاقاً من كونها واحدة من أهم أدوات المواجهة.

وتركز الدراسة على المحاولة المستمرة عبر هذا النوع من المواجهة في تحقيق السيادة وتقرير المصير، وتبيان الإشكاليات التي تواجهها، في مقاربة نظرية مع تجربة الشعوب الأصلانية، ليس من باب إسقاط التجربة، بل لإيجاد العوامل المشتركة فيما بينها، في محاولة فهم السيادة وتقرير المصير في بنية الاستعمار الاستيطاني.

وتعتمد الدراسة على نواتج التجربة الأصلانية حول السيادة وتقرير المصير في مقاومة الاستعمار الاستيطاني، وأهمها بقاء المحاولة والممارسة والاستمرارية في الكشف عن أدوات جديدة، تحرر السيادة وتقرير المصير من القالب الاستعماري، عبر منهج الرفض والاستمرارية، الذي يطرحه فرانز فانون، إلى جانب المنهج الأساسي في هذا البحث، المتمثل في منهج الأسير وليد دقة؛ بوصفه محاولة وممارسة حية في منظومة السجن.

[8] أنظر في: سامر إرشيد. حركة (فتح) والسلطة الفلسطينية. تداعيات أوسلو والانتفاضة الثانية. مواطن. المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. 2007م. رام الله. ص 67- ص 113.

وتتمحور هذه الدراسة حول إشكالية رئيسة مبنية على التساؤل الآتي: كيف يمكن قراءة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني؛ بوصفها محاولة وممارسة مستمرة عبر تجارب خارج التوجهات التي فرضتها المنظومة الدولية والنمطية السياسية الفلسطينية، كما في أنموذج تجربة الأسرى الفلسطينيين (جيل انتفاضة الأقصى) في الإضراب عن الطعام؛ بوصفها مواجهة في منظومة السجن؟

ويتفرع من هذه المحاولة تساؤلات أخرى متعددة، منها:

- كيف كشفت تجارب الإضراب عن الطعام، عبر القراءة التاريخية لها، عن إشكاليات السيادة وتقرير المصير في الحالة الفلسطينية؟
- وكيف أسهمت الاستمرارية وبقاء محاولة تجارب الإضراب عن الطعام في إعطاء بعد جديد وخاص لممارسة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني في منظومة السجن؟

حد المصطلحات

تقرير المصير:

هو أحد المفاهيم الأساسية التي ارتبطت بإرادة الشعوب نحو سعيها إلى الخلاص، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في تحديد منشئه، إلا أن أغلب الدراسات قد ربطت المفهوم بالمركزية الأوروبية، ونشوء الدولة القومية الحديثة، وظهور فلاسفة العقد الاجتماعي في القرن الثامن عشر.

وقد شكلت الإعلانات الصادرة عن الثورتين الأمريكية والفرنسية نقطة تمحور مهمة في ظهور المفهوم، وظل تقرير المصير مبدأً سياسياً، إلى أن استقر في ضوء القانون الدولي مبدأً قانونياً.

ومن ثَمَّ صعد المفهوم بوضوح مع حركة الاستعمار وتصفيته بعد الحرب العالمية الأولى، عبر مطالبات الشعوب المستعمَرة بالاستقلال والتحرر، وصولاً إلى تحول حق تقرير المصير إلى قاعدة آمرة، وأحد المبادئ الأساسية للأمم المتحدة لحماية جسد الدولة القومية، في إطار محددات وقيود معينة.[9]

وتسعى الدارسة في هذه الدراسة إلى الوصول إلى مفهوم تقرير المصير؛ بوصفه محاولة وممارسة خارج إطار ما فرضته المركزية الأوروبية، والنظام الدولي، والسياق الاستعماري، وذلك عبر ممارسات أخرى للسيادة في إطار مواجهة الاستعمار الاستيطاني.

السيادة:

هي أقدم المفاهيم تاريخياً، وملازمة لحركة المجتمعات البشرية، وسابقة لمفهوم تقرير المصير، ويمكن القول إنَّ نشوء الدولة القومية الحديثة يمثل المحطة المفصلية في ظهور أهمية السيادة؛ بوصفها المكون الأساسي للدولة.

وقد ربطت أغلب الدراسات مفهوم السيادة بما فرضته المركزية الأوروبية، ونشوء فلاسفة العقد الاجتماعي، بدءاً من فلسفة هوبز، ومروراً بلوك، ويُعَدُّ روسو أول من نادى بفكرة أن تتحول السيادة في يد الأمة، محدثاً بذلك نقلة أساسية في مفهوم السيادة على صعيد ممارستها، وذهب هنسلي في كتابه (السيادة) إلى وصف الدولة بأنها ضرب من خيال الفلاسفة، كما أكد برتراند بادي أنَّ السيادة لم تكن موجودة دائماً، بل إنها تنتمي إلى حقبة تاريخية محددة، وأنها جاءت في الأصل مفهوماً من أجل التفريق بين الداخل والخارج.[10]

[9] عدنان حسين. حق تقرير المصير القضية الأرمنية نموذجاً، لبنان: مركز الدراسات الأرمنية. 1998م.

[10] هاشم آل إبراهيم. سيادة الدولة بين مفهومها التقليدي وظاهرة التداول. جامعة الشرق الأوسط. رسالة ماجستير.ص 23. 2013م.

أما ظهور السيادة بصورة واضحة؛ فقد كان في الإعلان الفرنسي، وظل يتصاعد في إطار التحولات، وعلاقات القوى، إلى أن أصبح جزءاً من النظام الدولي، مع ضرورة الإشارة إلى أن السيادة شكلت السند الأساسي لتقرير المصير، عبر العلاقة التشابكية القائمة بينهما؛ ليحقق كل منهما الآخر.

ومما تجدر الإشارة غليه، أنَّ هذه الدراسة تطرح مفهوم السيادة بوصفه محاولة وممارسة خارج إطار ما فرضته المركزية الأوروبية والنظام الدولي، وذلك في محاولة لقراءة السيادة وإمكانية تحقيقها من زاوية مختلفة، في مواجهة بنية الاستعمار الاستيطاني.

الاستعمار الاستيطاني:

هو أحد أشكال الاستعمار الأوروبي الحديث، الذي جاء في سياق ظهور الدولة القومية الحديثة في ضوء المركزية الأوروبية، ويمكن التأكيد على الاستعمار الاستيطاني الذي مارسته قديماً الإمبروطوريات الكبرى؛ لإنجاز مشاريعها التوسعية، إلا أن تلك الممارسة كانت أقرب في حينها إلى الاستعمار الاستغلالي؛ إذ كانت جُلّ أهدافه اقتصادية[11].

غير أنَّ الممارسة الأوروبية للاستعمار الاستيطاني قد أضافت له توسعاً في أهدافه، حتى وصلت إلى محاولة إزالة السكان الأصلانيين، وفي إطار الإسهامات المعرفية حول الاستعمار الاستيطاني، يصفه باتريك وولف بأنه بنية وليس حدثاً؛[12]ما يجعله مختلفاً عن بقية أنواع الاستعمار التي مارستها أوروبا؛ فقد تجاوزت أهدافه القائمة تاريخياً الأهداف الاقتصادية إلى أهداف تتلخص في محو السكان الأصلانيين، ونقلهم من أرضهم.

[11] وليد حباس. الاستعمار الاستيطاني نحو إطار نظري جديد. مجلة قضايا إسرائيلية. العدد 66. مركز مدار. ص 115. 2017م.

[12] Patrick wolf. Settler Colonialism and the Elimination of the native: 402. 2006.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ تجربة (الهنود) في الأمريكيتين، قد شكلت باباً معرفياً مهماً لفهم بنية الاستعمار الاستيطاني، عبر الممارسات التي وقعت بحق تلك الأمم والشعوب آنذاك، وامتدت أهمية هذه التجربة في محاولة التصدي له ومواجهته، وبذلك فإن الاستعمار الاستيطاني يشترك مع بقية أشكال الاستعمار بممارسته العنف، إضافة إلى ممارسات مركزية تصف بنيته، تتمثل في الابادة والإحلال والإقصاء.

السجن الحداثي

تشكل السجون أداة مركزية لدى السلطات في عملية الضبط والسيطرة والهندسة، عبر السيطرة على الجسد، التي تجعلها قادرة على التحكم والتغلغل في المجتمعات، والأهم من ذلك، الاستمرار في فرض سيطرتها، وهذا هو المفهوم الأساسي الذي ارتكزت عليه المعرفة الأوروبية الحديثة في الكشف عن السجن، الذي يمثل واحدة من أهم مؤسسات السيطرة، وما تحمله من تفاصيل كثيفة وأدوات متعددة، تمكنت من الكشف عنها، وأهمها المحاولة في تطويع الجسد وإخضاعه،[13] وعلى الرغم مما تركته هذه المحاولة المهمة في بنية السجون الحداثوية من تفكيك، إلا أنها قد أظهرت قصوراً في تناول السجون في بنية الاستعمار الاستيطاني، التي تستمد خصوصيتها من طبيعة أدوات العنف، وأدوات المواجهة، واستمرارها، وفاعليتها؛ ففي الوقت الذي تؤكد المعرفة الحداثوية محاولتها تطويع الجسد، وتحويل الأسرى إلى أفراد في سبيل السيطرة، فإنَّ تجارب المواجهة الحية الجماعية، في بنية الاستعمار الاستيطاني، ومنها الصهيوني، تظهر أسساً معرفية جديدة، في محاولة لمواجهة أدوات السيطرة والتطويع، التي تكشف بدورها محاولات المواجهة في بنية هذا العنف وكثافته.[14]

---

[13] أنظر في: ميشيل. فوكو. المراقبة والمعاقبة –ولادة السجن. بيروت. مركز الإنماء القومي. 1990م.

[14] أنظر في: فراس جابر. السجن (الإسرائيلي) كمفهوم زماني ومكاني – دراسة في المفهوم والأثر. جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير. ص 22– ص 30. 2010م.

ويصوغ وليد دقة في (صهر الوعي) تعريفاً للتعذيب، يستمده من تجربة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؛ بوصفها محاولة لتفكيك بنية العنف وأدواته في السجون الصهيونية الاستيطانية؛ إذ تُسهم المواجهة بصورة أساسية في محاولة الكشف هذه، وهو يتناول السجن؛ بوصفه صورة مصغرة عن بنية العنف، التي يفرضها الاستعمار الصهيوني الاستيطاني على الإنسان الفلسطيني في المعازل الكبيرة أو السجن الكبير.[15]

الإضراب عن الطعام

تشكل تجربة الإضراب عن الطعام، واحدة من أهم التجارب الإنسانية التي تمثل نوعاً من الاحتجاج والرفض، أو وسيلة للمطالبة بالحقوق، وأعطت بذلك أبعاداً لمعنى الوجود، كيف لا، وهي شكل من أشكال المقاومة؟ فهي تقاوم ظروف السجن، محولة الجسد عبر مقاومة رغبة الطعام إلى السلاح الأساسي في المعركة.

وقد تركت تجارب الإضراب عن الطعام المتعددة وقعاً تاريخياً مهماً، منها "الإضراب الشهير الذي نفذه المهاتما غاندي في الهند، ضد الاستعمار البريطاني؛ فقد كان من أوائل متبعي منهج الإضراب للمطالبة بالحقوق، فضلاً عن رفعه مطلب استقلال بلاده، وخروج الاحتلال منها، عبر إضرابه فترات متتالية"[16]، إضافة إلى إضراب السجناء الإيرلنديين، الذين تركوا إرثاً خاصاً في تجربة الإضراب الجماعي، وكذلك تجربة السجناء الأصلانيين في الأمريكتين؛ حيث تشير إليها أنجيلا ديفيس في مذكراتها،[17]وصولاً إلى تجربة الأسرى الفلسطينيين الحية والمستمرة في مواجهة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؛ بوصفها واحدة من أهم أشكال المقاومة والنضال في السجون الصهيونية،[18]فضلاً عن

---

[15]أنظر في: وليد دقة. صهر الوعي، أو في إعادة تعريف التعذيب. مركز الجزيرة للدراسات. قطر. الدوحة. 2010م.

[16]علا المصياتي. الموت احتجاجًا من أجل الحياة.. أبرز حالات الإضراب عن الطعام في العالم. https://bit.ly/3k0c6qJ

[17]أنظر في: مذكرات أنجيلا ديفيس. القدس. دار الكتاب. 1977م.

[18]MalakaShwaikh. Dynamics of Prison Resistance Hunger Strikes by Palestinian Political Prisoners in Israeli Prisons. 2018.

تجارب العشرات من النشطاء والمناضلين في العالم العربي ضد السلطات الحاكمة؛ فقد ظهرت تجربة الإضراب عن الطعام بصورة كثيفة مع اندلا ع الثورات العربية، المعروفة بثورات الربيع العربي.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في محاولتها البحث عن إمكانية تحقيق السيادة وتقرير المصير الفلسطيني، وفهمهما من زاوية مختلفة، خارجة عما شكلته وفرضته المركزية الأوروبية، والمنظومة الدولية الراهنة، والتوجهات النمطية للسياسة الفلسطينية، عبر المحاولة والممارسة للسيادة وتقرير المصير في تجربة الإضراب الجماعي للأسرى الفلسطينيين، وفهم إشكالياتهما عبر قراءة تاريخية لتجربة (جيل انتفاضة الأقصى) في الإضراب عن الطعام، اعتماداً على روايتهم الخاصة، وذلك في الأعوام ما بين (2004م – و2017م).

وتؤرخ الدراسة، عبر الرواية الشفوية والأرشيف، كثافة من التفاصيل المتصلة بالحالة الفلسطينية، عبر مستوى آخر، يتمثل في الولوج إلى تجارب حية في مواجهة المستعمِر، كالإضراب عن الطعام الذي يُشكل ذروة المواجهة في السجون الصهيونية الاستيطانية، وترتكز على رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، التي بقيت على الهامش في الدراسات والإنتاجات الفكرية الماثلة في أدبيات الأسرى، وهي محدودة جداً، فأغلبها، وكما ستستعرض الدارسة لاحقاً، قد جاء محاولات أدبية لتجارب ذاتية للأسرى الفلسطينيين.

المنهجية

تستند الدراسة إلى منهج التحليل التاريخي، عبر الرواية الشفوية للأسرى المحررين في تجاربهم التي عاشوها في الإضراب عن الطعام، عبر مقابلات حوارية، وعلى الأرشيف المستمد من أرشيف الصحف، وأرشيف جمعية نادي الأسير الفلسطيني بصورة أساسية، كما ترتكز هذه الدراسة على تجارب حية متعددة، تتقاطع مع تجربة المواجهة، منها التجربة الأصلانية حول السيادة وتقرير المصير في بنية الاستعمار الاستيطاني، التي تعكسها الأدبيات والدراسات

الأصلانية، إضافة إلى أدبيات الأسرى الفلسطينيين، بما فيها من رواية تاريخية ذاتية وجماعية، كان جُلها يتخذ الرواية شكلاً له، كما تعتمد الدراسة على سرد الأحداث والقصص، وجاء قليل منها مبنياً على التحليل والإنتاج الفكري؛ ليكون الأسير وليد دقة، في تجربته الفكرية ومحاولته الأصيلة، التي انطلقت من جدران السجن، منهجاً حياً للبحث؛ فقد حاول تفكيك السجن (الحداثوي)، وعمل على إعادة تعريف التعذيب والعنف في بنية السجون الاستعمارية الصهيونية الاستيطانية، إلى جانب كثير من الزوايا الفكرية التي أنتجها على مدار سنوات أسره المستمرة.

وقد اعتمدت الدارسة في تقسيم المراحل التاريخية على تجربة الإضراب عن الطعام، التي خاضها (جيل انتفاضة الأقصى)، التي امتدت طيلة الأعوام ما بين 2004م- 2017م.

الصعوبات

عن رحلة البحث

ربما تحتاج رحلة البحث إلى مجهود آخر من الكتابة إلى جانب الموضوع الرئيس، الذي اضطر الدارسة إلى تدوين يوميات البحث، فضلاً عن الكتابة الأكاديمية؛ لتتحرر منها، من جهة، ولتتمكن من الاستمرار في الكتابة، من جهة أخرى؛ فثقل القصص التي تابعتها بحكم البحث، وبحكم عملها في جمعية نادي الأسير الفلسطيني، بما فيه من حالة ترقب، وانتظار، ومتابعة، كل ذلك شكل تحدياً نفسياً كبيراً في الاستمرار في رحلة البحث، مع مجموعة من حكايات وقصص عاشتها مع أصحابها من الأسرى المحررين الذين قابلتهم لغرض البحث، مكونة بذلك تجربة ذات طابع خاص.

ففي عام 2018م، حينما قررت الدارسة العمل على إعداد البحث، والانطلاق في رحلته، كانت جمعية نادي الأسير الفلسطيني التي تعمل فيها، تواجه حرباً من أعلى هرم في السلطة الفلسطينية، ترتبط بصورة أساسية بدعم الجمعية لإضراب الأسرى عام 2017م، الذي فرض كثافة عالية من الأسئلة على مصيره ومصير من عاشوه بدمهم

وتضحياتهم، التي جوبهت بحروب داخلية، واستعمارية، وكان مصير جمعية نادي الأسير الفلسطيني –التي ظلت تقوم بعملها التاريخي في دعم صمود الأسرى الفلسطينيين، ورفع قضيتهم إلى المستوى الشعبي والدولي– أن تعرضت لحصار مالي من السلطة، وتشديد على عملها، ومراقبته، وسحب طاقم المحامين العاملين فيها؛ لتشكل هذه الحرب، بداية حرب كبيرة على قضية الأسرى، عبر إحداث تحولات في عمل مؤسسات الأسرى؛ إذ فقد معظم زملاء الدارسة العمل في المؤسسة، وأصبح دور الباقين فيها محفوفاً بكثير من التحديات، مع الأخذ بعين الاعتبار، أنَّ أغلب العاملين في المؤسسة هم أسرى محررون، قضوا سنوات في سجون الاستعمار الصهيوني، ومنهم من قاد إضرابات تاريخية عن الطعام، ومنهم من ينتمي إلى (جيل انتفاضة الأقصى)، ممن واجهوا حروباً لدعمهم رفاقهم في السجون، واليوم، يأتي هذا البحث؛ ليكشف عن روايتهم الخاصة على وجه التحديد.

واستمرت الصعوبات، وتوالت، عبر سلسلة من الحكايات والوقائع التي عاشتها الدارسة أثناء الكتابة والعمل، كانت أشدها قسوة، استشهاد صالح البرغوثي في نهاية عام 2018م، وذلك بعد بضعة اشهر على إجراء مقابلة مع والده عمر البرغوثي، في منزله في بلدة كوبر، ومن لا يعرف عمر البرغوثي (أبو عاصف)؟ فهو أحد الأسرى المحررين الذين قضوا قرابة 28 عاماً في السجون الصهيونية، على فترات، وهو شقيق الأسير نائل البرغوثي الذي يقضي أطول فترة اعتقال في تاريخ الحركة الأسيرة، ومدتها 40 عاماً، إذ بدأ عمر مواجهة جديدة بعد استشهاد نجله؛ فاعتقل مرتين، أثناء إعداد الدارسة هذا البحث، كما اعتقل نجله عاصم، وزوجته، وبقية أفراد عائلته، وهدمت قوات الاستعمار الصهيوني منزلي نجليه صالح وعاصم، ولا يزال عمر البرغوثي، حتى اليوم، يواجه السّجّان.

ومع بداية عام 2019م، كانت الدارسة تتابع الكتابة، وإذا بليلة طويلة تمضيها على أصوات الرصاص، وقنابل الصوت، والمواجهة العنيفة، في مخيم الأمعري في رام الله، وهي واحدة من بين ليال طويلة عاشتها على هذا النحو، وللمصادفة، فقد كانت الدارسة تُعِدُّ فصل إضراب الأسرى عن الطعام عام 2012م، وتتابع مراسلات سجن (عسقلان)، وتراقب –في الجهة المقابلة لمنزلها– عملية هدم منزل عائلة أبو حميد، التي يقبع خمسة من أبنائها في السجن

ذاته، ويقضون أحكاماً بالسجن المؤبد، وهكذا؛ فقد فرضت تلك المشاهد على الدارسة أن تقطع الكتابة بمشهد حي؛ لتقوم بعملها، وتبدأ بكتابة بيان صحفي عن ليلة هدم طويلة، وهي بالمناسبة، المرة الرابعة التي يتعرض فيها منزل عائلة أبو حميد للهدم.

ولم تتوقف إضرابات الأسرى عن الطعام أثناء إعداد الدارسة هذا البحث؛ فقد خاض عشرات من الأسرى، محاولات متعددة، كان جُلّها إضرابات ذاتية، نفذها الأسرى، من التنظيمات كافة، تصاعدت خلال عام 2019م، غير أنها لم تُسهم فعلياً في دفع الأسرى إلى مواجهة جماعية مجدداً بعد عام 2017م، على الرغم من محاولات بعض التنظيمات من فرض مواجهة جديدة، بأدوات أخرى غير الإضراب عن الطعام، كما ظهرت بعض القضايا التي فرضت نفسها آنذاك، منها محاولات السلب الجديدة التي فرضتها إدارة السجون الصهيونية، بقرار من أعلى هرم في السلطة الصهيونية، وهي ما عرفت بتشكيل لجنة (أردان)، منذ منتصف عام 2018م، وما تضمنته من توصيات جديدة للتضييق على الأسرى، وترسيخ واقع مبني على سياسة التصنيف والتفاوت بين السجون، وتعزيزه؛ لكسر أية محاولة لمواجهة جماعية.

وبعد شهر آب عام 2019م، شنت قوات الاستعمار الصهيوني حملة اعتقالات واسعة، واعتقلت على الأقل ثلاثة ممن أجرت الدارسة معهم مقابلات مطولة للبحث، لا يزال اثنان منهم رهن الاعتقال الإداري، ومما تذكره الدارسة في هذا المجال، اعتقال الأسير علي جرادات، الذي أجرت معه أولى مقابلاتها، وحدثها عن الكتاب الذي كان يُعِدُّه عن تجربته في الأسر، إضافة إلى قصص رفاقه الكثيفة في السجون الصهيونية، الذي خرج إلى النور، رغم أسره؛ ما يجعل هذه محاولة واحدة من آلاف المحاولات لمعنى السيادة وتقرير المصير الفلسطيني، وممارستهما في بنية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، التي تسعى الدارسة إلى تناولها في البحث.

وفي رحلة البحث هذه، التي امتدت منذ عام 2018م، استشهد (11) أسيراً، وبحكم عمل الدارسة، فقد راقبت رحلة عدد منهم عن كثب، إلى أن انتهت باستشهادهم، نتيجة التعذيب، أو سياسة الإهمال الطبي (القتل

البطيء)، فها هي الدارسة، تتوقف في ذروة الكتابة عند آخرهم، يمثلهم الشهيد نور البرغوثي، الذي قضى في 22 أبريل/نيسان 2020م، تاركاً أسئلة كبيرة، تجعل المرء عاجزاً عن صياغتها؛ فنور شاب فلسطيني لم يتجاوز الـ(23) عاماً، اعتقل عام 2017م، بعد مواجهته الاحتلال، وتعرض لتحقيق طويل، وتعذيب، حتى صدر في حقه حُكم بالسجن مدة ثماني سنوات، وتحرر بالشهادة أخيراً.

ومما تجدر الإشارة غليه، أنَّ البحث قد دفع الدارسة إلى الإصرار، ولأول مرة، على مشاركة حقوقيين في دخولهم إلى محكمة (عوفر) العسكرية؛ لحضور جلسة للأسير قسام البرغوثي؛ فالمشهد الذي كانت ترصده عن بعد، عبر عملها اليومي عن جلسات المحاكم، كان يفتقر إلى تكوين الصورة بتفاصيلها الكثيفة؛ فكانت المحكمة مسرحاً كبيراً يضم المستعمِر، والمستعمَر، والمحامين، والعائلة، والحقوقيين؛ ما دفع الدارسة إلى جمع مكونات أسئلة متعددة، تبحث عن إجاباتها في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني.

وحينما بدأت الدارسة تراجع مقدمة البحث، وتحاول الانتهاء من اختزال كثافة الصعوبات، هدمت قوات الاستعمار الصهيوني منزل عائلة الأسير قسام البرغوثي ليلة 11 أيار/مايو 2020م، في بلدة (كوبر)؛ ما جعلها تتوقف عن الكتابة في تلك الليلة، لتدوِّن –كما العادة– أحداث تلك الليلة بحكم عملها، وتحاول استعادة الاستمرارية، التي تستمد قوتها من قوة الرواية التي تركتها عائلة قسام، على وجه التحديد، حينما خرجت والدته وداد البرغوثي، مخاطبة المستعمِر: "كل البيوت لا تساوي عندي حذاء قسام"[19]، وهنا، تنتهي الدارسة، دون أن تنتهي رحلة البحث.

الأرشيف

جدَّد طرح التساؤل الذي لازم الباحثين في التاريخ الفلسطيني، عن مصير الأرشيف الفلسطيني، وإمكانية الوصول إليه؛ في سبيل الوصول إلى رواية فلسطينية دقيقة، ولما كان المرتكز الأساسي للبحث يتمثل في محاولة السيادة وتقرير المصير؛ فإنَّ رحلة التنقيب عن الأرشيف الخاص بتجربة الأسرى الفلسطينيين، قد فرضت أسئلة جديدة عن

[19] مقابلة مصورة مع وداد البرغوثي. والدة الأسير قسام البرغوثي. ليلة الهدم 11 أيار/ مايو 2020م، https://bit.ly/3lQNRvG

مصيره، والدارسة هنا، ليست بصدد التطرق إلى الحرب التي نظمها الاستعمار الصهيوني الاستيطاني لوأد الأرشيف والرواية الفلسطينية تاريخياً؛ فهذا موضوع يحتاج إلى جهد بحثي كبير، حاول بعضهم قراءته، بطرق وأبعاد مختلفة.[20]

ولا يخفى على أحد أنَّ *"ترميم الذاكرة المثقلة بالألم مثل صنع الفخار الذي يحتاج إلى الطين، والماء، والنار."*[21] ولما كان البحث يتناول رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، على وجه الخصوص؛ فقد ظنت الدارسة في البداية أنَّ الوصول إلى الأرشيف لن يكون أمراً عسيراً؛ لحداثة الفترة الزمنية، غير أنَّ رحلة التنقيب عنه كشفت مسارات أخرى، جعلت الدارسة ترصد ملاحظات وأسئلة عن واقع أرشيف الحركة الفلسطينية الأسيرة في سجون الاحتلال، فكان البحث عنه عبر أرشيف مؤسسات الأسرى بمثابة تحدٍّ كبير. وهنا، تخصص الدارسة الحديث عن مجموعة من الملاحظات التي تمكنت من تدوينها خلال البحث، الذي كان أشبه بعملية تنقيب سهلة وصعبة في آن واحد.

وقد تمكنت الدارسة من الحصول على إذن من جمعية نادي الأسير الفلسطيني،[22] المؤسسة التي تعمل فيها، يسمح لها باستخدام أرشيف المؤسسة لأغراض البحث، وفعلاً، بدأت رحلة التنقيب، وظنت في البداية أن الأمر ميسر؛ وبخاصة أنَّ الأرشيف موجود في المكان الذي تعمل فيه، وعلى الرغم من أنه قد سهَّل عليها الحصول على كثير من المعلومات، إلا أنه، ومقابل ذلك، كان بمثابة مستنقع من المعلومات غير المنظمة بطريقة واحدة، وإن كان هناك محاولة لتنظيمه، إلا أنها محدودة، وهنا تتحدث الدارسة فقط عن جمعية نادي الأسير، التي تحوي الآلاف من المراسلات والتقارير الخاصة بالأسرى، وجُلُّها تقارير زيارات المحامين الأسرى في السجون الصهيونية، وهذا لا يعني أن الأمر أفضل حالاً في المؤسسات الأخرى التي تتابع قضية الأسرى.

[20]MeznaQato, Forms of Retrieval: Social Scale, Citation, and the Archive on the Palestinian Left, International Journal of Middle East Studies (51) 2019, 312-315.

[21]صقر أبو فخر. نكبة ذاكرة: بقايا مركز الأبحاث الفلسطيني في الصحراء الجزائرية. مقال. ضفة ثالثة. https://bit.ly/3k8zgLM

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ عملية التصنيف المختلفة للتقارير قد شكلت عائقاً في الوصول إلى الأرشيف بسهولة، واستغرق الأمر شهوراً من أجل التنقيب عن شيء موجود، لكنه محفوظ بطريقة عشوائية، ونجد أن الأمر مع الوقت كان يتبدد، فالفترة الزمنية التي تناولها البحث تمتد بين عام 2004م وعام 2017م، وهي فترة كانت معالمها تتضح في الأرشيف مع الوقت، قياساً إلى السنوات الأولى؛ فقد أصبح الأرشيف أيسر، ومع ذلك، ظلت الإشكاليات المتعددة جاثمة، ليست إشكاليات خاصة، بل تعكس إشكاليات تاريخية في البحث عن الأرشيف الفلسطيني، فبعض المراسلات والتقارير صُنفت بناءً على السنوات، وبعضها وَفْقَ أسماء السجون، أو أسماء المحامين؛ ما يشكل جزءاً من التعقيد الذي واجهته الدارسة، وهذا الأمر لم يكن مختلفاً عن المؤسسات الأخرى، ولكن، بتفاوت حيناً، وأكثر تعقيداً أحياناً أخرى، وبما أنَّ الحديث عن أرشيف مؤسسة ارتبطت نشأتها بمرحلة تأسيس السلطة الفلسطينية؛ فإنَّ ذلك بطبيعة الحال يفرض فهم التحول الذي فرضته تلك المرحلة على الأرشيف، وانتقاله من أرشيف التحرير إلى أرشيف السلطة. [23]

و"*القائمون على أرشيف السلطة، كانوا واضحين وأكدوا لنا...أن أرشيفهم هو أرشيف الدولة، وليس أرشيف الثورة، وهذا أخطر ما في الموضوع... حيث إن الأرشيف يشطب المرحلة الممتدة من الثلاثينيات وصولا إلى العام 1994م، وقد يصير هذا الأرشيف بعد عدة سنوات نقطة الانطلاق للباحثين.*"[24] ومع ذلك، شكلت بعض المحاولات في أرشفة تاريخ الحركة الأسيرة، كما في مركز أبو جهاد للحركة الأسيرة[25]، خطوة مهمة، رغم التخوفات التي تتربص بمأسسة الأرشيف الفلسطيني بصورة عامة في ظل الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، والطابع الذي بنته هذه

[23] هنا سليمان. تأملات في الغياب: الأرشيف الفلسطيني من حركة التحرر إلى دولة أوسلو. https://bit.ly/344lYdB

[24] هنا سليمان تروي قصة البحث عن الأرشيف الفلسطيني الضائع. مقابلة. بيروت. شبابيك. https://bit.ly/2HfyEFh

[25] تأسس مركز ومتحف أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة في العام 1997م، بمبادرة من السيد فهد أبو الحاج، ودعم وتشجيع من أ.د . سري نسيبة رئيس جامعة القدس، وكان مقره في مدينة رام الله، إلى أن دشن المبنى الجديد والحالي للمركز في يوم 2007/4/16 م، على أرض جامعة القدس، ويُعَدُّ هذا المتحف أداة تعبيرية بالغة الدلالة على معاناة الأسرى والأسيرات الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي. تفاصيل أكثر https://aj-museum.alquds.edu/ar/

المؤسسات، وورثته من إشكاليات تتصل ببنية مؤسسات السلطة، عدا عن الإشكاليات المرتبطة بمؤسسات NGO، وواقع التمويل، ومساره؛ بوصفه جزءاً من عمليات السيطرة، والتحكم.

"فمنذ عام 1994م، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني، فهدأت عاصفة العودة، وبدأت فوراً عملية بناء المؤسسات... وكان الحافز الأساسي لبناء الأرشيف الوطني الفلسطيني، الإيمان العميق والراسخ بضرورة الحفاظ على ذاكرة شعبنا، ذاكرة كيانه الوليد."[26] فالأرشيف المتوافر في معظم مؤسسات الأسرى، التي بدأت عملها منذ أكثر ما يزيد عن 20 عاماً، أرشيف يبدأ منذ أعوام 2000م، وقبل ذلك ما هي إلا مجرد أوراق وملفات مبعثرة، لا تخضع لأية محاولة أرشفة حقيقية، والمحاولة التي يمكن إدراجها بوصفها محاولة أرشفة حقيقية، تتمثل في محاولة مركز أبو جهاد للحركة الأسيرة، وبالانتقال إلى مؤسسات أخرى، مثل مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان ورعاية الأسير[27]؛ فقد طورت فعلياً الأرشيف لديها، قياساً إلى مؤسسات الأسرى الأخرى، كنادي الأسير، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين.[28]

تقارير المحامين

جُلُّ مضامين المراسلات والتقارير، ما هي إلا مضامين قانونية، وحقوقية، وشهادات، أو مطالبات، وشكاوى، أو رسائل خاصة، ومتابعات في زوايا مرهونة بالفترة الزمنية وأحداثها، ولا تحتكم هذه التقارير إلى نموذج موحد، فكل محامٍ يجتهد في وضع نموذج للزيارة أو التقرير؛ إذ تتضمن مثل تلك التقارير تاريخ الزيارة، واسم الأسير،

---

[26] هنا سليمان. مصدر سبق ذكره.

[27] "الضمير مؤسسة أهلية فلسطينية مستقلة غير ربحية تعنى بحقوق الإنسان، أسسها في مدينة القدس المحتلة أواخر عام 1991 مجموعة من النشطاء والمهتمين بحقوق الإنسان لدعم ونصرة الأسرى، ومناهضة التعذيب عن طريق المراقبة والمتابعة القانونية والحملات التضامنية، يحيط بالضمير عدد من الأنصار والمتطوعين الذين يطلق عليهم (الضمائر)، وهم الأشخاص الذين يؤمنون بأهداف المؤسسة ويشاركون في نشاطاتها ويعملون على دعمها مادياً ومعنوياً." لتفاصل أكثر، http://www.addameer.org/ar

[28] "هيئة شؤون الاسرى والمحررين هي الوريث الرسمي والقانوني لوزارة شؤون الاسرى والمحررين التي كانت تأسست بمرسوم رئاسي عام 1998 وتشكلت الهيئة بموجب مرسوم رئاسي بتاريخ 29-5-2014 صادر عن سيادة الرئيس محمود عباس رئيس دولة فلسطين ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، تم بموجبه إنشاء هيئة مستقلة إداريا وماليا تتبع لمنظمة التحرير الفلسطينية ويصادق الرئيس الفلسطيني على نظامها الأساسي. ولاحقا لذلك بتاريخ 28-8-2014 صدر مرسوم رئاسي بتكليف الأخ عيسى قراقع رئيسا للهيئة بدرجة وزير". تفاصل أكثر. http://cda.gov.ps/index.php/ar/

وتاريخ الاعتقال، ومدة الحكم، وتفاصيل الزيارة، وغالباً ما كانت تتحول فيها رواية الأسير إلى أسطر محدودة جداً، تتعثر في لملمتها بين البيانات التي تشبه في طابعها بطاقة الهوية، وفي تقارير أخرى، يظهر الأسير مجرد رقم هوية، يليه تاريخ محكمة، واسمه الثلاثي، ومكان سكنه، والسجن الذي يقبع فيه، دون أية تفاصيل أخرى.

وغالباً ما كانت تتحول الزيارات إلى بيانات صحفية في محاولة لنقل الرواية والتوثيق؛ فقد حصلت الدارسة على جزء كبير من الأرشيف –بحكم عملها في المؤسسة– عبر التقارير والبيانات الصحفية التي كانت تقوم بكتابتها أثناء عملها، غير أنَّ اللافت للانتباه، أنّ تلك البيانات الصحفية تخضع عادة لمراجعة قبل النشر؛ ما يجعلها تخلو من تفاصيل كثيرة، وما ذلك كله إلا لأسباب تتصل ببنية المنظومة الفلسطينية، أو لأبعاد أخرى ترتبط بحماية خصوصية الأسير.

ولعل الأمر الأكثر خطورة، يتمثل في وجود العشرات من المراسلات على البريد الإلكتروني للعاملين في المؤسسة، وهذا الأمر ليس حكراً على نادي الأسير فقط، بل إنه ينطوي على أغلب المؤسسات العاملة في مجال الأسرى؛ فوجود هذه المراسلات الإلكترونية، يُشكل أداة سهلة لأية محاولة اختراق، ومراقبة، وفرض سيطرة من سلطات الاستعمار الصهيوني، وهذا لا يعني أن ما يجري خلال زيارات المحامين لا يخضع للمراقبة، بل إنها مراقبة كثيفة، لا حصر لها، غير أنَّ الأمر أكثر خطورة فيما يتصل بالأرشيف؛ ما يهدد بضياعه، لولا فرق في ذلك بين الأرشفة الإلكترونية، ونظيرتها الورقية.

وفيما يتصل بالتنقيب عن أرشيف الإضرابات عن الطعام، وجدت الدارسة أنَّ جزءاً منه قد جرى إتلافه، وتحديداً في سنوات انتفاضة الأقصى؛ لاعتبارات أمنية؛ ما أورث الدارسة غضباً؛ لطريقة التعامل مع الأرشيف، وبخاصة أنَّ نتحدث عن تاريخ مواجهة، تاريخ عنف طويل عاشه الأسرى والمعتقلون.

وأثناء إعداد البحث، تلقى نادي الأسير دعوة من إحدى الجامعات الأمريكية في الخارج، عبر مشروع خاص في جامعة بير زيت؛ لجمع أرشيف الأسرى؛ ما جدَّد لدى الدارسة التساؤل عن ثقل المخاطر التي يمكن أن يفرضها

هذا النوع من الدعوات والمحاولات، والمصير الذي يمكن أن يواجهه الأرشيف والسياقات اللاحقة في استخدامه، وانطلاقاً من موضوع البحث؛ فإنَّ جزءاً مما تحاول الدارسة إثباته وترسيخه، يتمثل في المحاولات لمعنى السيادة وتقرير المصير في مستويات مختلفة، منها السيادة على الأرشيف—السيادة على الرواية، وحماية مصيره—مصير الرواية.

المقابلات

تبقى الرواية الشفوية[29] في مقدمة المداخل التي يعتمد عليها الباحث الفلسطيني، في غياب الأرشيف، والصعوبات في الحصول عليه؛ إذ إنَّ أغلب الأبحاث التاريخية الفلسطينية، وبخاصة تلك التي تتحدث عن فلسطين قبل حرب النكبة عام 1948م، وأثناءها، تعتمد على الرواية الشفوية، في مواجهة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وما تمثله من أهمية، دفعت المستعمِر إلى محاولة محو الرواية الفلسطينية، ومحاربتها،[30] ولكن، وعلى الرغم من ذلك كله؛ فإنَّ رواية التاريخ عبر الرواية الشفوية، قد ظلت محط انتقاد؛ حين عَدَّ بعضهم الانصباب عليها أمراً مبالغاً فيه،[31] وبخاصة إذا ما كان الحديث عن روايات ارتبطت بمسار مواجهة استعمارية صهيونية، كان لها سياقاتها التاريخية المتشعبة.

وعلى الرغم من الملاحظات التي يفرضها بعض المؤرخين على الرواية الشفوية، إلا أن ذلك لا يُسقط الأهمية الكبرى التي أدتها الرواية الشفوية تاريخياً، ولا تزال تؤديها، وبخاصة في الحالة الفلسطينية؛[32] فجزء من الأدوات التي أسهمت بصورة أساسية في تقديم الرواية الفلسطينية، هي الرواية الشفوية؛ ما يجعل الاعتماد على الأرشيف في قراءة تاريخ الحركة الأسيرة، وبخاصة تجربة الإضراب عن الطعام، يحصر الرواية لدى من يمثل الأسرى: كالمؤسسات، أو حتى

[29]See in: Rosemary Saiygh, From Peasants to Revolutionaries. London: Zed Books, 1979. NurMasalha. The Palestinian Nakba: Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory. London: Zed Books, 2012 .

[30] Rana Barakat."Writing/Righting Palestine Studies: Settler Colonialism, Indigenous Sovereignty And Resisting The Ghost (S) Of History". Settler Colonial Studies, 1-15. 2017.

[31]عدنان أبو شبيكة. لغة الرواية في التاريخ الشفوي الفلسطيني بين الفصحى والعامية. مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات. العدد 21. 2010. ص350.

[32]انظر أيضاً: عادل يحيى، التاريخ الشفوي. مجلة آفاق فلسطينية. جامعة بيرزيت. 1990. ص7- ص8.

ممثليهم في السجون، وهذا تماماً كما لو كانت قراءة التاريخ محصورة في النخبة[33]، وهكذا؛ فإنَّ الرواية الشفوية هنا، قد أسهمت في كسر هذا الاحتكار، والكشف عن تفاصيل غُيبت لأسباب متعددة؛ ما أدى إلى كسر السجن المفروض على الرواية، من السّجّان، أو سلطة التمثيل والتنظيم.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ المقابلات التي أجرتها الدارسة، قد تركت أثراً بالغاً في مسار البحث، ومصيره، وهنا، ربما كانت تحتاج إلى جهد آخر للكتابة عن تجربة المقابلات، غير أنها ستكتفي ببعض المحطات والملاحظات التي تمكنت من حصرها، بما فيها من صعوبات، بعضها إجرائية، وأخرى تتصل بذوات الأسرى المحررين، ممن تمكنت من التواصل معهم.

ولم يكن الحصول على الرواية الشفوية أمراً سهلاً، يمكن الوصول له عبر لقاء واحد، أو حتى لقاءات متعددة في بعض الأحيان، وبخاصة أنَّ الدارسة قد اعتمدت على المقابلات الحوارية المفتوحة، التي امتدت لفترات، أجرت أثناءها مجموعة من المقابلات التمهيدية قبل تنفيذ نظيرتها المطولة؛ لنوعية الأسرى المحررين الذين قابلتهم، وهذا ما ستوضحه لاحقاً.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الإفراج عن مجموعة كبيرة من أسرى انتفاضة الأقصى، الذين اعتقلوا في بداية الألفية الجديدة، وتحديداً في عام 2002م، وصدر في حقهم أحكام لسنوات تتراوح ما بين 15 عاماً و18 عاماً، قد أسهم في إمكانية الوصول إلى أكبر عدد منهم؛ فلم يكن الأمر صعباً قياساً إلى محاولة الحصول على رواية فترة زمنية أقدم.

[33] صلاح العاوور. أساسيات اختيار وتقويم الرواة في التاريخ الشفوي. مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات. العدد الأول. تشرين الأول 2002م. ص 54- ص 57.

ولعل واحدة من أهم الصعوبات التي واجهتها الدارسى، تتمثل في سيل القصص التي تداخلت بطريقة مركبة ومعقدة بين عملها وكتابتها البحث؛ فقد فرضت في كثير من الأحيان نوعاً من التناقض، وإعادة التساؤل عن كثير من التفاصيل؛ ما جعل أهم أدوات البحث ماثلة في مبدأ بقاء الشك، والتساؤل عن كثير من تفاصيل الرواية، وعدم التسليم بها، وبخاصة فيما يتصل بالصراعات التنظيمية، التي شكلت أساساً في مسار الرواية.

وحينما بدأت الدارسة مرحلة التنسيق لعمل المقابلات، كانت في البداية تتقصى عن موضوع البحث، انطلاقاً من عالم السجن؛ لما يمثله من كثافة في الموضوعات؛ ما جعلها تبدأ بإجراء مقابلات مفتوحة مبنية على الحوار الذي يطور نفسه ذاتياً، محاولة الحصول على رواية الأسير، وذلك بقليل من التدخل في طرح الأسئلة أو توجيهها؛ ما أسهم في الحصول عليها بصورة مكثفة، وإبقاء الباب مفتوحاً؛ لاستحضارها والتأكيد عليها، والوصول إلى مصادر متعددة.

وعلى الرغم من ذلك كله؛ فإنَّ مستوى الوصول إلى رواية الأسير قد جاء متفاوتاً، كيف لا، والحديث عن ذوات، وذاكرة؟ فكان الأسرى القدامى أكثر استعداداً لجلب الرواية، ومواجهة التفاصيل، والانفتاح عليها؛ ما يفرض تساؤلاً عن الزمن الماضي، والزمن الراهن، والتحولات، والامتدادات الحاصلة في الرواية.

وفضلاً عن ذلك، فقد جاءت تلك الرواية مشتتة في مسارها كله، وبخاصة عند الموازنة بين الماضي والحاضر، مع ضياع بعض التفاصيل؛ بحكم ما تعرضت له الذاكرة، وهنا، كان لا بدَّ من تغطيتها بالرجوع إلى الأرشيف، أو الأدبيات الخاصة عن التجربة؛ ما يجعل الفرق بين الأسرى القدامى، ونظرائهم حديثي العهد بالتجربة واضحاً؛ فالنوع الأول يمتلك أدوات لغوية تعينه في الحديث عن تجربته، التي ترتكز أساساً على الذاكرة الجمعية، بينما يغلب على رواية النوع الثاني، وبخاصة (جيل انتفاضة الأقصى) الصبغة الذاتية اكثر من الجمعية، فضلاً عن لغة الغضب التي رافقتها، مشكلة أساساً لبنية الرواية.

معايير اختيار الرواة للمقابلات

بدأت الدارسة بإجراء المقابلات فعلياً في صيف عام 2018م، مع مراعاة معايير متعددة، منها: التنوع التنظيمي، والتوجهات، والجغرافيا، وسنوات الأسر التي أسهمت في تحديد أي من الإضرابات التي شاركوا فيها، وقد كانت المقابلات مهمة صعبة بصورة عامة، وبدرجات متفاوتة؛ فقد أبدى معظم الرواة في البداية تردداً واضحاً في الحديث، واستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى وافقوا على إجراء المقابلات، مع تشديد أغلبهم على عدم ذكر أسمائهم في البحث، ولا تزال الدارسة تتذكر الجملة التي كررها معظمهم: "عن إيش وإيش بدي أحكي، أحسن ما أحكي"، وقليل منهم كان لديه استعداد في سرد الحكاية، وفعلياً، دخلت الدارسة في تساؤلات عن الأخلاقيات ذات الصلة بإجراء المقابلات هنا، وبخاصة أنَّ هذا الأمر قد ترك وقعاً نفسياً واضحاً عليهم، من جهة، وعليها؛ بوصفها دارسة، من جهة أخرى؛ فمنهم من بكى أثناء المقابلات، ومنهم من استعصى عليه ذكر أسماء أصدقائه الشهداء، ومنهم من قال: "صعب أحكي كل شي، صعب"؛ ما جعل الدارسة تشعر بأنها مشاركة في نبش الوجع.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ بعض الأسرى المحررين، وبخاصة ممن ينتمون إلى الحركات الإسلامية واليسارية، كانوا يمتلكون مرونة واستعداداً ورغبة في جلب روايتهم، إلا أن الحوارات قد غلب عليها الخطاب الديني السياسي، الذي يرافقه التحليل في مستويات متفاوتة، أكثر من كونه رواية أو حكاية تصل إلى تفاصيل القصص ورحلة التجربة، غضافة إلى أنَّ لذاكرة الجمعية والخطاب الثوري، قد شكّلا لغة واضحة لدى أسرى التيارات اليسارية، وبخاصة أسرى الجبهة الشعبية، بما فيها من حالة فكرية حضرت بصورة متفاوتة؛ بحكم اختلاف المستوى المعرفي.

وبالانتقال إلى اللغة؛ فإنَّ المتلقي يجد لغة الغضب –بما فيها من نقد عالٍ وقاسٍ على الواقع الفلسطيني– قد احتلت الحيز الأكبر في رواياتهم؛ ما أسهم بصورة أساسية في بنية البحث ومساره، وهذا الأمر طاغٍ لدى أسرى فتح على الصعيد الحركي أولاً، والاستعماري ثانياً، أمّا أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) من التنظيمات الأخرى؛ فقد تحدثوا

بلغة نقدية حيال تنظيماتهم على اختلافاتها، وهذا ما يغيب عن الجيل القديم من أسرى التنظيمات المختلفة، وفضلاً عما تقدم، فقد حملت رواية (جيل انتفاضة الأقصى) من التنظيمات كلها، رواية خاصة تحمل في طياتها مدلولاتها التاريخية المهمة، بما فيها من انعكاس على المصير الفلسطيني، ومحاولة فهم إشكالياته، وتضفي على الدراسة طابعاً خاصاً؛ فقد ارتكزت على روايتهم ورحلتهم في المواجهة عبر الإضراب عن الطعام.

ويولي الباحثون موضوع اللغة اهتماماً بالغاً؛ فمنهم من يتمسك بضرورة الرواية الفصيحة، ومنهم من يبقي الرواية كما هي واردة على لسان الراوي [34]، وفيما يتصل بالبحث؛ فقد فضلت الدارسة الإبقاء على لغة الأسرى في المقابلات، دون أدنى تدخل في مستواها ونوعها؛ ما جعل لغة الحكايات تصطبغ باالعامية تارة، وتقترب من اللغة القريبة للفصيحة أطواراً؛ لاعتبارات تتصل بالمرحلة التي يمكن لمسها والتقرب منها أكثر عبر اللغة.

موقع/موقعية الباحثة

أثرت مجموعة من العوامل في رحلة البحث ومعالجته، واستمدت هذه العوامل معناها من موقعية الدارسة، انطلاقاً من كونها فلسطينية، تعيش في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وتنحدر، كغيرها من آلاف الفلسطينيين، من عائلة مهجرة من قرية عجور عام 1948م، إضافة إلى نشأتها الممتدة منذ أوائل انتفاضة الحجارة عام 1987م، وهي لحظة الوعي الأولى للمواجهة في رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، وما تلا ذلك من وقائع وتناقضات فرضتها مرحلة أوسلو، إلى أن جاءت انتفاضة الأقصى؛ بوصفها استعادة للاشتباك، وما تركته من صور أكثر وضوحاً عن المواجهة في وعيها، كآلاف الفتية الفلسطينيين في تلك المرحلة، وصولاً إلى مرحلة التساؤلات الكبيرة عن المصير، والمنتظر، والمأمول.

[34] انظر في: عدنان أبو شبيكة. مصدر سبق ذكره. ص 351 – 362.

وفضلاً عن ذلك، فقد أثر عمل الدارسة في جمعية نادي الأسير الفلسطيني[35]بصورة أساسية على مسار البحث، والتوجه إلى معاجلة قضية ترتبط بالأسرى؛ ليشكل إضراب عام 2017م نقطة تحول في مصير عملها، بما واجهه الإضراب من حروب متفاوتة المستويات، متحولاً إلى مواجهة حقيقية، منبعها المحاولة والاستمرار في بنية السلطة، في الوقت الذي يعالج فيه هذا البحث المحاولة، والممارسة، والاستمرار، في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؛ بوصفه معنى للسيادة وتقرير المصير.

مراجعات الأدبيات

المقدمة

يشكل خطاب حقوق الإنسان مقوماً أساسياً في الحديث عن السيادة وحق تقرير المصير، وانطلاقاً من ذلك، كان لا بدَّ من المرور على إشكاليات هذا الخطاب، وأثره في تقرير المصير تاريخياً، في ضوء التحولات التي أصابت العالم، فجزء كبير من الدراسات الحديثة حول منظومة حقوق الإنسان وخطابها تستند إلى نقدها من مستويات متعددة؛ فمن الباحثين من اتخذ التاريخ أساساً في فهم إشكاليات هذا الخطاب، عبر وصله مع الحدث، ومنهم من ذهب إلى محاولة طرح أسئلة حول الادعاءات التي يحملها خطاب حقوق الإنسان، وبخاصة فيما يتصل بمسألة البديهية والعالمية، أمّا البديهية؛ فتنطلق من كونها معروفة ومتفقاً عليها، وهذا ما سيتضح عبر عمليات التشديد والتأكيد عليها، وأما فيما يتصل بالعالمية؛ فتتمثل في الادعاء الواقع في أول اختبار تاريخي من عمليات التصنيف التي طالت الإنسان

[35]جمعية حقوقية إنسانية اجتماعية شعبية مستقلة، تُعنى بشؤون الأسرى الفلسطينيين والعرب في السجون والمعتقلات ومراكز التحقيق الإسرائيلية، تأسست في1993/9/27م، وقد تبلورت فكرة إنشائها داخل السُجون من الأسرى أنفسهم؛ لشعورهم بالحاجة إلى مؤسسة شعبية، تُشكل عنواناً لرعايتهم، وذويهم، وتُشرف على هذه الجمعية هيئة تأسيسية مُكوّنة من 13 عضواً من الأسرى المحرَرين، ولهذه الجمعية مكاتب وفروع تعمل في المدن الفلسطينية كافة، وأعضاؤها من الأسرى في السُجون والأسرى المحرَرين.

الذي قصدته المنظومة، إضافة إلى دراسات أخرى اعتمدت في عملية نقدها على بث الأسئلة حول بنية خطاب المنظومة الحقوقية.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ مرحلة الاستعمار الأوروبي وتصفيته بعد الحرب العالمية الأولى، تمثلالمحطة الأبرز لتقرير المصير، وقد تجلَّت في مطالبات الشعوب بممارسة سيادتها، في إطار الدولة القومية وتقرير مصيرها، وهنا، كان التساؤل الأهم حول إسهام هذه المرحلة في ترسيخ مفهوم تقرير المصير مع نشوء النظام الدولي، والتحولات التي أصابته في ضوء الصراعات الدولية والقوى، التي ألقت بظلالها على هذا المفهوم، فضلاً عما أفرزه هذا النظام من إشكاليات حول بنية مفهوم تقرير المصير، وبخاصة فيما يتصل بالقيود والمحددات التي فرضها.

وقد ظهرت دراسات جديدة أسهمت في محاولة عميقة لفهم أثر الاستعمار وما بعده في تقرير مصير الشعوب المستعمَرة، وإمكانيات السيادة لديها، وذلك عبر فهم بُنى الاستعمار وأشكاله، ومحاولة تفكيكه، فضلاً عما شكلته الشعوب المستعمَرة من توجهات تقودها إلى فهم الاستعمار أولاً، وفرض سيادتها، وتحقيق تقرير المصير ثانياً، وقد شكلت محاولة الشعوب الأصلانية، في السيادة وتقرير المصير، واحدة من أهم المسارات التي جلبت محاولة مختلفة؛ بوصفها مساراً خارج ما فرضته المنظومة الدولية حول السيادة وتقرير المصير ومحدداتهما، عبر مناهج جديدة في مواجهة بنية الاستعمار الاستيطاني، المتمثلة في الاستمرارية، والمحاولة، وخلق مناهج جديدة، بتفكيك بنية عنف الاستعمار الاستيطاني، كما في منهج الرفض، والمحاولات التي فرضتها الشعوب الأصلانية، ذات الأشكال المتعددة، كمحاولات السيادة الثقافية، والسيادة عبر الرواية، ومحاولتهم تقرير المصير عبر منهج الرفض.

وفي مقاربة بين محاولات الشعوب الأصلانية في السيادة وتقرير المصير في بنية الاستعمار الاستيطاني، ومحاولات الفلسطينيين في الإطار ذاته، عبر تجارب وأدوات مواجهة، تكسر نمطيتهما، التي تتبناها المنظومة السياسية، كما في محاولة الأسرى الفلسطينيين وممارستهم تجربة المواجهة بالإضراب عن الطعام في منظومة السجن، التي تبقى

محاولة جديرة بالاهتمام، من جهة، ووسيلة لكشف الإشكاليات القائمة في محاولات السيادة وتقرير المصير فلسطينياً، من جهة أخرى، فضلاً عن أهمية الاستمرارية؛ بوصفها منهجاً في بنية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

تقرير المصير في ضوء المركزية الأوروبية

ترتبط الرواية التاريخية للسيادة وتقرير المصير بالمركزية الأوروبية، بما رافقها من أفكار لفلاسفة الحداثة، كما أنها تواكب بعض الأحداث التاريخية المفصلية، كالثورتين: الفرنسية، والأمريكية، وما انبثق عنهما من إعلانات تضمنت مطالبات بتحقيق تقرير المصير، إلا أن هذا لا يعني أن فكرة السيادة وتقرير المصير لم تكن قائمة قبل تلك اللحظة، التي فرضتها المركزية الأوروبية.

وتشكل المعرفة الكلاسيكية المتمثلة في فلسفة الحداثة وجهاً أساسياً للمركزية الأوروبية، أبرزها فلسفة العقد الاجتماعي؛ لما أحدثته من أثر في بنية مفهوم تقرير المصير تاريخياً، وبخاصة فيما يتصل بتركيبة الدولة القومية، والعلاقة بينها وبين مواطنيها، التي تُشكل الجذر الأساي لفكرة السيادة وتقرير المصير، وهنا، لا بدَّ من التأكيد على أن مفهوم السيادة تاريخياً قد سبق مفهوم تقرير المصير .

فقد ظهر مفهوم السيادة في الفلسفة الهوبزية بصورة جليّة، وتمثلت صورته بالملكية المطلقة للحاكم؛ بوصفه المصدر الوحيد للقانون، وإرادته هي الإرادة الوحيدة، فضلاً عن التعديل العميق الذي أدخله هوبز على منزلة القانون الطبيعي، والحق الطبيعي، والعقد الاجتماعي، وحقوق الإنسان، وفكرة الإله الفاني (الدولة).

ومما لا شك فيه، أن الفلاسفة الذين لحقوا بهوبز، قد أحدثوا نقلات نوعية في فلسفة الحداثة، إلا أنها بقيت محصورة بما جاء به سابقهم؛ فالفكر الكانطي الذي أسهم بصورة، لم يكن إلى إعادة صياغة لأفكار هوبز، مع سيرورة

الثورات: الإنجليزية، والفرنسية، والأمريكية،[36] وبذلك، فإنَّ الدولة القومية الحديثة هي النواة الأساسية لهذه الفلسفة، وما تمخض عنها لاحقاً، في إطار نقاشات فلاسفة الحداثة.

ولما كان تكوين الدولة القومية غاية أساسية في فلسفة الحداثة، كما ذكرت الدارسة أعلاه؛ فإنَّ معنى تقرير مصير الأمم هو الأساس لتلك المحاولات المعرفية؛ فقد عَدَّ هيجل الغاية العقلية للإنسان تتمحور في أن يحيا في إطار دولة، وإن لم تكن ثَمَّة دولة، فعليه أن يسعى إلى تأسيسها،[37] إلى جانب الحق والقانون.

وقد برز مفهوم الحرية بوصفه ركيزة أساسية لتلك الفلسفة، وعدَّ ميل الحرية الفردية طريقاً إلى منفعة المجتمع ونهضة الأمم، وردّ جوهر الاستبداد في فلسفته إلى عدم إعطاء أهمية لاستقلال الشخصية، ولكن الحرية عند ميل، على الرغم من أنها تضمنت فكرة إطلاق العنان، إلا أنها لا تعني وقوع الفرد في لَذّات الهوى، وهكذا، فقد ربط ميل بصورة وثيقة بين الحرية الفردية والنفعية العامة، دون أن يمضي في المطلق والمثالي.[38]

وما هذا العرض إلا بمثابة التقاط بعض المحطات المعرفية الكلاسيكة، التي كانت جزءاً من الرواية التاريخية للمركزية الأوروبية، التي أسست لبنية مفهومي السيادة وتقرير المصير، وكذلك أكّدت على أنَّ تياراً كبيراً من الدراسات، قد حصرت نفسها في العودة إليها، لكنَّ الدارسة لا تسعى، هنا في هذه الدراسة، إلى مناقشة تمثلات تقرير المصير في ضوء المركزية الأوروبية، على الرغم من تأكيدها على أثرها البالغ بما أفضت إليه، بل إنّها تسعى إلى البحث عن محاولات للسيادة وتقرير المصير عبر زاوية مختلفة، تمهد للوصول إلى المعالجة المركزية للدراسة، التي تتمثل في إمكانية تحقيق السيادة وتقرير المصير، انطلاقاً من كونهما محاولة وممارسة خارج ما فرضته المركزية الأوروبية، وما قادت إليه من نتائج.

---

[36] صالح مصباح. فلسفة الحداثة الليبرالية الكلاسيكية من هوبز إلى كانط، بيروت: جداول للنشر والتوزيع. 2011م.

[37] عبد الفتاح إمام. أصول فلسفة الحق (المجلد الأول)، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر. 1983م.

[38] محمد فتحي القرش. مفهوم الحرية عند جون ستيروات ميل، مجلة كلية الآداب- جامعة نبها- مصر، ع19،ج1(2008م): 476-479.

تقرير المصير ضد الاستعمار

تعالج الدراسات النقدية السيادة وتقرير المصير على مستويين أساسيين: أمّا المستوى الأول؛ فقد ظلّ نقده محصوراً في ضوء ما فرضته المنظومة الدولية الحقوقية والقانونية، والإشكاليات الناتجة عنها، وبخاصة فيما يتصل بالممارسة، وأمّا المستوى الثاني؛ فقد عالج نقداً لبنية المنظومة، وسيشكل هذا المستوى الباب الثاني والأساسي الذي ستنطلق منه الدارسة نحو باب المعالجة الأساسي في دراستها، أي، السيادة وتقرير المصير؛ بوصفه بنية في مواجهة بنية الاستعمار ، الاستعمار الاستيطاني، على وجه الخصوص.

- **إشكاليات تقرير المصير في ضوء (المنظومة الحقوقية والقانونية الدولية)**

اتخذت عملية النقد التي وجهت للمنظومة الحقوقية، كما ذكرت الدارسة أعلاه مستويين، وهنا، ستتناول المعالجات النقدية لبعض المفكرين والباحثين الذين حصرت عملية نقدهم تحت مظلة المنظومة، فمنهم من اتخذ القراءة الجينولوجية مساراً لعملية النقد، وآخرون اعتمدوا في نقدهم على كيفية ممارسة السيادة وتقرير المصير في ضوء النظام الدولي.

فقد نفَّذ Stefan Hoffmann قراءة جينولوجية لحقوق الإنسان، أشار فيها إلى أن خطاب حقوق الإنسان لم يسِر باتجاه متصاعد، كما تصفه أغلب الدراسات، بل تعرض تاريخياً لعملية صعود وهبوط وتلاشٍ في بعض المراحل، وعَدَّ Hoffmann بعض القضايا كالقومية، والسيادة، وحركة الاستعمار، والقانون الدولي، وحركات التحرر، وتقرير المصير، ذات أثر كبير في مسار خطاب حقوق الإنسان تاريخياً، فضلاً عن بعض المشكلات التي تنامت مع تصاعد خطاب حقوق الإنسان ،كما هو الحال في مشكلة الأقليات، والإبادة.[39]

[39] StefanHoffmann .Human Right In The Twentieth Century. New York: Cambridge university press. 2011.

وفي قراءة أخرى لخطاب حقوق الإنسان، طرحت لين هانت مسألة البديهية؛ بوصفها إشكالية أساسية في هذا الخطاب، وقد اعتمدت هانت في معالجتها على التعمق في قراءة الثقافة الأوروبية الأدبية والفنية، في عملية تحليل تاريخية، دفعتها إلى التساؤل بصورة مباشرة عن ماهية البديهية التي تدعيها مسألة الحقوق، تقول هانت: *"إن الادعاء بالبديهية أمر غير واضح تماماً ماهيته، خاصة في ظل حالة التشديد والتفسير الذي احتاجت له الحقوق مرات ومرات، ومع ذلك، بقيت تحت وطأة التفسير حتى يومنا هذا"*، وواصلت هانت تساؤلاتها المركزية في نقد خطاب حقوق الإنسان، بما يخص الادعاء بعالمية الحقوق، وبخاصة فيما يتصل بماهية الإنسان، الذي قصدته المنظومة تاريخياً، والتحولات التي أصابت هذا الإنسان المقصود في ضوء المنظومة الحقوقية، وقد شكلت قضيتا السيادة وتقرير المصير جزءاً أساسياً في معالجتها، وبخاصة في عملية سعي الأوروبي إلى فكرة السيادة وتقرير المصير، وفق ما طرحته هانت.[40]

ويمكن القول: إن ما جاءت به تلك المحاولات في نقد حقوق الإنسان؛ بوصفه خطاباً، اعتماداً على القراءات التاريخية المرتبطة بالحدث، يوضح حجم الإشكاليات التي أنتجتها منظومة حقوق الإنسان، وكذلك محاولتها الاستمرار في عجلة التناقض في بنيتها، التي تعريها أدوات الهيمنة وعلاقات القوى؛ إذ إنَّ كل ما رُصد أعلاه، يعيد المتلقي إلى فكرة تقرير المصير الإنساني، والخلاص، وتصاعد هذا المفهوم وارتباطه بالاستعمار الأوروبي، وذلك في ضوء الأثر الذي تركه في بنية السيادة وتقرير المصير، وممارستهما، في إطار النظام الدولي القانوني.

وفي هذا الإطار؛ يشير مورتمرسليزر إلى الحماية التي حظيت بها السيادة وتقرير المصير وحقوق الإنسان، في النظام الدولي الجديد، التي تحولت إلى أهم الأهداف المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، ويصف الكاتب ما أسماه "تناقض حدة لهجة الكلمات عن الأهمية النسبية للمفاهيم"، التي تُشكل تساؤلاً ومدخلاً حول ماهية تلك الحماية التي يدعيها القانون الدولي.[41]

---

[40] هانت لين. نشأة حقوق الإنسان، مصر: كلمات عربية للترجمة والنشر. 2013م.

[41] مورتمر سليزر. النظام العالمي الجديد- حدود السيادة، حقوق الإنسان، تقرير مصاير الشعوب.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م. ص9-ص16.

فقد أفرز النظام العالمي الجديد إشكاليات متعددة حول تقرير المصير، كانت في مجملها نتاجاً لحالة التناقض في بنيته، ويؤكد جيري سمبسن على *"أن تقرير المصير أصبح في واقع الأمر مقترنا بتصفية الاستعمار، لكنه مقتصر على شكل من أشكال تصفية الاستعمار المحدد بغاية من الدقة"* ، ويخرج سمبسن بنتيجة مفادها: أن الإشكاليات حول تقرير المصير في القانون الدولي سببه المفهوم الاستعماري السائد لتقرير المصير، ويُعَدُّ مقترحاً حول تصور مبني على المشاركة في تقرير المصير، يقوم على الاعتراف القانوني بمختلف أشكال السيادة.[42]

وتشكل مسألة القيود، التي وضعت على حق تقرير المصير في النظام الدولي، من أهم النقاشات القانونية والحقوقية الملازمة له، وهي تكشف في الوقت نفسه عن الهدف منها، الذي يتمثل في أخذ الحيطة، من أن تصل ممارسة تقرير المصير إلى حد الانفصال، وما ذلك كله إلا خدمة لهدف واحد، هو حماية الدولة القومية؛[43] فقد عَدَّت منظومة حقوق الإنسان بعض الحقوق مطلقة، كحق التحرر من التعذيب، وأعمال الإبادة الجماعية، إلا أنَّ بعض الحقوق، قد خضعت لقيود؛ انطلاقاً من أنَّ الأفراد لا يوجدون من فراغ، بل إنهم جزء من مجتمع يحتِّم وجود نظام اجتماعي وقانوني؛ ما جعل تقرير المصير يمثل جزءاً من الحقوق التي وضعت عليها قيود.

ويؤكد روبرت كوديل أنَّ: *" حق تقرير المصير بخلاف الحقوق المطلقة، يمكن من ممارسته أن يؤدي إلى تغييرات مؤسسية في الدولة، وكثيرا ما يؤثر تأثيراً واضحاً على الجماعات والأفراد داخل تلك الدولة أو حتى خارجها؛ لذلك فإن هذا الحق يتطلب فرض بعض القيود عليه"* ، وهكذا، فإنَّ كوديل في قراءته تقرير المصير ضمن النظام الدولي، يحاول أن يعطي تصوراً وتبريراً حول تلك التركيبة التي يخضع لها تقرير المصير؛ بوصفه حقاً؛ ليؤكد بصورة واضحة أنَّ القيود المصممة حول تقرير المصير، قد جاءت لحماية حقوق الجميع، وليس فقط أولئك الذين يسعون إلى تقرير المصير،

[42] جيري سمبسن. النظام العالمي الجديد–حالات تقرير المصير في عصر ما بعد الاستعمار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م. ص39– ص 66.
[43] محمد الهزاط. حق تقرير المصير في عالم متحول. المغرب: المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية. 2016م. ص 119–ص 131.

إضافة إلى المصالح العامة للمجتمع الدولي،[44] وبكلمات أخرى، فإنَّ أغلب المعالجات تفضي إلى قضية مركزية، تتمثل في حالة التناقض، التي تُشكل الأساس في استمرار عجلة المنظومة الحقوقية والقانونية الدولية.

فقد فرضت حالة التناقض والتركيبة المعقدة للنظام الدولي حول السيادة وتقرير المصير، وما تزامن معهما من عمليات تحول، إحدى المعالجات التي اتجه نحوها الباحثون؛ لفهم الإشكاليات الخاصة بحق تقرير المصير؛ يقول الهزاط: *"إنَّ ما يميز تقرير المصير عن غيره من مبادئ القانون الدولي، هو أنه يحمل في طياته تناقضاً مع العديد من المبادئ، أهمها مبدأ السلامة الإقليمية، وهذا ما ينظر إلى حق تقرير المصير بنوع من الارتياب والحذر"*، ويكشف في قراءته بعض التحولات التي تجسدت حول تقرير المصير في بعض الإعلانات؛ ففي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948م، أُغفِل كلٌّ من تقرير المصير، وحقوق الأقليات، إلى أن صدر العهدان الدوليان، عام 1966م. وعاد تقرير المصير مجدداً إلى واجهة الحقوق في الإعلانات، كما بيّن الهزاط، تزامناً مع التحولات التي أصابت العالم، بل إن هذه الإعلانات كانت بمثابة ترجمة لتوجهات المنظومة الدولية والقوى في حينه حول السيادة وتقرير المصير. [45]

ولعلَّ أحد أهم الموضوعات التي تطرح في سياق الحديث عن تقرير المصير هي مسألة القومية، وها هي نرجس كانيفي تشكك في نموذج الدولة القومية للمجتمع السياسي الموحد، كما تبث الشك في قيمتها وطبيعتها القائمة على مبدأ السيادة، وتطرح رأياً يقضي بضرورة تجاوز المقولات الأوروبية القديمة القائمة فيما يتصل بفكرة مطابقة الجنسية مع المواطنة، عبر محاولة التمييز بين ما أسمته الدولة الإقليمية والأمة. [46]

ويتضح من خلال هذه المعالجات النقدية المستوى الأول المذكور سابقاً؛ إذ تبيَّن من خلالها إشكاليات بنية السيادة وتقرير المصير، في ضوء ما فرضته المنظومة الحقوقية والقانونية، وبخاصة فيما يتصل بمسألة التناقض الماثلة في

---

[44] روبرت كوديل. النظام العالمي الجديد–حقوق الإنسان وتقرير المصير. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م. ص17– ص38.

[45] محمد الهزاط. مصدر سبق ذكره.

[46] نرجس كانيفي. النظام العالمي الجديد–سيادة دون قومية؟ تقييم نقدي لحقوق الأقلية متجاوزا نموذج الدولة القومية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م. ص 83 –ص108.

الخطاب، والممارسة، التي تفضي إلى فتح الباب أمام إشكالية أساسية، تتمثل في نموذج الدولة القومية ومبدأ السيادة فيها.

وقد أفضت هذه الطروحات إلى المستوى الآخر من العملية النقدية، التي اتجه نحوها عدد من المفكرين، منتقدين بنية المنظومة الحقوقية والقانونية، في محاولة منهم النظر إليها من الخارج، مشكلين قفزة معرفية في نقد المنظومة، فتحت تساؤلات كبيرة ومهمة على مستويات متعددة، وبخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين الغرب والشرق، وبين المستعمِر والمستعمَر؛ ما يقود إلى العلاقة الماثلة في بنية الاستعمار، والاستعمار الاستيطاني.

ويوجه طلال أسد نقده للدولة، بقوله إنَّها تملك *"السلطة لاستخدام خطاب حقوق الإنسان؛ للضغط على مواطنيها، تماماً كما كان الحكام الاستعماريون لديهم السلطة؛ لاستخدام هذا الخطاب ضد رعاياهم"* ، ويذهب في نقده إلى حالة القصور التي تعاني منها منظومة حقوق الإنسان، والتناقض في بنيتها، وبخاصة فيما يتصل بفكرة الحماية والانتهاك؛ فالدور المعلن لمنظومة الحقوق والماثل بادعاء الحماية، يقابله دور آخر تقوم به المنظومة، يتمثل في الانتهاك؛ بوصفه أحد تمثلات العلاقة التي فرضتها المنظومة الليبرالية بين الدولة، والفرد المواطن، وسيطرة القوى، وبخاصة فيما يتصل بمسألة الحريات والسيادة.[47]

ويستحضر أسد خطابين أساسيين في مسألة الحقوق، تناولا مسألة الخلاص الإنساني وتقرير المصير، هما: خطاب مالكوم أكس، الذي انطلق من عالمية حقوق الإنسان، وتجاوز فكرة الحقوق المدنية في العلاقة القائمة مع الدولة، ودعا الأمريكيين الأفارقة إلى السمو فوق حدود الدولة، مؤكدا في هذا الجانب أن أكس قد سعى إلى التحوّل من سلطة دولة واحدة إلى سلطة تشمل دولاً متعددة، وفي هذا تأكيد على أنه لا يمكن لأحد الهروب من العالم القائم على تكوين الدول القومية، على أنها كيانات سيادية كما يصفها أسد، وفضلاً عن ذلك، فإنَّ النقد الذي وجهه أكس يكشف عن أهم التناقضات في منظومة حقوق الإنسان؛ إذ يقول في *خطابه: "قد تندهش من سبب رفع جميع قضايا*

[47] طلال أسد.تشكلات العلمانية في المسيحية والإسلام والحداثة. بيروت: جسور للترجمة والنشر. 2016م.

الممارسات الوحشية، والجرائم التي ارتكبت في أفريقيا، والمجر، وأمريكا اللاتينية للأمم المتحدة، في حين يتم التغاضي عن رفع قضية الزنوج السود"، ومن جهة أخرى، فإنَّ خطاب مارتن لوثر كنغ يشكل توجهاً آخر؛ فقد أشار إلى الحقوق، عبر العلاقة القائمة بين المواطن والدولة، أي، الحقوق المدنية؛ لتشكل بذلك إحدى التوجهات الأساسية لمحاولات الخلاص الإنساني، وترى الدارسة هنا، أن فكرة الحقوق المدنية وحقوق الإنسان، بما تفرزه من تناقضات هي الأساس لفهم إشكاليات منظومة الحقوق، وبخاصة في ضوء الممارسة والرواية.[48]

وانطلاقاً من أنَّ فكرة الرواية التاريخية تمثل نقطة مهمة في الطروحاتالمتعددة، حول القراءات التي ارتبط جزء كبير منها بمحاولات الشعوب تحقيق سيادتها وتقرير مصيرها، كان لا بدَّ من الوقوف أمام التساؤل الذي طرحه روبرت يانغ حول (العودة) إلى التاريخ، ولكن، أيّ تاريخ هذا الذي يمكن العودة إليه؟ وكيف يمكن قراءة التاريخ خارج تلك (اللحظة) التي فرضتها المركزية الأوروبية؟ إذ يحاول يانغ، عبر هذا التساؤل، تفكيك تلك العلاقات الدائرة حول التاريخ والنظرية وعلاقة السياسة بالمعرفة، فإنَّ أحد ما يمكن أن يسقط في ضوء تلك النقاشات هو مفهوم تقرير المصير، الذي وصل ذروة الحديث عنه مع حركة الاستعمار. [49]

وهكذا، يُولد ذات التساؤل الذي طرحه يانغ حول تلك اللحظة الخاصة بنا؛ بوصفنا شعوباً وأمماً مستعمَرة خارج هذا التأريخ؛ ففي الوقت الذي كانت تتدفق فيه المعرفة الأوروبية في عصر التنوير، كان هذا التنوير يشق طريقه نحو استعمار أمم وشعوب، ربما كان بإمكانها أن تؤرخ لنفسها (لحظة) أخرى، غير تلك (اللحظة) التي فرضتها حركة الاستعمار الأوروبي.

ولا يخفى على أحد ما شكله الاستشراق من باب معرفي؛ فقد أضافه إدوارد سعيد إلى نقده المركزية الأوروبية؛ ليرصد فيه الصورة التي أنتجتها تلك المركزية حيال الشرق عبر الخطاب، ومن الأهمية بمكان، فهم تلك

---

[48] طلال أسد. مصدر سبق ذكره.

[49] روبرت يانغ. أساطير بيضاء. كتابة التاريخ والغرب. ترجمة أحمد محمود. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 2003م.

الصورة، وصولاً على تحويل الفهم إلى أداة أساسية لمواجهة تركيبتها، من جهة، ومواجهة أدوات الاستعمار، ومنها الخطاب، من جهة أخرى، يقول: *"إنَّ الصورة التي تمثل الشرق في الكتابات المذكورة، تؤثر لا في الدراسات الأكاديمية فحسب، بل في رؤية أبناء البلدان التي تحررت من الاستعمار لذواتهم"*؛[50]ما يجعل هذا الأمر، في رأي الدارسة، يمثل مدخلاً مهماً لهذه الدراسة، وبخاصة أنها ستتناول محاولات وممارسات ناتجة عن تشكل الوعي في مواجهة الاستعمار، عبر العلاقة الثنائية التي فرضها.

ويوضح يورغن أوستر هامل أنَّ *"الثقافة الاستعمارية التي استمرت؛ لتصبح ثقافة ما بعد الاستعمار قد تطورت في خضم التوتر القائم بين التأكيد على الثقافة المحلية وتبني الثقافة الأجنبية، وأن أحد أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات التي وقعت تحت الاستعمار، هو محاولة التأكيد على الذات، من خلال الثقافة، كنتيجة للعلاقة التي فرضها المستعمِر من محاولات لطمس ثقافة المستعمَر"*[51]، وهكذا، فإنَّ محاولات التأكيد على الذات، تشكل المعنى الأساسي لفكرتي: السيادة وتقرير المصير؛ بوصفهما محاولة وممارسة.

فقد أسست الحالة الاستعمارية، بكل ما أحاط بها، وما مثلته من مسار تاريخي في المعرفة الإنسانية، جزءاً كبيراً من النقاشات حول السيادة وتقرير المصير؛ بوصفهما طريقاً للتحرر والخلاص، وشكل منهج فرانز فانون أساساً لها، بكل ما حمله من عمق في تحليل العلاقة الثنائية الناشئة بين المستعمِر والمستعمَر، بما فيها من حالة تناقضية، كما شكلت الموقعية التي انطلق منها فانون الثائر ميزة عن غيره ممن أسهموا في هذه النقاشات؛[52]فالتحليل العميق الذي تضمنه منهج فانون المستند إلى مفهوم العنف، يسهم بصورة كبيرة في محاولة فهم إمكانية تقرير المصير، وهناك تفصيلات متعددة حول الذوات المستعمَرة، وما أحدثه الاستعمار من إشكاليات على الأفراد والجماعة، يمكن من خلالها التساؤل حول الأثر الذي أحدثته السيادة وتقرير المصير؛ بوصفهما محاولة وممارسة؛ فجزء أساسي من طرح

---

[50]إدوارد سعيد. تغطية الإسلام. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع. 2005م.

[51]يورغن أوسترهامل.الاستعمار مراجعة نظرية عامة. الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية. 1998م. ص151 – ص167.

[52]فرانز فانون. معذبو الأرض. بيروت: دار القلم. 1972م.

فانون يُشكل أداة مهمة لمواجهة بنية الاستعمار، عبر محاولة تفكيكها وفهمها، ولما كان الأمر كذلك؛ فإنَّ الحالة التي تودّ الدارسة معالجتها في هذه الدراسة، تحتاج إلى طروحات خاصة ببنية الاستعمار الاستيطاني، وبخاصة فيما يتصل بالعلاقة الناتجة المتمثلة في العلاقة بين المستعمَر والمستعمِر / المستوطن.

ومن هنا، كان من الضروري فتح باب آخر؛ من أجل الوصول إلى هدف الدراسة، حول إمكانية قراءة تقرير المصير؛ بوصفه محاولة وممارسة من زاوية أخرى، وهذا الباب يتصل بتوجهات الشعوب المستعمرة استيطانياً في تقرير مصيرها، وستشكل القراءات الأصلانية أساساً لها؛ بوصفها نتاجاً للعلاقة الثنائية في بنية الاستعمار الاستيطاني، وبخاصة أنَّ الحالة الماثلة والواضحة اليوم في إطار فهم القضية الفلسطينية هي الاستعمار الاستيطاني، وما يمارسه من عمليات إحلال وإقصاء.

- **توجهات الشعوب المستعمَرة استيطانياً في تقرير المصير**

نظراً لبقاء الشعوب المستعمَرة استيطانياً خارج توجهات المنظومة الدولية، وبخاصة فيما يتصل بقضية الاستعمار الاستيطاني؛ فإنَّ محاولتها المستمرة في تقرير مصيرها، تمثل باباً مهماً لفهم توجهاتها المختلفة نحو السيادة وتقرير المصير، والمقصود في هذا الإطار الشعوب الأصلانية؛ إذ تعالج الدراسات هذه التوجهات على مستويين يظهران عبر القراءات القادمة، أمّا الأول؛ فيعكس توجهات في إطار التعايش، وأمّا الآخر؛ فيظهر في محاولات المواجهة، وممارساتها خارج ما فرضته المنظومة الدولية، وقبل ذلك، لا بدَّ من المرور على المقصود بالاستعمار الاستيطاني، الذي أثار الباحثين، وقدموا محاولات لفهمه؛ بوصفه أحد أنواع الاستعمار، فضلاً عن توضيح ما يميزه عن غيره من الأشكال الاستعمارية؛ إذ تشكل هذه العملية واحدة من الأدوات المهمة لتلك الشعوب المستعمرة استيطانياً، تستعين بها في طريقها نحو سيادتها وتقرير مصيرها في إطار المحاولة والممارسة.

وقد ظهرت دراسات متعددة تتصل بالاستعمار، وتمحور بعضها حول الاستعمار الاستيطاني؛ بوصفه أحد أهم أنواع الاستعمار الأوروبي الحديث، الذي شكل، خلال الثلاثة عقود الأخيرة، حقلاً معرفياً مهماً، وقد برز في هذا

الإطار كثيرون، يأتي في مقدمتهم باتريك وولف، الذي عدَّ الاستعمار الاستيطاني بنية وليس حدثاً، مشيراً بصورة مباشرة إلى الهدف الأساسي للاستعمار الاستيطاني المتمثل في إزالة السكان الأصلانيين، أو نقلهم من أرضهم.[53]

امّا كلورينزو فيراسيني؛ فقد ذهب إلى بيان سمات الاستعمار الاستيطاني، الذي يستند إلى سياسة الإقصاء للسكان الأصلانيين، وطبيعة العلاقة التي وصفها بالمؤقتة مع الإمبرالية، ومحاولته بناء علاقة دائمة مع الأرض المستعمَرة، وقيامه بعمليات الهندسة الاجتماعية الدقيقة. [54]

وفي الإطار نفسه، يتناول منير العكش في المقاربة التي وضعها في كتابه (دولة فلسطينية للهنود الحمر) ما أحدثته بنية الاستعمار الاستيطاني بحق الشعوب (الهندية) في الأمريكيتين، من عمليات إبادة، وإحلال، ووسائل أفضت إلى إقصائهم، وثمَّ يبين كيف أسهمت توجهات من تبقى من هذه الشعوب –ضمن إطار المنظومة الدولية وما فرضته– في تحويل حياتهم إلى معازل مجردة في إطار عمليات الإقصاء، وفيما بعد، يضع العكش هذه المقاربة في إطار الحالة التي يواجهها الشعب الفلسطيني، وما فرضته بنية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني من عمليات إحلال وتحويل، طالت حياة الفلسطينيين، محولة إياها إلى معازل، إضافة إلى دور التوجهات في إطار السعي إلى فكرة الدولة. [55]

فمنذ عام 1923م، شكلت محاولة (ديسكاهيه) رئيس شعب (هودينوسوني) الأصلاني في كندا، أولى المحاولات التي سعت فيها الشعوب المستعمرة نحو طرق أبواب المنظومة، عبر محاولة التوجه إلى عصبة الأمم المتحدة، وتقديم عريضة باسم شعبه من أجل تقرير المصير، وهذا ما أشار إليه الكاتب Jeff Corntassel، متخذاً من وصف الأوهام مدخلاً للحديث عن إشكاليات خطاب حقوق الإنسان المعاصر الخاص بالشعوب الأصلية، وفي محاولته تفكيك تلك الإشكاليات، التي أعطت بعداً لحالة الفشل في محاولات الشعوب الأصلية تقرير مصيرها، يطرح الكاتب –إلى جانب توجهات الشعوب الأصلية– مصطلح تقرير المصير المستدام؛ بوصفه منتجاً ثقافياً ذا صلة وثيقة

[53] Patrick wolf. Settler Colonialism and the Elimination of the native: 402. 2006.

[54] وليد حباس. الاستعمار الاستيطاني نحو إطار نظري جديد. مجلة قضايا إسرائيلية العدد 66. مركز مدار. ص 115. 2017م.

[55] منير العكش. دولة فلسطينية للهنود الحمر. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. 2015م.

بالشعوب الأصلية؛ إذ تُعَدُّ الجبهة الداخلية للشعب الأصلاني الركيزة الأساسية في سبيل تقرير المصير، وهذا ما أكده الكاتب Corntassel، انطلاقاً من مبدأ تعزيز المسؤولية لدى الشعوب الأصلية، وتمتين تلك الجبهة. [56]

وفضلاً عن أهمية فهم الأدوات التي يستخدمها الاستعمار على الإنسان المستعمَر، لا بدَّ من فهم أدوات الشعوب الأصلانية، ومحاولتها التعامل مع الاستعمار، ومواجهته؛ فقد ذهبت الكاتبة Audra simpson إلى محاولة فهم إحدى تجارب الشعوب التي وعت تحت الاستعمار الاستيطاني، وسعت جادَّة نحو ابتكار سيادة خاصة تحت (سيادة) المستعمِر، وهذا ما كان من شعب الموهوك، الذي انتهج سياسة الرفض وسيلة للتعبير عن وجوده، وسيادته، ومواجهة الاستعمار.

وتُعَدُّ سياسة الاعتراف واحدة من أهم القضايا التي شغلت الشعوب المستعمَرة، وهنا تشير simpson إلى تجربة شعوب الموهوك والتوجه الذي تبناه في ذلك حيال فكرة الاعتراف، التي أعطت بعداً مختلفاً عن فكرة الاعتراف بالاستعمار، وذلك عبر طرحهم مبدأ *"أن يراهم المستعمر كما يفضلون أن يروا أنفسهم"*؛ ما يجعل قضايا أساسية أخرى تبرز، إلى جانب منهج الرفض، وشكل الاعتراف، وهي مسائل على قدر من الأهمية؛ لأنها تمس وجود الشعوب الأصلانية، ومنها: العضوية، والانتماء، والهوية، التي تبقى ركائز أساسية، تقاوم الشعوب الأصلانية عبرها محاولات المستعمِر وسعيه نحو إخفائهم وإقصائهم. [57]

وفي ضوء استعراض توجهات الشعوب المستعمَرة استيطانياً، بصورة عامة، وتوجهاتهم المندرجة تحت مظلة القانون الدولي؛ لتقرير مصيرهم، بصورة خاصة، يشير Manu Karuka في قراءة قدمها حول تقرير مصير السكان الأصلانيين والسود في أمريكا، إلى ما أسماه الراديكالية الدولية؛ وذلك بإعطاء صورة عن التوجهات التي سعت إليها تلك الشعوب؛ من أجل تقرير مصيرها، عبر النظام الدولي، وفيها يحاول الكاتب أن يبدد النقاشات الدائرة حول تقرير

[56] JeefCorntassel.2008. Toward Sustainable Self-Determination: Rethinking the Contemporary Indigenous-Rights Discourse. 106-126.

[57]AuduraSipmpson. 2014. Mohawk Interrupts. Durham and London: Duke University Press. 1-35.

المصير الناشئة من التقاليد الفكرية السياسية الراديكالية، التي دفعت تلك المحاولات عام 2007م، إلى الإعلان الصادر عن الأمم المتحدة بشأن الشعوب الأصلانية، إذ يقول Karuka: لقد جاء هذا الإعلان ثمرة نقاش طويل الأمد، ونتيجة المناصرة التي حظيت بها الشعوب الأصلية، بل هو انتصار ضد تعنت الولايات المتحدة والدول الاستعمارية الاستيطانية، وهنا، تبرز حالة التناقض التي أفرزها النظام الدولي في تعاطيه مع قضايا الشعوب الأصلانية؛ ففي الوقت الذي تعلن فيه الأمم المتحدة الاعتراف بتقرير المصير للشعوب الأصلانية، تسقط عقدة المشكلة في معالجتها الاستعمار المتمثلة في الاستعمار الاستيطاني. [58]

وأمّا Glen coulthard؛ فيقدم في كتابه Red skin.White Masks، وصفاً لما تعرضت له أمة (الديني) من سياسات هيمنة، بفعل الاستعمار الاستيطاني، والتحولات التي أصابت بنية المجتمع، وسعي أمة الديني في توجهها نحو سياسة الاعتراف عبر الأبواب القانونية؛ كيف لا، والاعتراف يشكل واحدة من أهم القضايا التي يطرحها الدارسون حول الشعوب الأصلية؟ وما يرافق هذا التوجه من تحولات في خطاب الشعوب الأصلية، وبخاصة فيما يتصل بأثره على فكرة تقرير المصير، والفوائد المرجوة من هذا التوجه، والسعي نحو الاعتراف. [59]

وعلى الرغم من أنَّ هذه القراءات تتمحور حول توجهات الشعوب المستعمرة استيطانياً، وتحديداً في محاولتها عبر إطار النظام الدولي، إلا أنَّ الدارسة، ستعرض لاحقاً توجهات استندت إلى محاولة تقرير المصير وممارسته، عبر إنتاج رواية أصلانية لمواجهة رواية بنية الاستعمار الاستيطاني، بأدوات أصلانية؛ فقد برزت محاولات الشعوب الأصلانية بتحقيق سيادة فكرية عبر إنتاج رواية أصلانية؛ بوصفها أساساً للحماية الثقافية، وسدّاً منيعاً لحماية الوجود في وجه الإقصاء الذي يمارسه الاستعمار الاستيطاني، وفي هذا الصدد، يعرض Robert Warrior تجربة شعب الأوساج

[58]Manu Karuka 2018.

[59] Glen coulthard. Red skin. White Masks .London: University of Minnesota Press.51-78. 2014.

في محاولاته المتعددة لحماية الوجود، ومن موقعيته؛ كونه كاتباً ينتمي إلى هذا الشعب، يطرح تجارب متعددة، قادتها أمته من أجل حماية وجودها.

ولعلّ أبرز ما جاء به Warrior يتمثل في محاولته وآخرين حماية لغة أمته من الاندثار، وما يترتب على تلك المحاولات من خلق سيادة، منبعها الثقافة الأصلانية؛ بوصفها طريقاً لتقرير المصير[60]، ولم يكن Warrior ليغيب عن هذه الدراسة؛ إذ سيشكل طرحه إطاراً مهماً فيها، وتحديداً فيما يتصل بالنموذج المستحضر هنا؛ لفهم محاولات السيادة، عبر حالة الأسرى الفلسطينيين و(حالة الأسير) من خلال الإنتاج الأدبي والمعرفي.

وفي إطار المعالجات المعرفية الخاصة بمحاولات الشعوب الأصلانية في تقرير مصيرها، يتساءل joanne Barker في معالجته السيادة حول معناها من منطلق تاريخي، وماذا تعني اليوم في إطار الموضوع السياسي؟ وبذلك يتضح أنَّ ما يحاول Barker معالجته، يتمثل في كيفية فهم معنى السيادة داخل العلاقات التاريخية والثقافية، يقول: *"إنهنه ورغم ما تحمله السيادة من رائحة كريهة مصدرها الاستعمار، إلا أن الشعوب الأصلانيية حاولت بناء معنىً جديد لها، عبر عملية الارتباط الوثيق بين مفهوم السيادة وتقرير المصير والحكم الذاتي، ومحاولات تلك الشعوب حماية هوياتها وثقافتها كجزء من التاريخ والعلاقات".*[61]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ طرح كل من Warriorو Barker يأتي في سياق الحديث عن تجارب الشعوب التي واجهت وتواجه الاستعمار الاستيطاني؛ يدفع الدارسة إلى موضوع الدراسة، الذي يتمثل في الحالة الفلسطينية، وتحديداً محاولات الفلسطينيين تحقيق السيادة وتقرير المصير، وبخاصة أنَّ موضوع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني يثير اهتماماً واسعاً من الباحثين والدارسين.

---

[60] Robert Warrior. on intellectual sovereignty and the work of the public intellectual .this interview took place on may 18,2010.

[61] Joanne Barker . Sovereignty matters: Locations of contestation and possibility in indigenous struggles for self-determination .Lincoln and London . University of Nebraska Press.2005.

وتطرح د. رنا بركات في هذا الإطار مقاربة مهمة بين المحاولة الأصلانية والحالة الفلسطينية، عبر محاولة إنتاج رواية فلسطينية أصلانية، على غرار ما طرحه كل من Warriorو Barker، وذلك في عملية تحليلية للرواية الفلسطينية، التي شاعت لدى الدارسين والباحثين الفلسطينيين، فيما يتصل بتلك الدراسات الخاصة بتحليل الاستعمار الاستيطاني، وتستحضر بركات هنا أولى تلك المحاولات التي قام بها فايز الصايغ، عام 1965م؛ بوصفها رواية فلسطينية حول الاستعمار الاستيطاني، وتشدد على الأهمية الكبيرة لضرورة إنتاج رواية فلسطينية تخرج من عباءة الفلسطينيين ولا تمتثل للرواية الصهيونية، كما تشير بركات إلى فكرة السيادة الفكرية؛ كونها مقوماً أساسياً لحماية الوجود الفلسطيني، ومن الممكن إنباتها فلسطينياً، عبر التحرر من الرواية الصهيونية، في ضوء المحاولة التي يمكن أن تحقق تقرير المصير الفلسطيني.[62]

وبكلمات أخرى، فإنَّ الهدف الأساسي من هذه الدراسات حول السيادة وتقرير المصير؛ بوصفها محاولة وممارسة لدى الشعوب التي وقعت تحت بنية الاستعمار الاستيطاني، يتمثل في محاولة الوصول إلى قراءة تقرير المصير الفلسطيني، والممارسة المستمرة لها، من خلال زاوية مختلفة، تفضي أهميتها إلى حماية معنى وجود الفلسطيني، ومن هنا، ستنطلق الدارسة إلى قراءة تصورات تقرير المصير فلسطينياً عبر الأدبيات؛ من أجل العبور إلى نموذج محاولة الأسرى الفلسطينيين، وممارستهم إياها، داخل السجون الصهيونية، عبر تجارب الإضراب عن الطعام.

- **تصورات تقرير المصير فلسطينياً**

لا بدَّ من التوقف في بداية هذه المراجعات؛ للتساؤل عن تلك اللحظة التي يمكن من خلالها أن تكون هناك قراءة تاريخية خاصة للشعب الفلسطيني، بعيداً عن تلك اللحظة التي فرضتها الرواية الصهونية حول فكرة تقرير المصير؛ ما يلحُّ على ضرورة المرور على طبيعة المعالجات، التي أثارها الباحثون حول تقرير المصير الفلسطيني.

[62]Rana Barakat. "Writing/Righting Palestine Studies: Settler Colonialism, Indigenous Sovereignty And Resisting The Ghost(S) Of History". Settler Colonial Studies,2017; 1-15.

أمّا إميل توما؛ فيذهب إلى قراءة القضية الفلسطينية، وتقرير المصير، عبر نقده الإمبريالية، وما أفضت إليه المنظومة الدولية من محطات شكلت أساساً للانحراف التاريخي في مصير الشعب الفلسطيني، بدأت في نظام الانتداب عام 1922م، يقول إميل في هذا الإطار: *"إنه لا يمكن اعتبار نظام الانتداب مجرد وثيقة شكلية منحت بريطانيا (الوجود الشرعي الدولي)* في فلسطين، بل إن هذا النظام أسس لإقامة ما وصفته لجنة بيل الملكية التي حققت في فلسطين عام 1937م –حكومة داخل حكومة، حين استوحت نصوصه من مفهوم وعد بلفور"، ولعل توما يحاول أن يقدم قراءة تاريخية للنص، وممارسة ما فرضته الأجندات الدولية والحركة الصهيونية على الأرض الفلسطينية، في محاولة منه لرد القضايا إلى جذورها تاريخياً، عبر قراءة تاريخية تراكمية.[63]

وذهبت بعض المعالجات إلى قراءة تقرير المصير الفلسطيني عبر مظلة النظام الدولي وما أتاحه، وفي هذا الجانب، يؤكد الحسن بن طلال أنَّ ممارسة الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره، هو الطريق الوحيد لملء الفراغ في السيادة الإقليمية في الأراضي المحتلة، ويحاول ابن طلال أن يضع قراءته تقرير المصير في ضوء ما يمكن أن يوفره النظام الدولي للفلسطينيين؛ ما يجعل هذه القراءة نموذجاً لدراسات متعددة، سعت في محاولة إلى إثبات حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم؛ لتشكل في واقع الأمر، الجزء الأكبر من التوجهات الفلسطينية تاريخياً وحالياً، في محاولات تقرير المصير عبر منصات النظام الدولي. [64]

وفي المقابل، تصاعدت أصوات أخرى، وقفت ضد هذه التوجهات التي دعمت قراءة تقرير المصير عبر النظام الدولي، وبخاصة مع تصاعد فكرة الحل السلمي عبر منصات الأمم المتحدة؛ فها هو الكاتب ناجي علوش يوجه نقده إلى التوجهات الفلسطينية نحو مسار التسوية السلمية، التي أسهمت في إعادة تشكيل مسار القضية الفلسطينية، ويرى علوش أنَّ إعادة القضية إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن والدول الكبرى؛ سيعيد الشعب الفلسطيني إلى الدوامة،

---

[63] إميل توما.جذور القضية الفلسطينية. الناصرة: المكتبة الشعبية. 1972م. ص122– ص 134.

[64] الحسن ابن طلال.حق الفلسطينيين في تقرير المصير دراسة للضفة وقطاع غزة. لندن: مطبوعات كورونيت. 1981م.

وسيخرج مصيره من بين يديه، وفضلاً عن ذلك، يتطرق علوش إلى مشكلة السيادة المتعددة والمتشعبة، التي وقع تحتها الفلسطينيون داخل فلسطين والشتات، وأثر ذلك على إمكانية تحقيق السيادة الفلسطينية وتقرير المصير.[65]

وتُشكل فكرة السيادة والمقاومة واحدة أهم البنيات التي تتصل بفكرة تقرير المصير، رغم الاختلاف حول مفهوم السيادة والمقاومة؛ ففي مسيرة الثورة الفلسطينية، تعرضت هاتان الفكرتان إلى سيل من الأسئلة التي لا تزال قائمة، وذلك في سياق التحول الذي أصاب التوجهات الفلسطينية؛ بانتقالها من فكرة التحرر إلى فكرة الدولة، وفيما بعد، جاء اتفاق أوسلو مكوناً منبعاً أساسياً للنقاشات حول دور النخب الفلسطينية، التي تمثلت في بداياتها في منظمة التحرير ، وامتدت لاحقاً، إلى أحزاب وفصائل أخرى كانت خارجها.

وقد ظهرت كثير من الدراسات التي تُناقش فكرة حل الدولة والدولتين، في ضوء التحولات التي أصابت التوجهات الفلسطينية حيال فكرة (الخيارات) في تقرير المصير؛ فها هو رائف زريق يناقش فكرة حل الدولة/الدولتين، وبخاصة مع تنامي النقاشات الدائرة في أوساط المثقفين الفلسطينيين حول العودة إلى حل الدولة، وانتقال هذا النقاش إلى مجتمع النخب السياسية، وهنا، يتساءل زريق حول ماهية الدولة التي نتحدث عنها، وعن تركيبتها، وموقع الهويات فيها، وأثر ما فرضه الصراع الفلسطيني/ الصهيوني على الهوية والقومية تاريخياً، ويعرض ذلك عبر قراءة تاريخية، تستهدف بعض الأفكار الأساسية التي تتصل بفكرة الدولة في سياق القضية الفلسطينية، وفي مقدمتها الثنائية القومية، والهوية، إضافة إلى خطاب الدولة الواحدة، وإشكاليات حل الدولة الواحدة. [66]

وبكلمات أخرى، فإنَّ هذه المراجعات، تؤكِّد أنَّ القراءة التاريخية في الدراسات التي تناولت تقرير المصير الفلسطيني، قد ارتبطت بلغة النظام الدولي، وما فرضه من إعلانات خاصة، شكلت تحولات على المصير الفلسطيني، وانبرى جزء من المعالجات يبحث محاولة إثبات حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، في ضوء النظام الدولي ومحدداته،

[65] ناجي علوش. نحو ثورة فلسطينية جديدة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر. 1972م.

[66] رائف زريق. القضية الفلسطينية وحل الدولة/ الدولتين. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2014م.

وعبر ما يمكن تسميته حالة النمطية السياسية في محاولات تقرير المصير، ومن هنا، فإنَّ هذا المرور ينتهي عند موضوع الدراسة الأساسي، في محاولة الفلسطينيين وممارستهم إمكانية تحقيق تقرير المصير، خارج ما فرضته النمطية السياسية المتصلة بتوجهاتها، عبر النظام الدولي، وسيشكل نموذج الأسرى الفلسطينيين أساساً لهذه المعالجة، عبر محاولتهم السيادة وتقرير المصير، من خلال تجربة الإضراب عن الطعام.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ أغلب الدراسات التي عالجت قضية الأسرى الفلسطينيين، قد اعتمدت على التوثيق والرواية الشفوية، وأنَّ جزءاً كبيراً اتخذ الإنتاج الأدبي أساساً له، وقد تفاوتت مستويات تناول القضية، ولكن، ظلت التجربة وما فيها المصدر الأساسي، مع التأكيد على أنَّ جزءاً كبيراً من الدراسات قد حصرت نفسها في موضوع حقوق الأسرى في إطار النظام الدولي، كما تصدر مفهوما الحرية والكرامة المفاهيم الأكثر طرحاً، ومع ذلك، فإنَّ عدداً من الدراسات، قد تمكنت من جلب زوايا أخرى في مسار التجربة التاريخية للأسرى، والتعمق بمعنى المواجهة، وفلسفة الصمود، وأدوات الأسير، في منظومة السجن والبنية العنيفة،[67] وقد ذهبت بعض الدراسات إلى قراءة مضامين أخرى تعكس التجربة الاجتماعية والثقافية والتنظيمية لدى الأسرى الفلسطينيين،[68] وفي الوقت نفسه، تصب في مسار فهم محاولات الأسرى، مع بقاء المواجهة بأبعادها الوجودية والزمنية، وستشكل تجربة الإضراب عن الطعام لدى الأسرى الفلسطينيين في هذه الدراسة، نموذجاً لمعالجة منحى جديد، يتمثل في مسألتي السيادة وتقرير المصير؛ بوصفهما محاولة وممارسة في مواجهة بنية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني المتمثلة في منظومة السجن.

[67]Lena Meari. Sumud: A Philosophy of Confronting Interrogation. 2011.

[68] EsmailNashif. 2008. Palestinian Political Prisoners: Identity and Community . London: RoutledgeTaylor & Francis Group.

- **وليد دقة تجربة حية لمحاولة السيادة وتقرير المصير وممارستهما**

"السجن مكان حقير، وهو فعلا أسوأ اختراع صنعه الإنسان، ولكن الأسر هو الأخطر من السجن كمكان، أي السجن كعقلية أو ثقافة...وللتغلب على السجين، سجن المكان والعقل، لابد من الوعي والتثقيف...إن جاز التعبير ثقافة التحرر."[69]

لقد أحدث وليد دقة[70] (الأسير) الحرّ بفكره، تصدعات متعددة في تصوره منظومة السجن الصهيونية؛ فالمحاولة والاستمرارية التي تبحثها الدارسة، تتمثل في محاولة السيادة وتقرير المصير في منظومة السجن الصهيونية، كما تحاول جاهدة التمسك بها، كما لو أنها خيط يربط بقاء القدرة على المواجهة، وما تتضمنه من محاولات متعددة، في بنية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، تبدو أكثر قوة و عمقاً، حينما تصل إلى محاولة، كما في المحاولة الفكرية الحية للأسير دقة، الذي بدَّد عبرها كثيراً من الإجابات الجاهزة حول منظومة السجن، وبخاصة بما حملته الخطابات السياسية والشعارتية، الحقوقية منها.

فقد أعطى دقة معنىً جديداً للسجن، عبر استمرارية محاولته، التي حوّلت السجن كما يقول من "عذب نفسك بنفسك"[71]؛ انطلاقاً من واقع ما فرضته منظومة السجن (الحداثوي) من أنماط وأساليب في التعذيب،[72] إلى محاولة دقة الدائمة الوصول إلى التحرر والحرية من زنزانته؛ ليصبح المعنى المواجه له"حرر نفسك بنفسك؛"[73] ليؤسس

---

[69] وليد دقة. أوسلو قسم الفلسطينيين وشعبنا سيحاكم هذه القيادة. جريدة الأخبار اللبنانية.2019م. https://al-akhbar.com/Palestine/269160

[70] سيرة لا تختزل بسطور: الأسير القائد وليد دقة، المقاوم، من بلدة باقة الغربية في فلسطين المحتلة عام 1948م، ولد عام 1962م، واعتقل على خلفية مقاومته الاستعمار الصهيوني، عام 1986م، وحكم عليه بالسجن المؤبد، حدد لاحقاً بـ37 عاماً، وأضيف على حكمه عامان آخران عام 2018م، وقد ارتبط دقة عام 1999م، بزوجته الناشطة والصحفية سناء سلامة، التي شكلت نافذة وليد إلى الخارج، وقد شكل الإنتاج المعرفي لديه تجربة خاصة، ونموذجاً في صياغة مشروع تحرر، وحرية من أسوار السجن وزنازينه، ومن أهم ما أنتج فكرياً ومعرفياً (صهر الوعي)، و(يوميات المقاومة في مخيم جنين) عام 2002م، وعن الزمن الموازي (رسالة الأسير وليد دقة في اليوم الأول من عامه العشرين في الأسر، بالإضافة إلى حكاية سرّ الزيت.

[71] وليد دقة. *حرر نفسك بنفسك*. مقال نشر في صحيفة الحدث في تاريخ 16 نيسان/ أبريل 2020م، https://bit.ly/343s7qa

[72] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره.

[73] وليد دقة. 2020م . مصدر سبق ذكره.

دقة بمحاولته الفكرية العميقة معانيَ متعددة، *"معنىً ثقافياً مؤسساً، وهو مشروع للذاكرة، ومعنى سياسياً مؤسساً، وهو مشروع للتاريخ، ومعنى أمنياً لا يؤسس إلا للخراب، وهو مشروع للنسيان."*[74]

ويشكل فكر دقة، في هذا البحث، منهجاً أساسياً في بنيته، ومعانيه، بدءاً من محاولته إعادة تعريف التعذيب في كتابه (صهر الوعي)،[75] ومحاولته إعطاء معنىً جديد للزمن في (الزمن الموازي)،[76] بما فيه زمن المواجهة، التي تفرض المعنى الأهم لزمن السجن، وصولاً إلى مقالته الأخيرة وليست أخيراً، (حرر نفسك بنفسك).[77]

وقد تمكن دقة، على مدار سنوات أسره الـ35، من أن يفكك أسوار السجن بروايته، التي تركت وقعاً فكرياً خاصاً من بين محاولات الأسرى الفكرية، التي غلب عليها الرواية الأدبية، والمقصود هنا، إنتاجات الأسرى، يقول دقة: *"إن النص الثقافي الشاحن للهوية في الأسر، ليس بالضرورة نصاً مكتوباً، وإنما في الغالب مجموعة من السلوكيات اليومية، والمواقف التي يعيد الأسرى من خلالها إنتاج قيمهم الوطنية والأخلاقية الجامعة، وهم بذلك يوسعون حدود هويتهم؛ فيتحول الأسير إلى نص حي."*[78]

وإذا ما أخذنا محاولة تجربة الإضراب عن الطعام التي تُشكل مسار البحث ورحلته؛ بوصفها معركة حية ومستمرة، في وجه السّجّان؛ فهي ذروة المعنى فيما أشار إليه دقة، عن تحول الأسير إلى نص حي قبل أن يكون نصاً مكتوباً، يقول دقة: *"للسجن ألم بعد حداثي، الذي تعيشه الحركة الأسيرة غدا أكثر تركيباً، ويستدعي منا تفكيكه وفهمه، كواقع ؛ لنتمكن من إعادة تعريف التعذيب أو تعريف الألم."*[79]

---

[74] عبد الرحيم الشيخ. 2018. مصدر سبق ذكره.

[75] وليد دقة. 2010. مصدر سبق ذكره.

[76] وليد دقة. رسالة الأسير وليد دقة في اليوم الأول من عامه العشرين في الأسر!. 2010م. https://bit.ly/2SXpboO

[77] وليد دقة. 2020م. مصدر سبق ذكره.

[78] المصدر السابق.

[79] المصدر السابق.

وهكذا، فإنَّ دقة يسهم في فتح مسارات معرفية فلسطينية خاصة، وأخرى مشتركة للشعوب التي واجهت الاستعمار الاستيطاني، ومنها الشعوب الأصلانية، وفيها يتمكن دقة من هزّ كثير من القوالب الجاهزة، التي بدت (ثابتة)، حتى فقدت المعنى والوقع، وتحولت إلى معانٍ سِلعية.

فمعنى السيادة والمصير الذي تركه دقة في محاولاته الفكرية الحية، يعكس قوتها، عبر قدرته على الاستمرار في تطوير تلك المعاني؛ فهي أدوات مواجهة معرفية واعية، تُشكل مساراً جديداً للمواجهة، ومنها يعيد تعريف السيادة وتقرير المصير، الذي تسعى إليه الدارسة في هذا البحث؛ بوصفها سيادة فكرية وثقافية أصلانية.

وهكذا، يشكل فكر دقة طريق هذا البحث؛ بوصفه محاولة فكرية (وليدة) محاولات جديدة، تمثل المعنى الأساسي الذي يحاول هذا البحث التشبث به، وما هذا التشبث إلا من القوة الحية، التي يمارسها دقة، بمواجهته أدوات العنف والتعذيب الصهيونية الاستيطانية، والأهم محاولة تفكيكها، وأدواتها مختلفة؛ منها سياسة العزل الانفرادي، التي يجهل السّجّان في واقع الأمر قوة الحرية الفكرية التي يخلقها دقة من زنزانته الضيقة، وكيف يُسهم الضيق المضاعف في خلقه، وأخيراً، كيف حرر من هذا الضيق عبر المحاولة، نطفة منه؛ لتتجسد محاولته الوجودية، بطفلته ميلاد[80]، فهل هناك أبلغ من معنى المحاولة والممارسة التي فرضها دقة في مواجهة بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؟!

مراجعة أدبيات تجربة الإضراب عن الطعام تاريخياً بوصفها محاولة وممارسة منذ عام 1967م–1993م.

احتلت تجارب الإضراب عن الطعام لدى الأسرى الفلسطينيين في سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، أبرزما حضر في كتابات الأسرى، وأعطت صورة مكثفة عن المواجهة بين الأسير والسّجّان بأبعادها المختلفة، وكشفت

[80] رزق وليد دقة وزوجته سناء في شهر شباط/ فبراير 2020م، طفلتهما (ميلاد) عبر النطف المحررة، وهذه رسالة وجهها دقة قبل أن ترى النور، رسالة الأسير وليد دقة لميلاد قبل أن ترى النور: انظر في https://bit.ly/355J9mR

عن تفاصيل (العلاقاتية) المعقدة والمركبة في بينة السّجن بما فيه من عنف، وتركت هذه التجربة جملة من الأسئلة على مستويات متعددة، وبخاصة فيما يتصل بأهميتها؛ بوصفها محاولة وممارسة مستمرة في مواجهة بنية العنف، ودور (الخارج) السجن الكبير في تحديد مسارها ومصيرها، وكيف شكلت مِصفاة لقراءة المراحل التي نفّذ فيها الأسرى إضرابات عن الطعام؟ وكيف فرضت رواية مختلفة وخاصة في كل إضراب؟ إضافة إلى الإشكاليات الطارئة في مسار المواجهة بالإضراب عن الطعام.

ويبدو أنَّ أغلب الأدبيات التي تناولت تجربة الإضراب عن الطعام، قد تناولتها بوصفها سلسلة من الأحداث، وثقها الأسرى الذين خاضوا الإضراب، ولم تعكسها بوصفها رواية، بما فيها من تحليل تستمده من وقع كل مرحلة، وتفاصيل حول العلاقة بين الأسير والسّجّان، أو بين الأسرى أنفسهم، أو كونها محاولة مستمرة تعرضت لتغيرات.

وفضلاً عن ذلك، فقد اعتمدت أغلب الأدبيات، التي تناولت تجارب الأسرى، على الرواية الشفوية، بما فيها تجربة الإضراب عن الطعام، التي ألقت بظلالها على هذه الأدبيات؛ فخرجت بأبعاد مهمة بعد قراءة هذه التجربة، على الصعيد الإنساني، والتاريخي، والسياسي، بما مثلته من انعكاس لتجربة كثيفة، وما شكلته من حقل معرفي مهم، وبخاصة فيما يتصل بآليات مواجهة الاستعمار وأدواته، التي تهدف إلى الإنكار، والنفي، والإقصاء، والسلب. [81]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ تناول تجربة الحركة الأسيرة، يجعل المرء يشعر أنها أقرب إلى مسيرة مليئة بالانحناءات، والتداخلات، والصعود، والهبوط، بما في ذلك تجربة الإضراب عن الطعام، بوصفها ناظم العلاقة بين الأسير والسّجّان في بنية السجن؛[82] إذ اجتهد الباحثون والدارسون في عملية التوثيق التاريخي لتجربة الأسر مرحلياً، بما

[81] عبد الستار قاسم. مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية. بيروت: منشورات دار الأمة. 1986م. ص 13.

[82] مقابلة مع الأسير (ع.ت). حيث جرى اعتقاله مجدداً خلال البحث. جرت المقابلة في جامعة بيرزيت. 2018م.

فيها تجربة الإضراب عن الطعام، معتمدين على معايير تخدم دراساتهم وأبحاثهم؛ فمنهم من شكلت أنماط المواجهة وما أصابها من صعود وهبوط المعيار الأساسي، وآخرون ذهبوا إلى تقسيم المراحل استناداً إلى التجربة الثقافية، ومنهم من استند إلى توصيف الفترات الاعتقالية،[83] وهنا، ستعتمد الدارسة في هذا الفصل، على تقديم مراجعة لتجربة الإضراب عن الطعام في أدبيات الأسرى الفلسطينيين؛ بوصفها محاولة وممارسة مستمرة ومتراكمة، اعتماداً على ما أنتجوه، وأنتجه غيرهم من أدبيات، إضافة إلى مجموعة من المقابلات التي نفذتها الدارسة لأغراض البحث.

[83] رأفت حمدونة. الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية في الفترة ما بين 1985م- 2015م. رام الله: سلسلة إصدارات وزارة الإعلام. 2018م ص 50 –ص 53.

غياب المحاولة

غابت رواية تجربة الإضراب عن الطعام في الأدبيات التاريخية الفلسطينية في الأعوام التي سبقت عام 1967م، ويبدو أنَّ هذا الغياب طبيعي، مع غياب مجمل رواية تجربة الاعتقال، التي تمثل جزءاً من الرواية الفلسطينية التي تعرضت لمحاولات محو مستمرة؛ فقد اعتمد معظم الباحثين والدارسين على تأريخ تجربة الاعتقال الفلسطينية منذ أعوام 1967م، وهو التاريخ الذي فرضه نشوء منظمة التحرير الفلسطينية، ولاحقاً، تشكُّل الحركة الأسيرة؛ وظلّ الحديث عن الاعتقال حدثاً محدوداً عابراً هامشياً، وقد طغى عنف المستعمِر على الأدبيات، وظلَّ المعتقلون مجرد أرقام ونتاج الأحداث.

ففي مرحلة الاستعمار البريطاني، التي بدأت منذ عام 1917م، تطرقت أدبيات قليلة، بصورة أو أخرى إلى عمليات الاعتقال التي نفذها الاستعمار، وظهرت نتاجاً للهبات والثورات التي شكلت أحداثاً فارقة في تاريخ مواجهة الاستعمار آنذاك، ومنها عمليات اعتقال مئات الفلسطينيين ما بين أعوام 1920م- 1929م، غير أنَّ هذه الأدبيات قد اكتفت بالحديث عن هؤلاء المعتقلين؛ بوصفهم أعداداً منتهية المصيرهم، في ظل إصدار الأحكام بحقهم، أو إعدامهم، [84] وقد فرض هذا الغياب أيضاً غياباً لتجربة الإضراب عن الطعام تلقائياً؛ فمرت أحداثاً عابرة، على غرار تناول المعتقلين ؛ بوصفهم أرقاماً.

وهذا لا يعني بالضرورة أن الإضراب عن الطعام لم يكن أداة مواجهة، بخاصة أنَّ بعض الأدبيات، ومن المحاولات القليلة لجلب وقائع هذه الفترة، قد ذكرت بصورة عابرة أحداثاً جرت على خلفية عمليات الاعتقال، ومنها خوضهم إضرابات عفوية وغير منظمة، ومما وثقته الأدبيات في تلك الفترة إضراب 196 معتقلاً عربياً في سجن عكا

[84] كامل خلة. فلسطين والانتداب البريطاني. 1922- 1939. طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. 1982م. ص 239- 457.

عن الطعام احتجاجاً على اعتقالهم دون مبرر أو محاكمة.[85] وأسهمت بعض الجهود البحثية في جلب رواية المعتقلين في تلك المرحلة، كما في كتاب عهد الانتداب البريطاني في الذاكرة الشعبية الفلسطينية،[86] وفيه يستحضر الكاتب عدداً من روايات من عايشوا تجربة الاعتقال، التي عكست كثافة العنف الماثلة في أدوات المستعمِر، لكن، ظلّ استحضارها هامشياً؛ ما فرض غياباً لأدوات المواجهة في حينه، ومنها الإضراب عن الطعام؛ فاستمرّ الأسير (سالباً) في الأدبيات؛ إذ لم تقدم تلك المحاولات أسيراً (فاعلا) في مواجهة السّجّان.

أمّا الأعوام التي تلت النكبة عام 1948م؛ فقد عرفت الحديث عن تجربة الإضراب عن الطعام، غير أنه كان حديثاً عابراً، وذلك مع تصاعد عمليات الاعتقال، ومع ذلك، فقد ظلّ فعلاً ذاتياً مع بعض المبادرات الجماعية النسبية غير المنظمة، دون أن يكون هناك أي تفصيل عن واقعها، انطلاقاً من كونها تجربة، وظلت محصورة كما كانت في السنوات التي سبقت النكبة، كما استمرت في الظهور على هيئة نتاج أو محصلة للأحداث التي رافقت حرب 1948م، أو تبعتها،[87] ومن ثَمَّ بدأت تظهر تجربة الاعتقال عبر مذكرات خاصة،[88] منها مذكرات بهجت أبو غربية[89]، وحنا ديب نقارة،[90] وأخيراً، ظهرت مذكرات الشيخ عرابي بدوي.[91]

وعلى الرغم مما تقدم؛ فقد ظهرت بعض المحاولات الجادة بعد عقود لجلب رواية الأسرى عن فترة حرب 1948م، وهنا تستعرض الدارسة واحدة من هذه المحاولات، التي يمثلها كتاب (أسرى بلا حراب)، الذي اعتمد في مجمله على أرشيف الاستعمار الصهيوني، والرواية الشفوية لبعض من تعرضوا للاعتقال، ولكن، ظلّ الإضراب عن

---

[85] كامل خلة. مرجع سبق ذكره. ص 671.

[86] نبيل علقم. عهد الانتداب البريطاني في الذاكرة الشعبية الفلسطينية. عكا: مؤسسة الأسوار. 2002م ص 89.

[87] انظر في: عارف العارف. النكبة (نكبة) بيت المقدس والفردوس المفقود. رام الله: مجلة الدراسات الفلسطينية. 2013م.

[88] عادل مناع. نكبة وبقاء وحكاية فلسطينيين ظلوا في حيفا والجليل (1948- 1956). رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2016م. ص 271.

[89] بهجت أبو غربية. مذكرات المناضل بهجت أبو غربية. 1916-1949. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1993م. ص 167

[90] انظر في: حنا نقارة. مذكرات محام فلسطيني حنا ديب نقارة محامي الأرض والشعب. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1985م.

[91] انظر في: المعتقلات الاستعمارية البريطانية في مذكرات الشيخ عربي بدوي (أحد ثوار 1936م) نضالات وآلام وراء القضبان.إصدار هيئة شؤون الأسرى والمحررين. 2019م.

الطعام في هذه المحاولة مجرد حدث عابر، ومع ذلك، فإنَّ أهمية تناول هذه المحاولة تكمن في وجود محاولة لجلب رواية المعتقلين في تلك المرحلة؛ إذ كانت الأدبيات التي تتحدث عن المعتقلين من خلال الرواية قليلة، وظلّ حضور تجربة الإضراب عن الطعام حضوراً محدوداً في رواياتهم؛ فقد ظهرت هذه التجربة برداء ردة الفعل على حدث عنيف معين؛ فيذكر حسني سليمان مروات من الناصرة: *" كان واحد من الناصرة اسمو محمد عطية قام وأعطى واحد من الجش لا أذكر اسمه سيجارة، من فوق السياج، فقام الحارس وطخوه وأنا شفت جثته على الأرض قبل ما يدفنوه خارج المعسكر، واحتجاج على الجريمة أضربنا ليوم واحد"*، [92] ويقول مبارك خالد نصار في روايته: *"إن سليم من يافا الناصرة أضرب عن الطعام حتى مات، رغم محاولات البعض إطعامه بالقوة"*،[93]كما يشير حنا نقارة إلى إعلان الأسرى إضراباً عن الطعام في سجن عكا بسبب سوء التغذية، في حين أشار بعض الأسرى إلى أن أسباب الإضرابات كانت بسبب قسوة العمل والمعاملة، بصورة عامة، وهذا ما جاء على لسان إبراهيم بولس: *"أضربنا عن الأكل احتجاجا على عدة أشياء، المعاملة السيئة، والعمل بشروط لاإنسانية، وعلى الأكل"*، ومن أبرز ما استحضره الكتاب حول الإضراب عن الطعام ما ذكره حبيب بطرس زريق: *"أعلنا الإضراب احتجاج على المعاملة السيئة وكتبنا مناشير وأعطيناها لمعتقلين كانوا يشتغلوا خارج المعتقل، ووزعوها ... وبعثنا رسالة لجريدة الاتحاد وبعدين أضربنا 45 واحد عن الطعام لمدة خمسة أيام... بعدين خافوا من تراكم المشاكل فوزعونا ... علشان يكسروا الإضراب.."* [94]

وهكذا، فإنَّ ما ذكره بطرس من الأهمية بمكان، كيف لا، وهو يؤكد ظهور ملامح المحاولة؟ وبخاصة فيما ذكره حول عدد الأسرى المشاركين في الإضراب، فضلاً عن أن كونه تحت قيادة أعضاء عصبة التحرر؛ ما يعني أن التنظيم كان سبباً في حشد هذا العدد للمشاركة في الإضراب، يضاف إلى ذلك استمراره خمسة أيام؛ ما يوحي بتحول مهم على صعيد فترة الإضراب، قياساً إلى ما ذكره أسرى آخرون، ولا يخفى على أحد ما تركه هذا الإضراب من أثر نسبي

[92] المصدر نفسه. ص 58.

[93] المصدر نفسه. ص 209.

[94] المصدر نفسه. ص 101.

على المعاملة السيئة، وتحديداً فيما يتصل بإجبار الأسرى على العمل، يقول محمود أحمد الخطيب: *"إلا أن هذه الضغوط قلت إلى حد كبير بعد تنظيم المعتقلين الإضراب.."*،[95] كما أن محاولة تفريق الأسرى المضربين ما هو إلا دليل على ذلك الأثر، ومن الملاحظ أن الشيوعيين قد مثلوا كان التنظيم البارز في تجربة الإضراب عن الطعام، وذلك بما يملكونه من قدرة على حشد أنفسهم في مواجهة واحدة، وهذا ما أشار إليه نديم نجيب موسى، حين روى تجربة 75 شيوعياً في معتقل (عتليت)، أضربوا عن الطعام خمسة أيام،[96] كما يشير عودة الأشهب إلى أنهم خاضوا إضراباً عن الطعام في (إجليل)؛ احتجاجاً على محاولة تفريقنا، في إشارة منه إلى الرفاق الشيوعيين؛ إذ تعمد السّجّانون محاولة تفريقهم، لتحريض الأسرى على رفض عروض تتصل بنقلهم إلى الأردن. [97]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ هذه المحاولات قد أسهمت في إظهار تلك الفعالية، ولو بصورة نسبية، بعد أن غابت كلياً عما ذكر عن تجربة المعتقلين ما قبل عام 1967م، ولكن، تبقى هذه الإشارات إلى أدوات المواجهة، ومنها الإضراب عن الطعام، محدودة، وبخاصة أنها جاءت نتاج أحداث جرت مع الأسرى في حرب عام 1948م، فهناك فارق كبير بين الإشارة إلى الإضراب؛ بوصفه حدثاً، وتجربة الإضراب التي تكشف في كل مرة، معبر تتبع مسارها، عن تغيرات وتحولات ولغة خاصة بها، كيف لا، والإضراب عن الطعام يمثل ذروة المواجهة بين الأسير والسّجّان؟ بل إنه تحول، مع مرور الوقت وتراكم التجربة، إلى ثقافة خاصة أفرزتها تجربة الأسر؛ لتعبر عن تحولات مراحل تجربة الاعتقال، وبخاصة بعد عام 1967م، وهذا ما ستعرضه الدارسة لاحقاً، ومع ذلك، فإنَّ استحضار المحاولة قبل نشوء الحركة الأسيرة، يعطي دلالة هامة على تراكم هذه التجربة في ثقافة الأسير لمواجهة السّجّان.

---

[95] المصدر نفسه. ص 101.

[96] المصدر نفسه. ص 216.

[97] المصدر نفسه. ص 165.

الإضراب عن الطعام بوصفه محاولة وممارسة على طريق التنظيم

واجه الأسرى في مرحلة الستينيات، وحتى بداية السبعينات من القرن الماضي، تحديات وعقبات كبيرة داخل السجون، على صعيد الأوضاع الداخلية والعلاقة بين الأسرى أنفسهم؛ إذ يشير أبو علي شاهين في كتاب (الهواء المقنع) إلى أن معظم أسرى تلك المرحلة من الشبيبة الصغيرة، كانوا يفتقرون إلى الوعي الاجتماعي والسياسي، كما أن جزءاً كبيراً منهم لم يكن على درجة من التثقيف؛ ما جعل هذه التحديات تخلق دافعاً كبيراً ليكون الأسير مطالباً بالنضال أكثر وعلى جبهات متعددة.[98]

ويصف أبو علي شاهين تجربة المعتقل الصهيوني بقوله: *"أسوأ ما فيه هو أنه مجتمع أزمة منتصرة، أزمة المكان الواحد، أزمة المشروع الاستيطاني الصهيوني، أزمة ذات الإنسان، وهذا من شأنه أن يخلق لدى المعتقل حالات نفسية عصبية تقترب إلى الجنون"*،[99] وهذا بالطبع انعكس على مسار المواجهةومصيرها، تلك التجربة التي تمكن الأسرى من ممارستها في تلك المرحلة، ومنها الإضراب عن الطعام، *يقول أبو علي شاهين: "يقولون إن الإضراب عن الطعام هو السلاح الأخير في يد المعتقل، وأقول إنه النار التي يتطهر بها نضال المعتقل والأسير، حيث إن الإضراب يفرز الغث من السمين، والزبد يذهب، ويبقى الخير النضالي."* [100]

ويشير أبو عباية إلى أن تنظيم الحياة في السجون لم يدخل إلا في نهاية عام 1969م، *وذلك حين التقى الأخوان عبد العزيز شاهين (أبو علي) وعمر القاسم، وبدءا سوياً بالتفكير في كسر سياسة الإدارة وتمكنوا من عبور نهر*

---

[98] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص89

[99] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 89

[100] محمد القيسي. الهواء المقنع أبو علي شاهين، خمسة عشر عاما في الاعتقال الصهيوني. ص 132.

الخوف والرعب الذي ساد بين الأسرى"؛ ما يعني أن رواية المحاولة قد انتقلت من الرواية عن عنف المستعمِر، إلى رواية الأسير الفاعل، وأساسها المواجهة.[101]

وبدأت تظهر تجربة الإضراب عن الطعام في ثوب المحاولة والممارسة في رواية الأسرى في نهاية الستينيات، وبخاصة في عام 1968م، لكنها لم تصل في حينه إلى الفعل الجماعي المنظم، واقتصرت على التشكل الجمعي في بعض السجون، وتزامن ذلك مع بداية تشكل الحركة الوطنية الأسيرة بعد عام 1967م، إلا أنَّ هذه المحاولة قد تركت أثراً كبيراً على مصير المواجهة في تجربة الأسرى الفلسطينيين، ومنها الإضراب عن الطعام، الذي مثل ذروة المواجهة ومعناها،[102]وحتى أواخر السبعينيات، نفذ الأسرى نحو ثمانية إضرابات، وكان كل سجن بمثابة تجربة جماعية ذاتية خاصة، تمكن الأسرى، عبرها، من تحقيق تراكم في طبيعة المواجهة، والمكاسب الحياتية، والوجودية، التي فرضتها التجربة بأبعادها المختلفة، وخلقت زمنًا آخر للأسير، في فترة تُعَدُّ الأكثر سلبًا وقهراً وإذلالاً للأسير الفلسطيني، بشهاد مجمَع عليها. [103]

وقد فرضت المحاولة الأولى للإضراب عن الطعام، على الرغم من ضعف التنظيم، مستوى عالياً من قدرة الأسير على ابتكار أدوات لمواجهة عنف السّجّان، والاستمرار فيها، ومحاولة استعادتها في كل مرة؛ ما أسهم في خلق مسار تراكمي واضح لها؛ إذ شكلت كل تجربة من تجارب الإضراب إضافة جديدة على مستوى أدوات المواجهة ومصيرها.

---

[101]حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 25 .

[102]حلمي عنقاوي. المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان. رام الله: مطبعة الغد. 1995م. ص65

[103]عيسى قراقع. الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو (1993م– 1999م). رام الله: جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير. 2000م.

وفي ظل الغياب التام للأطر التنظيمية، ووجود خلافات داخلية ومحدودية الوعي لدى الأسرى، واتسام طرق المواجهة بالعفوية، عملت أجهزة الاستعمار الصهيوني على تمزيق صفوف الأسرى ومواقفهم، [104] ووصفت الإضرابات حينها (بالامتناعية)؛ إذ تمثلت مطالبها، بوقف استخدام الضرب والاعتداء، وإلغاء القيود الإذلالية المفروضة على الأسرى، والسماح بإطلاق الشعر والشارب، وحرية العمل، أي عدم إجبار الأسرى على العمل.[105]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ تجربة الإضراب قد ظهرت في أغلب إنتاجات الأسرى مبادرات ذاتية، ثم تحولت إلى تجربة جمعية نسبياً، حتى ارتقت لتكون تجربة جماعية شاملة، وهذا النمو في التجربة يحمل كثيراً من الدلالات، فيما يتصل بتجربة الاعتقال كلها، ومنها تجربة الإضراب، وأهمها هو تنظيم المواجهة.

وقد شهدت تجربة الإضراب تحولات متعددة، يمكن قراءاتها عبر مسار كل إضراب على حدة، أو إضرابات كل مرحلة على حدة، مع قراءة تراكمية، وهذا الأهم؛ فالتراكم الذي خلفته هذه التجربة (الاستمرارية) قد أنتج معرفة خاصة في أدبيات الأسرى، وشكل باباً واسعاً لفهم أبعاد تجربة الاعتقال ومكنوناتها، والمواجهة بالإضراب، باستثناءاتها التي استمدتها من طبيعة المواجهة وأدواتها ضد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، مع الأخذ بعين الاعتبار التفاوت في مصير كل إضراب، والأهم محاولة فهم استمرار المحاولة والممارسة وأهميتها في محاولة السيادة وتقرير المصير؛ بوصفه معنىً تفرضه تجارب الإضراب.

وكانت أولى الإضرابات التي نفذها الأسرى، في سجني بيت ليد (كفر يونا)،[106] والرملة حيث كانت تقبع الأسيرات، وذلك عام 1969[107]م؛ فقد أجمعت اغلب الأدبيات على توصيف المحاولتين بالارتجال، والعفوية،

[104] عيسى قراقع. 2000م. مصدر سبق ذكره. ص 14

[105] عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص15

[106] حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 18- ص 19.

[107] عائشة عودة. مصدر سبق ذكره. ص 60.

والاقتران بشخص الأسير العسكري. [108] يقول أبو عباية في إضراب عام 1969م: *"كسروا الإضراب بالقوة بالبرابيش والدم إلي نزل (الزوندا)[109]، كانوا بيطحوا الواحد على الأرض، على بطنه، ويكتفوا إيدي، ويجي حدا من قدام ايحطوله البربيش بطريقة همجية، وقفنا الإضراب في اليوم التاسع لأنو صار عنا إصابات كثيرة متعددة في الفم والحلق وغيرها.."*

إضراب عام 1970م وأثر الاستمرار

إن استمرار المحاولة والممارسة هو التحدي الأبرز للمواجهة بالإضراب عن الطعام، وعلى الرغم من أنَّ الأدبيات المتعددة قد تناولت إضراب عام 1970م، وما لحقه من إضرابات خلال السبعينيات، وبخاصة إضراب عام 1976م، إلا أنَّ الحديث عنها قد جاء في سياق سرد الأحداث وتبيان بعض التفصيلات التي رافقت الإضراب، وهذه سمة طاغية على مجمل المراجعات التي قدمت حول إضرابات هذه المرحلة؛ ما دفع الدارسة إلى محاولة قراءة تجربة الإضراب عن الطعام في هذه الأدبيات؛ بوصفها محاولة مستعادة ومتجددة ومتراكمة، تسهم في معنى السيادة وتقرير المصير.

ففي سنوات الستينيات والسبعينيات، تمكن الأسرى من تسطير المرحلة بالإضرابات المتعددة، التي أنتجت أدوات واضحة وأساسية للمواجهة؛ فقد كان إضراب (عسقلان) الشهير، الذي استمر التحضير له من حزيران عام 1969م- تموز عام 1970م، أبرز الإضرابات في تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية، بما تركه من تحولات على واقع الأسرى داخل السجون الصهيونية، وأثر على وعي الأسرى في أهمية المواجهة الجماعية، وكسر صورة السّجّان المتحكم،

---

[108] أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 19 .

[109] (الزوندا) التغذية القسرية: خرطوم (بربيش) في نصفه ما يشبه الكرة لضغط الهواء، وفوق محقان، يضعون الحليب فيه، ثم بدخلون الخرطوم إلى الفم، وبتكرار إدخاله وإخراجه، ينزل الدم، يقول أبو عباية عن الزوندا: "كانوا يكتفونا من الوراء، وواحد يمسك الرأس، ويجيبوا اثنين يحطوا البربيش، كنت أحس بألم شديد، وما أصدق وهم يحطوا الحليب، ويفلتوني، ويعتقوني لوجه الله."

إذ استمر سبعة أيام، وفيه ارتقى الأسير عبد القادر أبو الفحم شهيداً،[110] وفي العام نفسه، خاضت الأسيرات إضراباً في سجن الرملة (نفي ترتسا)، اتَّسم بالمطلبي[111]، يقول أبو علي شاهين عن إضراب عسقلان 1970م: *"كان إضراب (عسقلان) هو الخطوة الأولى في رحلة الإضرابات المنظمة في السجون الصهيونية، والنقلة النوعية في الصراع الدائر في المعتقلات، وقد كان عسقلان نموذجاً خاصاً للإرهاب ولقتل الإرادة الفلسطينية، ونستطيع أن نلمس حجم المردود المعنوي لهذا الإضراب، حينما غدت السجون تتساءل، بأنه إذا كان عسقلان وهو ما عليه من قمع قد أضرب فلماذا نحن لا نضرب وهكذا بدأت الشرارة، شرارة الإضراب."* [112]

وتتابعت الإضرابات بعد إضراب عام 1970م؛ فقد نفذ الأسرى مجموعة منها، ولم يجعلوها محصورة في الإضراب عن الطعام؛ فقد خاض أسرى (عسقلان) مجدداً مجموعة من الإضرابات الاحتجاجية، منها إضراب عن الخروج للفورة (الساحة)، وكذلك الزيارة، وكان ذلك عام 1972م، وفي عام 1973م خاض أسرى (عسقلان) إضراباً مشابهاً، وفي العام نفسه، أضرب أسرى سجن (بيت ليد) تسعة أيام، وانتهى إضرابهم بعد تفريق المعتقلين جميعهم، والتحق أسرى سجن (بئر السبع) بالإضراب، غير أنَّه تمثل في الإضراب عن الحمام، والساحة، والزيارة، والحلاقة، إضافة إلى التوقف عن العمل؛ إذ قامت الإدارة بحلق اللحى بالقوة، حتى نزف الأسرى.[113]

وهكذا، فقد مثلت هذه الإضرابات نوعاً آخر من المواجهة بالرفض والعصيان والتمرد على السّجّان، ومع مرور الوقت، تحولت إلى مبدأ أساسي في العلاقة بين الأسير والسجان، كما حققت في كثير من المحطات تحولات واضحة على مستوى الظروف الحياتية للأسرى، وخرجت فكرة الإضراب من بوتقة الطعام، ولم تعد محصورة فيها، مع

---

[110] حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 25- 27.

[111] انظر في: عائشة عودة. مصدر سبق ذكره.

[112] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 104

[113] حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره.

فارق أساسي من حيث مستوى المواجهة؛ فمواجهة الإضراب عن الطعام أعلى؛ لاقترانها بمصير الأسير وحياته؛ ما جعل هذا النهج يشكل أساساً نحو محاولة السيادة وتقرير المصير.

إضراب عام 1967م المحاولة والممارسة الأبرز

فرضت تجربة إضراب عام 1967م ذاتها على الأدبيات؛ ولعل ذلك مرتبط بمستوى المواجهة التي فرضها الأسرى على السّجّان، كما تركت أثراً كبيراً على معنى استمرارية المحاولة والممارسة وتراكمها؛ ما يجعله يحتل النصيب الأكبر من القراءة والاهتمام في أدبيات الأسرى، وفضلاً عن ذلك، فقد ترك تحولات مصيرية على التجربة الاعتقالية ومصير المواجهة لاحقاً؛[114] فقد استمدت المحاولة معناها من كونها امتداداً للإضرابات الأولى التي خاضها الأسرى، وبخاصة في المحاولة الجماعية الأولى عام 1970م في (عسقلان)، وكان الفاصل الزمني بين الإضرابين، الذي استمر نحو ست سنوات، هو المسار الذي أنضج المحاولة عام 1967م، كيف لا، وقد مرت مواجهة الأسرى، خلال هذه السنوات، بمنحنيات، وهبوط، وصعود، وتحديات داخلية بين التنظيمات،كان لها وقعها الكبير على العلاقة مع السجان؟ وبخاصة عند معرفة أنَّ الأسرى الذين شاركوا في الإضراب كانوا 428 أسيراً.[115]

وهكذا، فإنَّ الاستمرارية لا يمكن قراءتها من تجربة أولى وثانية وثالثة، بل إنها تأخذ نمواً واضحاً على الأصعدة المتصلة بالمواجهة والتنظيم كافة، وهذا هو الأهم، وبكلمات أخرى، فإنَّ قراءة هذه التجربة، على وجه الخصوص، تعطي قوة لمعنى استعادة المحاولة في زمن قصير؛ ففي 11 ديسمبر 1967م، خاض الأسرى الإضراب عن الطعام، واستمر (45) يومًا، وبعد عشرين يوماً من وقفه، أعلن عدد من الأسرى إضرابهم مجدداً، غير أنه انتهى بتوزيعهم على سجون أخرى، بينما استمر عدد منهم في الإضراب الثاني (20) يوماً، إلا أنه انتهى بمأساة للأسرى؛ إذ صعّدت

[114] عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص 16

[115] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 132

سلطات الاستعمار الصهيوني من عنفها وسياسات السلب بحق الأسرى، ومحاولتها الدائمة تفكيك وحدة التنظيم داخل السجون، ومواجهة أية محاولة بناء، باستخدام العنف والنقل المتكرر. [116]

وعلى الرغم من أنَّ أغلب الأدبيات، قد حاولت قراءة مصير الإضرابات بصورة عامة، انطلاقاً من النتائج وتحقيق المطالب، إلا أنَّ الأمر بهذه الصورة ليس كافياً للحكم على مصير الإضراب، وبخاصة عند محاولة فهم أهمية بقاء المحاولة والاستمرارية في معنى مصير التجربة؛ بوصفها محاولة وممارسة للسيادة وتقرير المصير، ففكرة النجاح والفشل يمكن قراءتها عبر وضعها في سياق زمن المعركة والظروف المحيطة بها، مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية وجود فعل جماعي في مواجهة السّجّان.

ويمكن القول: إنَّ إضرابات الستينيات والسبعينيات التي صُبغت بالصورة المطلبية، قد استمدت أهميتها من وضع ملامح المحاولة، وإمكانية استمرارها وتراكمها، وقد يتسع معنى المحاولة هنا، التي تُفضِّل الدارسة عدم وضعها في سياق تعريفي محدد؛ لأنها هي من تعطي المعنى عبر الزمن، ولكن، يمكن وضع معناها في سياق تجربة الإضراب في كل مرحلة، وطرح التساؤل: ما الذي حملته المحاولة هنا؟ وهذا ما أشار إليه الأسرى في تعبيرهم عن تجربة إضراب عام 1976م؛ فقد كسرت هذه المحاولة حاجز الخوف والرعب الذي بنته سلطات الاستعمار الصهيوني؛ بغية سلب الأسير إنسانيته وقدرته على المواجهة، وأظهرت الفعالية الحقيقية للأسير داخل السّجن، بأبعاد مختلفة، وتحولت السجون إلى قلاع ثورية، بعد أن أرادت إدارات السجون الصهيونية أن تكون مواقع للإفراغ السياسي والتدمير الذاتي. [117]

ويشير أبو علي شاهين إلى ذلك بقوله: *"إن هدف الإضراب، ليس فقط في تحقيق المطالب المحددة، بقدر ما كان خلق اللحمة الاعتقالية، من خلال الفعل النضالي المبني على الممارسة العملية للصراع والمواجهة .. وأهمها*

[116] حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 52- 63.
[117] عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص 18

الإضراب عن الطعام"[118]، وبخاصة بعد سنوات من الصراعات التنظيمية التي سادت قبل الإضراب، التي أشارت إليها أدبيات الأسرى المتعددة، وبخاصة فيما يتصل بظهور الجماعة الإسلامية في مطلع السبعينيات، ورفضها المشاركة في أية مواجهة؛ انطلاقاً من مبدأ رفضهم نهج أسرى التنظيمات الأخرى.[119]

ومن الملاحظ كذلك، أنَّ هذه الإضرابات قد اقترنت بسجن (عسقلان) آنذاك؛ لتركيبة المعتقلين وتجربتهم في الخارج؛ إذ ضم رموزاً مهمة في العمل الثوري للحركة الوطنية الفلسطينية، التي تضمنت قيادات من حركة فتح والجبهة الشعبية، نقلت تجربتها التنظيمية إلى داخل السجن، وسيطر مشهد المحاولة على التجربة، رغم الصراعات التي لم تغب عن تلك التنظيمات، لتبلغ ذروتها في منتصف السبعينات، ولكن، بعد هذه الحقبة، ستظهر تجربة الإضراب عن الطعام أكثر تماسكاً وتنظيماً، وستتصدر لها أسماء سجون جديدة، كما في سجني (نفحة) و(جنيد).

الإضراب عن الطعام منذ 1980م–1992م المحاولة والممارسة الأكثر تنظيماً وتأثيراً

أخذت تجربة الإضراب عن الطعام، منذ بداية الثمانينيات، تكشف عن قوة المحاولة، واستمرارها المرتبط أساساً، بما راكمته الحركة الأسيرة في السنوات السابقة، من جهد كبير في محاولة التنظيم وبناء مسار المواجهة الجماعية، وبدا جسد الحركة الأسيرة أكثر صلابة وقوة، ولعل أهم الأسباب التي أسهمت في ذلك هو نوعية الأسرى وتركيبتهم، فقد كان أغلب من جرى اعتقالهم في تلك المرحلة، ممن اصطبغت تجربته الثورية بوعي تنظيمي وسياسي وثقافي، لا فرق في ذلك بين القواعد الفدائية والتجارب السياسية، التي سبقت العمل الفدائي؛[120] ما جعل الأسرى ينجحون في بناء الأطر التنظيمية والوطنية، وخلق مناخ جمعي، واختراق الحواجز المتعددة، التي صممها الاستعمار؛ لسلب الإنسان الفلسطيني واحتوائه؛ ما انعكس فعلياً على تجربة الإضراب عن الطعام.

---

[118] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 132.

[119] حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 52.

[120] المصدر السابق

يقول علي جرادات: "*في 76 بقيت صغير، وتحمست للإضراب، وفي 79 تحمست، طيب، وفي 88، وفي 92، وفي 94، وفي 2002، وفي 2008 .... هذه كانت قناعات عقائدية، واجب وطني، حاصر حصارك، ما في خيارات؛*" [121] ففي هذه العبارات تجسيد واضح لمعنى المحاولة والاستمرارية في المواجهة، عبر الإضراب عن الطعام، التي تنطلق من الذات الثورية للأسير، وتجد قوتها بالقرار الجماعي.

فقد شكل إضراب الأسرى عام 1980م، في سجن (نفحة)، المحاولة الأبرز التي فرضها الأسرى، بعد حرب جديدة شنتها إدارة السجون الصهيونية، في محاولتها تجريد الأسرى من منجزاتهم، التي حققوها على مدار السنوات الماضية، فكانت أولى خطواتها نقل قيادة الأسرى وعزلها، ومع ذلك، استمر الإضراب 20 يوماً، وأُستشهد فيه الأسيران: (راسم حلاوة) و(علي الجعفري)؛ نتيجة التغذية القسرية، التي شكلت آنذاك أبرز أدوات العنف ضد جسد الأسير المضرب عن الطعام؛[122] ولا يزال مشهد التغذية القسرية، باستخدام (الزوندا)، أكثر المشاهد ألماً وعنفاً في ذاكرة الأسرى، الذين أخذوا يستحضرون الماضي في حديثهم عن إضراب (نفحة)، متجرعين الألم، كيف لا، وحديثهم عن هذا الإضراب، يزدحم بصور التعذيب الجسدي والنفسي، والصراعات، والحوارات، والمناورات؟

ويروي أبو علي شاهين في حديثه عن العنف في إضراب (نفحة)، حينما نُقِل إلى سجن (شطه): "*في الطريق توقفت العربة للتزود بالوقود، حيث قام أحدهم بفتح طاقة الباب الخلفي، أردت لنفسي قليلا من الهواء النقي، ووجدني أطل بوجهي إلى الخارج، فإذا بأحد الحراس يرشقني بأنبوبة الغاز في وجهي وعيني؛ لتصل الحروق لصدري.*"

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ إضراب سجن (نفحة)، قد أحدث نقطة تحول هامة على صعيد المواجهة؛ فالمحاولة مستمرة، وبخاصة أن السّجّان قد سعى، عبر أدوات عنفه، إلى سلب الأسرى منجزاتهم، التي حققوها نتيجة

[121] مقابلة مع الأسير المحرر (ع.ت). جرت في جامعة بيرزيت. 2018م.
[122] عبد الستار قاسم. مصدر سبق ذكره. ص 137 – ص 139.

الإضراب عن الطعام، فما كان من هؤلاء الأسرى، إلا الرد، بمواجهة جديدة وغضراب جديد عن الطعام؛ ما يوضح تلك العلاقة التي تفرضها منظومة السجن وبنيته، القائمة اساساً بين الأسير والسّجّان، فهي علاقة مد وجزر، تكشف مسارها عبر بقاء المواجهة، التي تشكل معنى الوجود للأسير على مدار الوقت، "وأهم ما حدث في مسار معركة (نفحة) أن قيادة الثورة تبنت الإضراب تبنياً كاملاً، رغم أنه لم يكن لهذا الإضراب هدف سياسي"،[123]وترى الدارسة أنَّ هذا الأمر يعيدنا إلى علاقة (الخارج) السجن الكبير (بالداخل) السجن الصغير؛ لما للخارج من تأثير على مسار تجربة الإضراب عن الطعام؛ إذ إنَّ الوعي بأهمية الخارج كان واضحاً لدى الأسرى في (نفحة)، وهذا ما أظهره الإضراب؛ إذ كشف رقياً وتقدماً في الوعي، ونضجاً في التجربة الاعتقالية، وبدا لدى الأسرى قدرة عالية على تجنيد المنصات الجماهيرية كلها، تحت شعار (نعم لآلام الجوع، لا لآلام الركوع)." [124]

يقول أبو علي شاهين عن إضراب (نفحة): *"إن إضراب نفحة كان علامة وشعلة مضيئة في الظلام العميق، الذي يغذيه العدو، أبدأ بالمزيد من ممارسات القمع، والتفتيت النفسي المنظم، وحرمان المعتقل من أبسط حقوقه الإنسانية، فليس في ذلك شيء من مبالغة أو ادعاء، ذلك أننا كنا نبصر كيف تجدل لنا حبال الموت البطيء، ونرى كيف تدار المعركة الصامتة ضدنا، وجاء الإضراب ردا طبيعيا ليكشف كل هذه الخيوط."* [125]

وعادت معركة الإضراب عن الطعام تُسيطر على رواية الأسرى؛ ففي عام 1984م، شرع الأسرى بتنفيذ ما أسموه حينها انتفاضة الأسرى الفلسطينيين،[126] وخاض الأسرى إضرابين: أحدهما، خاضه أسرى سجن (عسقلان)، وكان إضراباً جزئياً عن الطعام، وتمكن الأسرى فيه من تحقيق جملة من الإنجازات الحياتية،[127] وفي العام نفسه، نفذ

[123]محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 164.

[124]عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص 19

[125]محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 160.

[126]حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 93- ص 95.

[127]طارق أبو شلوف. في رحاب الجوع المقدس. فلسطين: مؤسسة مهجة القدس. 2013م. ص 25.

الأسرى إضراباً، بعد أن فتحت سلطات الاستعمار الصهيوني معتقل (جنيد)، ونقلت إليه أغلب الأسرى ممن كانوا في معتقل (نفحة)؛ في محاولة لإعادة إحكام السيطرة عليهم، وبذلك، تحول معتقل (جنيد) إلى محطة مواجهة جديدة للأسرى؛[128] إذ نفذوا إضراباً عن الطعام، استمر 13 يوماً، فضلاً عما شهده هذا السجن من تحول هو الأهم في علاقة الأسير والسّجّان، وأدواته في منظومة السجن، كيف لا، وقد بدأت إدارات السجون الصهيونية بتوظيف التكنولوجيا لمراقبة الأسرى بالكاميرات؟[129]

وقد عكست انتفاضة الأسرى سمات هذه المرحلة والقدرة التنظيمية، التي امتازت بها؛ فوجهت عشرات الرسائل، في إطار المواجهة الجديدة، بلغة جماعية قوية، ومنها هذا النموذج المرسل إلى لجان الأقسام والتعبئة والتوجيه: *"إلى الموجهين النضاليين، واللجان النضالية في كل الأقسام، تحية الثورة وشرف النضال، وبعد: في هذه اللحظات المصيرية من تاريخنا النضالي، نتوجه إليكم يا إخوتنا ورفاقنا؛ لنعمل وإياكم، وفق منظور وطني صادق، بعيدا عن التزمت التنظيمي ورؤياه الضيقة والهدامة.. نلتقي وإياكم على درب التضحية والفداء..درب تجذير الوحدة الوطنية."* [130]

كما رافق هذه المعركة وعي آخر بأهمية دور (الخارج) على المستويات التنظيمية والشعبية والحقوقية كافة، فقد حققت هذه المعركة حالة إسنادية خارجية، وبرز دور المؤسسات الحقوقية والمحامين في نقل صوت الأسرى، وهذا لا يعني غياب هذا الدور سابقاً، بل إنه أصبح يتمثل في دور مؤسسات، كان أبرزها مؤسسة أنصار السجين في الأراضي المستعمرة عام 1948م، التي برز عملها منذ بداية الثمانينيات، حين تمكن المحامي وليد الفاهوم من توثيق الزيارات

[128] عبد الستار قاسم. مصدر سبق ذكره. ص 141.

[129] عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص 20

[130] جبريل رجوب. الزنزانة رقم 704 تجربة أسرى الثورة الفلسطينية بين نفحة وجنيد. فلسطين: وكالة أبو عرفة للنشر. ص 55

والمشاهدات والروايات والقصص المتعددة، التي جسدت تلك المرحلة، أسهمت في نقل رواية الأسرى، بينما كانت المبادرات الحقوقية، في سنوات ما قبل الثمانينيات فردية أكثر من كونها مؤسساتية.[131]

ووصولاً إلى عام 1985م، فإنَّ الجبهة الشعبية (القيادة العامة)، قد أجرت صفقة تبادل، سميت (عملية الجليل)، أدت إلى إطلاق سراح (1155) أسيراً؛ ما جعل هذا الحدث يجري تحولاً كبيراً على المعتقلات وأوضاع الأسرى، وبخاصة أنَّ جزءاً كبيراً ممن أطلق سراحهم هم من الكوادر القيادات التي كانت تدير الحياة الاعتقالية والتنظيمية؛ ما جعل الفراغ يتسلل إلى الحياة التنظيمية، فما كان من إدارات السجون الصهيونية، إلا أن استغلته، عبر التنكر لمطالب الأسرى، والبدء بشن عمليات القمع، وفرض إجراءات خانقة ومذلة؛ لتصبح الحركة الأسيرة في موقف الدفاع عن منجزاتها؛[132] ما شكل تحدياً جديداً للأسرى الذين لم يطلق سراحهم، فيما يتصل بالتنظيم والقدرة على الحفاظ على الحالة الجماعية في مواجهة سلطات الاستعمار الصهيوني، وبعد النصف الثاني من عام 1985م، وبداية عام 1986م، سُجلت أعلى نسبة مواجهات وصدامات داخل السجون.[133]

الإضراب عن الطعام ما بين انتفاضة عام 1987م وبركان أيلول عام 1992م

بعد مرور عامين على إطلاق سراح مئات الأسرى، وما أحدثه من تحول على صعيد المواجهة داخل السجون من تراجع في مستوى المواجهة المنظمة؛ بحكم ما تركته قيادات الأسرى من فراغ بعد تحررها، غير أنَّ هذا الأمر لم يستمر طويلاً، فقبل اندلاع انتفاضة الحجارة عام 1987م، كان الأسرى داخل عدد من السجون قد بدأوا باستعادة المواجهة؛ ما جعلهم يتعرضون إلى عمليات قمع ونقل، في سجن (جنيد) على وجه الخصوص، حيث حدثت المواجهة الأعنف بعد الاعتداء على الأسرى، ورشهم بالغاز، وإصابة عدد كبير منهم، فكان عام 1986م من أكثر

---

[131] أنظر في: وليد الفاهوم. *نباح العنصرية. الانتفاضة..محاكم ومعاناة.*

[132] عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص 21

[133] رأفت حمدونة. مصدر سبق ذكره. ص 119- ص 120.

الأعوام عنفاً في ذاكرة الأسرى؛ نتيجة سياسات إدارة السجون الصهيونية التي تعمدت فرض سياسة سحب الغنجازات التي حققوها، وتصعيد سياسة العنف والإذلال.[134]

ومن الأهمية بمكان، استحضار ما سبق إضراب الأسرى عام 1987م؛ لما له من دلالات كبيرة على العامل الأساسي في دفع الأسرى إلى الإضراب عن الطعام، وهذا يعود بنا، في رأي الدارسة، إلى بنية الاستعمار الصهيوني، المتمثلة في العنف، وقد واجهها الأسرى بإعلانهم الإضراب عن الطعام في آذار/ مارس 1987م، انطلاقاً من سجن (جنيد)، الذي مثّل مركز القرار، وانضم إليه لاحقاً عدد من السجون؛ ليصل عدد الأسرى المشاركين في معركة (انتفاضة الجوع) إلى 3000 أسير، استمروا في إضرابهم (20) يوماً؛ ليشكلوا بذلك استعادة قوية للمواجهة الجماعية، ولتنتقل (انتفاضة الجوع)؛ بوصفها عاملاً محرضاً، وتمتد بفعل عوامل متعددة، إلى انتفاضة شعبية عام 1987م،[135] التي أعطت عمقاً أكبر للمواجهة داخل السجون من خلال الزخم الذي خلفته على المستويات كافة، كيف لا، وقد تركت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية وقعاً كبيراً على مستوى المواجهة لدى الأسرى؟ وبخاصة أنَّ أعداداً كبيرة من الثوار الذين أُفرج عنهم عام 1985م، قد أعادت سلطات الاستعمار الصهيوني اعتقالهم؛ ما جعلهم يسهمون بصورة فعلية في إعادة معنى المواجهة، وممارسة دورهم وخبرتهم في مواجهة الأسر من جديد.

ويمكن النظر إلى مرحلة انتفاضة الحجارة عام 1987م، بوصفها أكثر المراحل حساسية في تاريخ الحركة الأسيرة؛ فقد أعلنت سلطات الاستعمار قبضة جديدة آنذاك، طالت المنجزات التاريخية كافة، ومع كل ما واجهه الأسرى، إلا أن فعاليتهم في النضال قد سجلت حضوراً مكثفاً في حياتهم؛ فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات.[136] وكان أحد أبرز التغيرات التي أصابت تركيبة الحركة الوطنية الأسيرة في تلك الفترة ازدياد أعداد الأسرى، وصعود

---

[134] انظر في: تيسير نصر الله. *إنتفاضة الجوع، الإضراب المفتوح عن الطعام في عام (1987)م*. القدس: مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. جامعة القدس. 2016م.

[135] تيسير نصر الله. مصدر سبق ذكره.

[136] رأفت حمدونة. مصدر سبق ذكره. ص 121- ص122.

التنظيمات الإسلامية المقاومة في أواخر الثمانينيات؛ ما أحدث تحولاً جذرياً داخل السجون، وهذا لا يعني أنها وليدة العهد، بل كانت لها جذور فيما مضى؛ فقد أشار أبو عباية إلى وجودها خلال سنوات السبعينيات، حين ظهرت مجموعة محدودة، وبخاصة في سجن (عسقلان)،[137] وقد ألقت هذه التنظيمات بظلالها على نوعية العلاقات بين الأسرى، وقرار المواجهة، وأدواتها، وامتد ليشمل تفاصيل حياتية متعددة للأسرى، كالحياة الثقافية؛ إذ شرعت بتأسيس مكتبات إسلامية، كما تغير نوع اللغة والخطاب في الرسائل والبيانات، ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ التنظيمات الإسلامية، وعلى رأسها حماس، قد نشأت بصورة منفردة؛ فكل سجن وقصته الخاصة في نشوء هذا النوع من التنظيمات، التي شكل أفراد من تنظيم فتح أغلب أعضائها في البدايات، كما يظهر في أغلب الأدبيات. [138]

واللأمر اللافت للانتباه، أنَّ دخول حركة المقاومة الإسلامية حماس إلى واقع الحركة الأسيرة؛ بوصفها تنظيماً، لم يلقَ قبولا في البداية؛ ما حرمها من التمثيل الاعتقالي فترة طويلة، وهذا ما تؤكده روايات أسرى حماس في أدبيات تلك المرحلة، التي عبروا فيها عن قسوة التجربة التنظيمية التي واجهوها، وما رافق رفضهم من اعتداءات متعددة،واجهتها حماس داخل السجون، ولم تكتفِ بذلك، فأصدرت بيانات للرأي العام، في الأعوام الأولى من الانتفاضة، بينت فيها الهجمة التي يتعرض لها أعضاؤها داخل السجون. [139]

وهكذا، فإنَّ التغيير الذي أصاب نوعية التنظيمات داخل السجون، قد ترك أثراً كبيراً على قرار المواجهة الجماعي، ومع ذلك، فقد نفذ الأسرى إضرابات متعددة، كانت في عامي 1988م، و1991م، بعد مرحلة شهد فيها الأسرى أعنف المواجهات مع إدارات السجون الصهيونية، وبخاصة بعد أن افتتحت معتقل النقب (أنصار 3)؛

---

[137] حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره. ص 52

[138] محسن ثابت. نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال الإسرائيلي. لم يثق تاريخ الإصدار.

[139] إياد الرياحي. الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة 1988م- 2004م دراسة مقارنة. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. 2007م. ص 34 – ص 35.

لاحتجاز الشبان المنتفضين، وما فرضه من إعادة الأسرى إلى المراحل الأولى من الحياة الاعتقالية؛ إذ كان مجرداً من أدنى شروط الحياة البشرية، بل بمثابة جحيم مرعب.

وتشير الأدبيات المتختلفة إلى تجربة معتقل (أنصار 3)، الذي شهد مواجهة كبيرة بين الأسرى وإدارة السجون الصهيونية، وارتقى فيه عدد من الشهداء، منهم الأسيران أسعد الشوا، وبسام السمودي، وذلك عام 1988م، بعد إطلاق النار عليهما بصورة مباشرة أثناء العدّ؛ ما جعل الأسرى يخوضون إضراباً عن الطعام، استمر يومين، وفيه تمكنوا من استعادة الفعالية بالمواجهة.[140]

وقد شكلت هذه المواجهة محطة مهمة في تلك المرحلة؛ إذ استكمل المنتفضون انتفاضتهم داخل المعسكر، وبدأ الأسرى في إعادة موازين المواجهة،[141] وتلا ذلك خطوات نضالية متعددة، كان أهمها الإضرابات الاحتجاجية،[142] وقد تُوِّجت المواجهة الجماعية بإضراب (بركان أيلول) عام 1992م، الذي خاضت فيه الحركة الأسيرة معركة استثنائية، شاركت فيها أغلب السجون، وحققت إنجازات حياتية للأسرى.

إضراب بركان أيلول 1992م نضوج المحاولة والممارسة

"لقد حانت ساعة البطولة، ودقت طبول المعركة، والتقى الجمعان خلف قضبان الاعتقال، وها هي جحافل أسرى ثورتنا البواسل تعلن النفير النفير، وتطلق رصاصة الجوع؛ إيذانا ببدء المعركة الاستراتيجية المفتوحة بالإضراب عن

[140] بركان أيلول خلف قضبان القهر. فلسطين: نادي الأسير الفلسطيني. 1992م. ص 59- ص61.
[141] عيسى قراقع. مصدر سبق ذكره. ص 22
[142] ناصر دمج. أنصار شاهد على عصر الجريمة. فلسطين: مطبعة أبو غوش2005م. ص42- ص49

الطعام في كافة قلاع الأسر؛ دفاعاً عن كرامتهم وحقوقهم وإنسانيتهم، وها هم مثل علامات الله في الأرض يحولون سجون القهر وزنازين العذاب إلى ساحات اشتباك."[143]

شكَّل إضراب (بركان أيلول)، الذي خاضه الأسرى في 27 أيلول عام 1992م، نقطة تحول مهمة في تلك المرحلة، وذلك على مستوى المواجهة الجماعية، التي فرضت ذاتها في المعركة، وبلغ عدد الأسرى المشاركين فيه نحو (7000) أسير، وقد أعطت هذه المعركة معنىً كبيراً للعملية التراكمية التي تركتها المواجهة بالإضراب عن الطعام سابقاً، وظهر ذلك جلياً في مسار المعركة، وإدارتها، ويبقى مستوى العنف، الذي مارسته إدارة السجون الصهيونية على مدار السنوات التي سبقت الإضراب، العامل الأهم في دفع مستوى المواجهة وقوتها؛ ففي كتاب (بركان أيلول)، الذي وثق المعركة بيان للتفاصيل، ووقائع احتدام المواجهة، ونضوج المواجهة الجماعية، التي وصلت إلى الإضراب عن الطعام، وأمّا عن نتائجه؛ فقد تمكن الأسرى بعد (16) يوماً من الإضراب عن الطعام، وبعد جولات من الحوارات والتفاوض، من تحقيق إنجازات جديدة واستعادة سنوات السلب، وفيه أُستشهد الأسير حسين عبيدات، في سجن (عسقلان)، في 15 أكتوبر 1992م. [144]

وقد مثلت إنجازات الأسرى في الإضراب، امتداداً لإنجازات الحركة الوطنية الأسيرة منذ نشأتها، وكانت الوحدة الوطنية الشاملة خلف القضبان أهمها، عدا عن جملة من الإنجازات الحياتية منها: تسهيل إجراءات إدخال الأطباء العرب من الخارج، والاستعجال في إجراء العمليات الجراحية، ونقل الأشبال من سجون الجنوب، والسماح بالصور في الرسائل، والسماح بإدخال أربع صور وكتاب في كل زيارة، وزيادة مواد التنظيف، والسماح لممثل المعتقل بالتجول في الأقسام، وتبديل وجبة المعكرونة بالفاصولياء، وتجميع الأخوة في سجن واحد، ووقف التفتيش العاري،

[143] بركان أيلول خلف قضبان القهر. مصدر سبق ذكره. ص 195.

[144] بركان أيلول خلف قضبان القهر. مصدر سبق ذكره.

والسماح بالتنقلات بين الغرف مرة شهرياً، والسماح بإدخال الملابس بجميع الألوان، وإنهاء عزل عدد من الأسرى، وما هذه سوى إنجازات عامة، تُضاف إلى نظيرتها التي حققتها بعض السجون.[145]

وبكلمات أخرى، فقد شكّلت هذه المرحلة، (إضراب بركان أيلول 1992م)، أوج المسيرة النضالية للحركة الأسيرة، وأكسبتها معانيها، فضلاً عما تراه الدارسة فيها، من تأكيد على أنَّ بقاء الممارسة والمحاولة بالمواجهة، هي المعادلة التي تعيد فهم العلاقة بين الأسير والسّجّان في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، والمعنى الذي تسعى إليه الدراسة في فهم السيادة وتقرير المصير الفلسطيني، عبر تجارب الإضراب عن الطعام؛ لتنتقل الحركة الأسيرة إلى مرحلة جديدة، تتمثل في مرحلة أوسلو، التي شكلت نقطة تحول مصيرية، وأحدثت انقلاباً في معنى المواجهة وطبيعتها، وارتبط ذلك فعلياً في خيار الفلسطيني السياسي، وقراره.

الإضراب عن الطعام بعد أوسلو 1993م: مسارات جديدة

"يا أبا عمار، لم نسمع قائداً فلسطينياً واحداً يرد على وقاحات الإسرائيليين الرسمية، ولم يقم أحد بكتابة رسالة لنا، يوضح فيها موقفنا في المفاوضات، لم تفسروا لنا لماذا أهملتم قضية الأسرى في اتفاق أوسلو ...ترى هل اعتمدتم على طيبة؟ فنحن يا أبا عمار، ثوار تربينا على الثورة، على رفض الظلم، والآن، يقع الظلم علينا من ثورتنا، فماذا نفعل؟ هل نحتل مقرات ومكاتب منظمة التحرير، ونحرقها، أم هل نخرج جميع أهلنا للشوارع للهتاف ضدكم؟ قل لنا بالله عليك: ماذا نفعل؟ لم نعد نعرف من نحن؟" [146]

[145] بركان أيلول خلف قضبان القهر. مصدر سبق ذكره.

[146] عيسى قراقع. 2000م. مصدر سبق ذكره. ص 38

لقد أحدثت مرحلة أوسلو تحولات كبيرة في واقع المواجهة داخل السجون، وانعكس ذلك تلقائياً على مصير تجربة الإضراب عن الطعام، الذي اتخذ الشكل السياسي؛ فلم تعد المواجهة محصورة ضد السّجّان، بل أنتجت أوسلو مواجهة جديدة، كانت موجهة ضد أهم مركب من مركبات أوسلو، المتمثل في السلطة الفلسطينية، وسُجلت أولى الإضرابات السياسية في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة؛ إذ سيطرت لغة الخذلان واليأس والفوضى على طابع المعركة، وأعلن الأسرى سقوط الثقة بالقيادة الفلسطينية، وتشكلت هذه الخلاصة بعد تجاهل اتفاق إعلان المبادئ (أوسلو) عام 1993م قضية الأسرى.[147]

وتمهيداً للحديث عن أبرز الإضرابات السياسية، التي خاضها الأسرى بعد أوسلو، لا بدَّ من المرور على ما تركته مرحلة أوسلو على واقع الأسرى داخل السجون؛ لما لها من أثر كبير، ألقى بظلاله على الأدبيات التي تناولت التي قضية الأسرى في تلك المرحلة، كيف لا، وأوسلو نقطة تحول في واقع الحركة الأسيرة؟ بل إنَّها نتاج تراكمي؛ فالتحول الذي أصاب الأسرى بعد أوسلو ليس وليدها فحسب، وإنما هو نتاج حالة تراكمية، أسهمت في تشكيل واقع جديد له امتداداته التاريخية.

فقد تلقى أسرى حركة فتح صفعة قوية من قيادتهم، الذين شكلوا أغلب الأسرى في تلك المرحلة، وبدا واضحاً أنَّ معالم المواجهة قد تغيرت في آنذاك، كما بدأ الخطر يهدد جسم الحركة الأسيرة ومنجزاتها، وبدأ السّجّان يدخل بلعبة عنوانها الحرب النفسية، عبر أجهزته الاستخبارتية، وبث الإشاعات والأكاذيب، وعرض وثائق على الأسرى تتنافى مع ما يعلنه المسؤول الفلسطيني؛ ما فاقم مشاعر حالة الخذلان، وبخاصة أنَّ ردود المسؤول الفلسطيني،

[147] قدورة فارس وآخرون. هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام. فلسطين: رام الله. منشورات وزارة الإعلام. 1995م. ص 20 – ص24.

كانت طوال الوقت توضح كمّ التلاعب الذي نفذته سلطات الاستعمار الصهيوني في هذه القضية، التي ساندها جهل المفاوض الفلسطيني. [148]

ويشير راسم عبيدات في كتاب له بعنوان (من ذاكرة الأسر)، إلى: *"أنَّ مرحلة أوسلو من أسوأ المراحل، وأشدها ظلاماً وسوداوية في تاريخها، وفي الوقت الذي كان فيه المناضلون يقبلون على الجلسات بروح معنوية عالية، وجدنا عزوفاً شبه كلي عن ذلك، بل أصبح أن تقول للمناضل أن يأتي لحضور جلسة ثقافية أو تنظيمية، بمثابة شتيمة أو كفر"*. [149]

وقد تراجعت الحالة التنظيمية؛ نتيجة حالة التناقض والضياع، الذي فرضته أوسلو، وانعكس ذلك على الجوانب الحياتية جميعها للأسرى، ومنها الثقافية والفكرية، كما تغير دور التنظيم من دور تعبئة للثورة، إلى محاولة الكشف عن دوره الجديد ضمن محددات جديدة. [150]

وأسهمت الإفراجات المتلاحقة في تلك المرحلة، في تعطيل البرامج الثقافية والتنظيمية؛ ما ادى إلى حالة من التراخي والتراجع في مختلف مناحي الحياة داخل الأسر، وفي مقدمتها طبيعة المواجهة مع السّجّان؛ ما أتاح لسلطات الاستعمار إمكانية فرض واقع جديد على الأسرى، وسحب إنجازات حركتهم الأسيرة، وهكذا، فقد أسَّست مرحلة أوسلو أسست جذرياً للمرحلة اللاحقة، وما وصلت إليه أوضاع الأسرى بعد انتفاضة الأقصى، التي أحدثت تحولاً آخر في تاريخ الحركة الأسيرة. [151]

---

[148] قدورة فارس. مصدر سبق ذكره. ص 3- ص8.

[149] راسم عبيدات. من ذاكرة الأسر. القدس: مطبعة الرسالة المقدسية. 2008م. ص 169.

[150] منقذ أبو عطوان مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية (1967م- 2005م). رام الله: جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير. 2007م. ص 134- ص 135.

[151] زياد موسى زياد. تأثير حقبة أوسلو على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية 1993م- 2012م. القدس: جامعة القدس. رسالة ماجستير. 2012م. ص 84- ص120.

الإضرابات السياسية

"فبئس المفاوضون أنتم...كفوا عن استغلالنا، واستقيلوا، ولا تتحدثوا عن قضيتنا أبداً، لا نريد أن نسمعكم، وإياكم والحديث عنا، فنحن نريد أن نموت بصمت بعيداً عنكم... نريد أن نحافظ على طهارة المبادئ الثورية، التي ما زلنا نحملها.." [152]

فرضت أوسلو تحولاً على طبيعة المواجهة بما فيها الإضراب عن الطعام، فقد سجلت ثلاث إضرابات سياسية ومطلبيه بارزة، الإضراب الأول كان عام 1994م واستمر لمدة ثلاثة أيام وخاضه الأسرى على إثر توقيع اتفاقية القاهرة (غزة/ أريحا)، واتخذ شعار "لا سلام بدون إطلاق كافة الأسرى دون قيد أو شرط أو تمييز"، وعلى إثر الإضراب توالت زيارات عدد من المسؤولين الفلسطينيين للأسرى التي سمح بها على إثر الاتفاقيات التي وقعت بين القيادة الفلسطينية وبين سلطات الاستعمار الصهيوني.[153] وبذلك ألقت الازدواجية في المواجهة مصيراً جديداً على طبيعة العلاقة بين الأسير والسجان، فالمواجهة التي كان هدفها سابقاً هو السجان، وجدت طريقاً آخر وهي القيادة الفلسطينية، ومع محدودية نتائج الإضراب والذي يمكن حصره بأن صوت الثوار ترك أثراً، فإن الإضرابات السياسية لم تتوقف بل تصاعدت مع استمرار حالة الخذلان والغضب.

وأمّا الإضراب السياسي الثاني؛ فقد خاضه الأسرى عام 1995م، واستمر (18) يوماً، تحت عنوان (معركة الكرامة والحرية)، وقد شارك فيه 6000 أسير فلسطيني، وتدخلت السلطة الفلسطينية في محاولة لوقف الإضراب؛ كيف لا، وقد شكَّل عودة جديدة، بالكشف عن استعادة الأسرى قدرتهم على التنظيم، وإن كان ذلك كله في إطار

[152] عيسى قراقع. 1999م. مصدر سبق ذكره. ص 37.
[153] عيسى قراقع . 2000م. مصدر سبق ذكره. ص 84 .

مستوى محدود؟ إذ تأثر الأسرى، في قيادة معاركهم، بواقع ما فرضه (الخارج) من تحولات جذرية في العلاقة مع المستعمِر.[154]

أمّا المطلب الأساسي للإضراب؛ فقد تمثّل في الإفراج عن الأسرى في إطار الاتفاقيات التي وُقِّعت، إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّ مواجهة السّجّان قد سقطت، بل اقترنت بمطالب حياتية، في ظل ما تعرض له الأسرى من تدهور على صعيد الأوضاع الحياتية داخل السجون، مع ترهل الحالة التنظيمية؛ فقد استخدمت إدارات السجون الصهيونية عمليات القمع الممنهجة ضد الأسرى، ففي هذا الإضراب برزت مواجهة داخلية، حين رفضت الأسيرات تعليقه، وكنَّ آخر من نفّذ ذلك، بعد ضغوط مورست عليهن من قيادة الإضراب نفسها،[155]وقد اتسعت المعركة وامتدت من داخل السجون إلى الخارج؛ لتخلق معنىً جديداً للمواجهة في الشارع الفلسطيني، وبخاصة على الصعيد السياسي، وانتهى الإضراب بعد اجتماع جرى بين القيادة الفلسطينية وسلطات الاستعمار، أعلن في أعقابه عن جولة من الإفراجات، التي شملت نحو 1500 أسير فلسطيني بشروط، كان أبرزها عدم الإفراج عن أسرى حماس، والجهاد الإسلامي، ونظرائهم ممن نتج عن مقاومتهم قتلى في صفوف المستعمرين، وبذلك، تعرَّض الأسرى لصفعة جديدة. [156]

ويأتي عام 1998م، وبخاصة مرحلة ما بعد اتفاق (واي ريفر)؛ ليكون شرارة جديدة للإضراب عن الطعام؛ فقد بدأت فعاليته بثلاثة أسرى في سجن (نفحة)، تبعهم مئات الأسرى، الذين رفعوا مطالبهم، وفي مقدمتها الاعتراف بهم أسرى حرب، ووقف التنسيق الأمني، والإفراج عن عنهم دون تمييز، ومطالب أخرى، ركزت على ما فرضته المرحلة، وفضلاً عن ذلك، فقد أعلنوا جملة من المطالب الحياتية؛ ليشكل هذا الإضراب انتفاضة جديدة، سرعان ما امتدت إلى

[154]عيسى قراقع. 2000م. مصدر سبق ذكره. ص 84 .
[155]زياد موسى زياد. مصدر سبق ذكره. ص 131 – 132.
[156]عيسى قراقع. 2000م. مصدر سبق ذكره. ص 89 – 106 .

الشارع الفلسطيني في مواجهة سلطات الاستعمار الصهيوني، وفيها أصيب مئات الفلسطينيين، وارتقى الشهداء؛ ليتوقف الإضراب بعد عشرة أيام. [157]

وعلى الرغم من أنَّ أغلب الأدبيات قد وصفت الإضرابات التي نفذها الأسرى بعد أوسلو، بـ(فاشلة)؛ انطلاقاً من فشل الأسرى في تحقيق أهدافهم، إلا أنَّ تجربة الإضراب؛ بوصفها ممارسة ومحاولة، بما فيها من قدرة على الاستمرارية وخلق أدوات جديدة للمرحلة، قد أعطى معنىً مهماً للمواجهة عند الأسرى، وارتباطها بـ(الخارج)، بما عكسته من واقع المرحلة، لنعود مجددا، كما ترى الدراسة، إلى ما أشار إليه أبو علي شاهين، من أنَّ أثر الإضراب لا يمكن فقط تقييمه انطلاقاً من مطالب محدودة، ولكن، لكونه فعلاً نضالياً، وعلى الرغم من أنَّ أغلب من قرأ هذه المرحلة وطبيعة المواجهة، قد ذهب إلى أنَّ مشكلة الأسرى الأساسية تكمن في اتفاق أوسلو، الذي تجاهل قضيتهم، وخذلهم بعدم الإفراج عنهم، إلا أنَّ هناك جانباً مهماً، يتمثل في أوسلو نفسه؛ فقد عارضته القوى اليسارية والإسلامية؛ ما فاقم من حدة الخلافات الداخلية بين الأسرى؛ ليحدث أوسلو بذلك شرخاً جديداً بينهم، وبخاصة في صفوف أسرى حركة فتح؛ ما وضع المواجهة في موضع تساؤل دائم عن طبيعتها، وما تتعرض له من تحولات.

الخلاصة

ركزت الأدبيات الفلسطينية بصورة كبيرة على المراحل الأولى لتجربة الحركة الأسيرة، ومنها تجربة الإضراب، وقد كشف أصحاب التجربة أنفسهم النقاب عنها، عبر روايتهم، بعد أن تمكنوا من بناء معرفة خاصة عن الحركة

[157] عيسى قراقع. 2000م. مصدر سبق ذكره. ص 106 – 118 .

الأسيرة، متناولين بصورة أساسية العنف وسياسات التعذيب التي مارستها سلطات الاستعمار الصهيوني،[158] وهذا الأمر ماثل في كثير من الأوراق التي تقدمها بعض المؤسسات البحثية، التي تعتمد في رصدها على رواية تلك المرحلة؛ بوصفها مرحلة تأسيسية لقراءة التحولات التي أصابت سياسة الاستعمار نحو الأسرى، وفي الوقت الذي ذهب فيه بعض الباحثين إلى تناول أثر السياسة الفلسطينية والصراع على مصير الأسرى، ركزت مجموعة كبيرة من الأبحاث على تناول الأسرى؛ بوصفهم مجتمعاً، [159]عبر رصد سياسات السيطرة وأدوات العنف،[160] والكشف عن مكنونات العلاقات بين الأسرى وأدوات النضال.[161]

وبالاطلاع على تجارب الإضراب الجماعية، التي خاضها الأسرى في الأعوام التي سبقت انتفاضة الأقصى عام 2000م، وما أحدثته من تحول ترك أثره الكبير على مصير الحركة الأسيرة داخل السجون، يتبيَّن أنَّ لإضراب عن الطعام؛ بوصفه تجربة، قد أصبح له أساسياته ومنهجيته الخاصة، التي تطورت بفعل تكرار ممارسته التجربة واستمرار المحاولة، غير أنَّه موسوم بالتغير في سياسته وأدواته، ومع ذلك، فإنَّ السياسات القمعية المتعددة، التي نفذتها إدارات السجون الصهيونية، قد كشفت عن مجموعة من الأدوات الدائمة والمتكررة في الإضرابات كافة، وفضلاً عن ذلك، فإنَّ ما يمكن تصوره هو وجود الأسرى في دائرة محددة ضمن ما يسمى بالمطالب، فتارة، تسمح بها السلطات الصهيونية، وطوراً، تسلبها منهم؛ فتبقى دائرة المواجهة، مهما اتسعت، محدودة ضمن إطار تلك العلاقة، وتبقى تلك الدائرة رهن المواجهة؛ فهي المسؤولة عن تحريكها، وما ينتج عنها من منحنيات وتداخلات وتحولات، وتبقى بنية العنف المحرك الرئيس للمواجهة، ومنها الإضراب عن الطعام؛ بوصفه تجارب كثيفة، تعكس كثيراً من الجوانب والتحولات على صعيد المصير الفلسطيني، وبخاصة مع توقيع اتفاقية أوسلو.

---

[158] وليد دقة. صهر الوعي، أو في إعادة تعريف التعذيب. قطر: مركز الجزيرة للدراسات. 2010م.

[159] نهاية. ابو ريان. التغيير في البناء الاجتماعي للأسرى السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. رام الله: جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير. 2014م.

[160] انظر في: منقذ أبو عطوان 2007م. مصدر سبق ذكره.

[161] رلى أبو دحو. الحركة الفلسطينية الأسيرة 1967م- 1992م النضال من أجل الهوية الوطنية. رام الله : جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير. 2014م.

الفصل الثاني

(جيل انتفاضة الأقصى) ومعركة الإضراب عن الطعام عام 2004م

فرضت انتفاضة الأقصى عام 2000م؛ بوصفها مواجهة ممتدة من مقاومة الفلسطيني الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، واقعاً جديداً على تجربة الأسرى الفلسطينيين؛ ففي السنوات الأولى للانتفاضة، والعامين 2000م و2002م، على وجه الخصوص، زجّت قوات الاستعمار الصهيوني بالآلاف من المقاومين في سجونها[162]، وبخاصة ممن اعتقلتهم من بين صفوف الكوادر العسكرية لحركتي فتح (كتائب شهداء الأقصى)، و(عز الدين القسّام) التابعة لحركة حماس، وهما التنظيمان الأبرز، إضافة إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجهاد الإسلامي؛ ما أوجد تركيبة جديدة للأسرى داخل السجون، وبخاصة بعد قرابة ثماني سنوات، سيطرت فيها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) على قيادة الحركة الأسيرة وتمثيلها؛ ما أحدث انعكاساً واضحاً على تفاصيل تجربة الاعتقال كافة، وبخاصة تجربة المواجهة بأشكالها المختلفة داخل السّجن.[163]

فالخصوصية التي رافقت تجربة الاعتقال في السجون الصهيونية بعد عام 2000م، والمستمدة من حكاية الجيل الجديد من الأسرى، ومن عوامل متعددة، فرضتها أنماط المواجهة وأشكالها، ومستوياتها، ومسارها، ومصيرها، إضافة إلى البنية التنظيمية والصراعات الكثيفة، وعلاقة (الداخل) السّجن الصغير، (بالخارج) السجن الكبير، التي حضرت بقوة أكبر في رواية تجربة (جيل انتفاضة الأقصى)، بما فرضته من تناقضات وتساؤلات كثيفة، يمكن عبرها قراءة تجربة الاعتقال، في إطار مرحلة تاريخية جديدة.

---

[162] عن مؤسسات الأسرى، نادي الأسير الفلسطيني، ومؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. تقارير صادرة خلال سنوات انتفاضة الأقصى.

[163] انظر في: إياد الرياحي. الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة 1988م- 2004م دراسة مقارنة. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. 2007م، وليد دقة. صهر الوعي، أو في إعادة تعريف التعذيب. مركز الجزيرة للدراسات. قطر. الدوحة. 2010م، ومروان البرغوثي. وآخرون. مقاومة الاعتقال. فلسطين. شركة مؤسسة الأيام. 2010م.

وقد امتدت حكاية الجيل الذي قاد انتفاضة الأقصى من مشاهد انتفاضة الحجارة عام 1987م، إلى مرحلة التسوية عام 1993م، وصولاً إلى اندلا ع انتفاضة الأقصى، التي كانت بمثابة (الفرصة) لخوض تجربة الكفاح الشعبي بما فيه المسلّح، وهذه الانتقالات التي عايشها الجيل، رافقته في تجربته لاحقاً في الاعتقال، وفي مواجهة الاستعمار الصهيوني داخل سجونه.

وقبل الخوض في موضوع الدراسة الرئيس، المتمثل في تجارب الإضراب عن الطعام لـ(جيل انتفاضة الأقصى)، لا بدَّ من التعريج على حكاية هذا الجيل، عبر محاولةفهم ما أفضت إليه تجربته؛ بوصفه جيلاً له خصوصيته النابعة من طبيعة محطات المواجهة التي عايشها، التي تعكس السياقات والتحولات المتعددة ذات الصلة بواقع المواجهة الفلسطينية في تجربة الأسر، وبخاصة أنَّ أدبيات قليلة قد حاولت فعلياً أن تعكس روايته؛ فأغلب أدبيات التجربة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين، عرضت التحولات التي طالتها تاريخياً، دون أن تعطي لرواية هذا الجيل وحكايته اهتماماً خاصاً، ومن هنا، ستعتمد الدارسة في الجزء الأول من هذا الفصل على رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، التي عكستها مجموعة من المقابلات الحوارية، التي أجرتها مع مجموعة من الأسرى المحررين، وما شملته من توجهات تنظيمية مختلفة.

المواجهة الأولى

يروي (ف.ع) قصة الطفل أحمد الأخرس، في مخيم الأمعري: *"أنا طفل من مخيم الأمعري، عشت انتفاضة الحجارة، وهي انتفاضة أطفال أكثر ما كانت انتفاضة كبار، وكان في شخص اسمه أحمد الأخرس، هو مش فاهم شو احتلال، و67، ولجوء، وفقر، ولا كل هاد الحكي، إلا أنه كان بشوف احتلال بضرب غاز، أحمد كانت كل شلة تنادي عليه ينزل معها، هو بحكيش، بس بأشر بيده، وكان يخطو خطوات جريئة، بدون أي تردد، يصل السيارة (سيارة*

الاستعمار)، ويلبسها الدبشة تلبيس، ويشرد زي الطيارة، قصة أحمد الأخرس ما انتهت،"[164] إنَّ قصة أحمد الأخرس بمثابة اختزال لرواية جيل بأكمله، وفيها يلخِّص (ف.ع) معنى الإدراك والوعي، الذي حملته طفولتهم في تلك المرحلة؛ إذ شكَّلت مشاهد العنف وعيه الأول، دون إدراك مسار العنف التاريخي، الذي فرضه المستعمِر منذ حرب النكبة عام 1948م، على وجه الحقيقة؛ لتُشكِّل مشاهد المواجهة التعبير الأصيل عنه لجيل مقاوم، ويشِّكل العنف الإدراك الأول له، كما أشار إليه فانون.

ولم تتوقف تلك الحكايات عند حكاية (ف.ع)؛ فـ(ر.أ) يستحضر تلك الذاكرة التي بنت وعيه تجاه المواجهة في انتفاضة الحجارة، إذ يقول: *"إحنا الجيل اللي لحق الانتفاضة الأولى في أواخرها، فلسطين مش فهمها لأني صغير بالعمر، كنت أتابع الملثمين بالليل، وبشوفهم بلزقوا صور أبو عمار في الانطلاقة والمناسبات، وبعدها، نزلت أشارك بضرب الحجارة،"*[165] ويختزل أغلبهم وعيهم الأول للمواجهة في انتفاضة الحجارة عام 1987م، بمشاهد متعددة، من أبرزها: (الملثمون، ورمي الحجارة، وإلصاق الصور، وكتابة المنشورات، وضرب (المولوتوف)[166]، ومنع التجوال، والمصابون، والشهداء).

ويشير (ع.د): *"أيام المدرسة عام 1988م، كانت الانتفاضة الأولى ومشاهدها من رمي حجارة، واحتكاك دائم مع قوات الاحتلال في الشوارع، فصار شيء طبيعي علاقة صدام بالنهار بنشوفها بعنينا، وبالليل، بنسمعها من الأحاديث والتلفزيون"*،[167] ولم تكن تلك المشاهد لتغيب عن (ع.ي)، الذي بدأ نضاله منذ طفولته: *"عاصرت النضال منذ نعومة أظافري، وشاركت في الانتفاضة الأولى 1987م منذ بدايتها، واعتقلت عام 1989م، لمدة سبع شهور،*

---

[164] مقابلة مع (ف.ع) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى). سبق ذكره.

[165] مقابلة مع (ر.أ) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في مقر نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

[166] المولوتوف: الزجاجات الحارقة، يصنعها المقاوم الفلسطيني بأدوات بسيطة، بوضع مادة حارقة إضافة إلى ما تسمى الفتيلة، استخدمت بشكل مكثف في الانتفاضة الأولى، ولا تزال إحدى أهم وسائل المواجهة في الميدان.

[167] مقابلة (ع.د) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في مكان عمله في الخليل. 2018م.

وفي الاعتقال الأول كان عمري 15 سنة، يعني كنت طفل، واعتقلت على خلفية رمي الحجار وكتابة شعارات وقتها، بس كنت أنظر للإسرائيلي على أنه عدو ومحتل وغاصب، خاصة أنه أنا كنت بسكن في منطقة اعتقل منها الآلاف ومنها المؤبدات."[168]

يقول فانون: *"لقد أدرك منذ ولادته إدراكاً واضحاً أنَّ هذا العالم الضيق، المزروع بأنواع المنع، لا يمكن تبديله إلا بالعنف المطلق"*؛[169] فالإنسان المستعمَر وجد خياراً واحداً للمواجهة، فرضته بنية عنف المستعمِر، وشكَّل هذا العنف إدراكه الأول، وأنتج مواجهته بأنماطها المختلفة والعنيفة منها، وعكست حكاية المستعمَر، وشكَّلت مسارها؛ فالوعي هنا في حكاية هذا الجيل يعني الوعي بضرورة المواجهة؛ ما يجعل انتفاضة الحجارة التي بدأت عام 1987م، حجر الأساس في بنية الوعي بالمواجهة لدى هذا الجيل، بما فيها من مشاهد أسهمت في بناء صور كثيفة، أهمها صورة الفدائي.

وقد تحولت مشاهد المواجهة في انتفاضة الحجارة، إلى حافز أساسي في تنامي وعي الفلسطينيين بأهمية استعادة المواجهة؛ حفاظاً على الوجود؛ ما جعل وعيهم يتحول إلى وقود للمواجهة في انتفاضة الأقصى لاحقاً، وهذا ما ستكشفه حكاياتهم؛ فقد كانت عملية التعبئة في أوجها في تلك المرحلة، وبخاصة أنَّ جزءاً من هذا الجيل قد واجه الاعتقال منذ الطفولة، كما انخرط جزء منهم في مرحلة مبكرة في العمل التنظيمي،[170] يقول (ب.ص): *"لما اعتقلوني في الانتفاضة الأولى، كان عمري (12) سنة، ضابط المخابرات تفاجأ؛ فكَّر إنه جاي يعتقل واحد كبير، أول ما أجوا على البيت، طلعت بره حاملين سلاح، وبعدين، زمان لما كانوا يعتقلوا، كانوا يعتقلونا في باصات النقل الكبيرة، وهاي*

[168] مقابلة (ع.ي) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في منزله في الخليل. 2018م.

[169] فرانز فانون. مصدر سبق ذكره. ص 14.

[170] انظر في: بركان أيلول خلف قضبان القهر. فلسطين: نادي الأسير الفلسطيني. 1992م، ناصر دمج. أنصار شاهد على عصر الجريمة. فلسطين: مطبعة أبو غوش. 2005م.

عالية، ما بقدر أطلع عليه، حملني الضابط حمل، وحطني"،[171] ويوضح (ر.أ) دوره في الشبيبة الطلابية التابعة لحركة فتح: *"التحقنا بالعمل التنظيمي، من خلال المدارس، وتوزيع الكراسات، فكان هناك اتحاد اللجان التابعة للجبهة الشعبية، وحركة الشبيبة الطلابية التابعة لحركة فتح، والكتلة الإسلامية التابعة لحماس."* [172]

ولعل أهم ما عكسته حكاية هذا الجيل، ما تمثَّل في بروز الحركات الإسلامية بصورة أساسية آنذاك، وما فرضته من تحول كبير على واقع المواجهة الفلسطينية،[173] عبر تأثيرها الاجتماعي والتنظيمي على الجيل الجديد، وهذا ما أشار إليه (س.ع): *"تعرفت على الانتفاضة عام 1989، وتحديداً، حينما تعرفت على الحركة الإسلامية، وعلى النشاط الموجود في المساجد من خلال دروس في القرآن، وهيك، كانت بداية العلاقة، وتطور الموضوع إلى مواجهة مباشرة على مستوى الوعي، وكان في تشبع بفكرة الوعي؛ لأنها كانت كثير كثيفة، وكانت بتمثل حالة أصيلة في مواجهة الاستعمار."* [174]

فها هو (س.ع) يشير إلى أكثر من مستوى في تعبيره عن تلك المرحلة وانخراطه في العمل المقاوم؛ فقد تحدث عن الأدوات التي كانت متاحة للحركات الإسلامية في عمليات التعبئة، والوصول إلى الجيل الجديد، وكيف أسهم ذلك في انخراطهم بصورة مباشرة في المواجهة؛ فحينما أشار إلى المباشرة في الوعي، كان يعني أنَّ تحولاً جديداً قد طرأ على الفعل، ويكمن هنا في تعبيره الأخير عن تشبعه بفكرة المواجهة، وتحولها إلى مواجهة أصيلة لها أساساتها المتينة، عدا عن نشوء جيل، سيكون له دوره المستقبلي في حمل فكر جديد عن البيئة التنظيمية والمقاومة الفلسطينية، وما فرضه بدوره من مستوى جديد من المواجهة، لها حكايتها الخاصة.

---

[171] مقابلة مع (ب.ص) أسير محرر من جيل انتفاضة الحجارة. جرت في نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

[172] من مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

[173] أنظر في: إياد الرياحي. 2007م. مصدر سبق ذكره.

[174] مقابلة مع (س.ع) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى). رام الله.مكتبة الفارابي. 2018م.

والأمر ذاته ينطبق على حركة فتح، والقوى اليسارية، وفي مقدمتها الجبهة الشعبية؛ لما لها من ثقل في تلك السنوات؛ بما امتلكته من خصوصية في التعبئة الفكرية الواسعة تاريخياً، عبر المطبوعات، والإصدارات الوطنية واليسارية والقومية، وتشكيل اللجان، إضافة إلى ما حملته من عقائدية نضالية حول المواجهة، وهذا ما تعكسه إصدارات الجبهة الشعبية آنذاك، كما في كتاب (فلسفة المواجهة)،[175] الذي يركز بصورة جليّة على فترة التحقيق ومواجهة الاعتقال، يقول (س.ب): *"إنَّ هذا الكتاب، كان سبباً في الاعتقال في تلك المرحلة؛ لما أحدثه من أثر توعوي داخل الأسر وخارجه".*[176]

وبكلمات اخرى، فإنَّ تلك الحكايات، تؤكد مدى الأثر الذي تركته انتفاضة الحجارة على وعي جيل جديد، كان في بداية نشأته؛ فالوعي هنا لم يتوقف عند تلك المرحلة وما أفضت إليه في حينه، بل إنَّ أثر تبلوره قد امتد فعلياً، حتى أصبح أطفال الحجارة هم قادة انتفاضة الأقصى، إلا أنَّ مرحلة أوسلو، قد فرضت انحرافاً كبيراً عن مسار المواجهة مع الاستعمار الصهيوني؛ ترك هذا الأمر صراعاً كبيراً في وعيهم، فكيف واجه (جيل انتفاضة الأقصى) مرحلة (التسوية) أو مرحلة أوسلو؟

(جيل انتفاضة الأقصى) ومرحلة أوسلو

"لما أجت السلطة، صار علينا حصار، بطل للاتحاد جدوى، وصار كل شي ممنوع، وصارت شعبية الكتلة الإسلامية أكبر.. وما كنا واعيين أنه بنتحول من ثورة إلى مؤسسة."[177]

---

[175] أحد أبرز الكراسات التي أنتجتها الحركة الأسيرة تحديداً في مقاومة التحقيق ومواجهته، وعرض أنماط أدوات التعذيب التي يستخدمها المحقق السّجان بحق الأسير، وقد ترك هذا الكراس أثراً على وعي الفلسطيني في حينه، حتى وصل الأمر إلى ملاحقة من يقتنيه.

[176] مقابلة مع (س.ب) من الأسرى الإداريين جرت في منزله في البيرة. 2018م.

[177] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

فقد تركت أوسلو تحولات هائلة في المصير الفلسطيني، وأدخلت أطفال انتفاضة الحجارة وفتيتها، الذين نما وعيهم الأول بالمواجهة، وارتبط بمشاهدها، في جملة كثيفة من الصراعات والتساؤلات والتناقضات؛ إذ لم يكن لديهم أية تجربة سابقة للمقارنة أو استخلاص أي من نتائج تلك المرحلة؛ فقد كان فهمهم المواجهة كما صوروها سابقاً، ينسجم مع مسيرة الثورة المعاصرة، بمعاركها في الداخل والخارج، إلى أن جاءت مرحلة الاصطدام، أو الارتطام بواقع أوسلو بتناقضاته، التي كشفت انحيازهم الواضح إلى وعيهم الأول حول المواجهة، وأهمية بقاء التناقض والسؤال؛ حماية لوعيهم، كما برزت الاعتقالات السياسية؛ بوصفها واحدة من أقسى التحولات التي أوجدتها أوسلو، كما عبَّر عنها (جيل انتفاضة الأقصى)، فقد طالت هذه الاعتقالات نشطاء ومقاومين، يقول (س.ع): *"تحول قاسي، بعض أساتذتي اللي درسوني، وبعض شباب المساجد، كانوا معتقلين في المقاطعة عند السلطة، وأنا اعتقلت لاحقا، لفترة طويلة عند السلطة، وإحنا مش مصدقين أنه السلطة عدو، وبنفس الوقت، مش عارفين كيف نتعامل."* [178]

وهكذا، فإنَّ صورة الفدائي لم تكتمل في مخيلة هذا الجيل، وظلَّ محاطاً بأسئلة عن مصيره ومصير السلاح والمقاومة، وظلَّت هذه الأسئلة تتراكم وتتكدس دون إجابات، وظلَّ هذا الجيل في انتظار لحظة تعيده إلى وعيه الأول، وتهدّئ من صراعاته، التي فرضها وجود السلطة الفلسطينية، بما حملته من بنية عنف؛ فهي جزء من بنية عنف الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، ولكن، يقودها الفلسطيني، (متسلحاً) بمبادئ أوسلو، وفي مقدمتها استراتيجية التفاوض وملاحقة سلاح المقاومة،[179] يقول (ر.أ): *"ومع هيك، لسه صورة الفدائي في مخيلتنا"*،[180] ما يعني أصالة الوعي وتشكّله الأساسي المبني على صورة الفدائي؛ فقد كان (جيل انتفاضة الأقصى) ينظر إليه بوصفه الرمز الملهم لوعيه؛ وبالتالي، فإنه من الصعوبة بمكان مسح هذه الصورة، لا استحالة ذلك، وبخاصة أنَّ ذاكرة الطفولة لها خصوصيتها، ولاحقاً ستكشف تلك الرواية لدى هذا الجيل كيف ظهر الفدائي، وعاد يتبلور في سلوكه.

---

[178] مقابلة مع (س.ع). مصدر سبق ذكره.

[179] انظر في: ادوارد سعيد. أوسلو 2 "سلام بلا أرض" 1995م، مصدر سبق ذكره.

[180] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سابق ذكره.

يقول (ب.ك) وهو معتقل سابق لدى أجهزة السلطة، قبل أن يكون أسيراً لدى أجهزة الاستعمار الصهيوني: *"التحقت بالسلطة، وضل داخلي أنه مش لازم أكون هون، طبيعة الارتهان، والضوابط، والآليات، والعمل الداخلي أشعرني أنه بحرق في هوية بارودتي"*،[181] وما هذه العبارات إلا تأكيد على أهمية البارودة كونها أداة للمواجهة، وما تحمله من رمزية عالية، وتفسير للتوجهات التي كان يتسلح بها، ويسعى إليها هذا الجيل، ممثّلة في المواجهة بالكفاح المسلح، فكيف يحرق بارودته؟ وكيف يلاحق من يقاوم المستعمِر الصهيوني من أبناء شعبه؟ إنها مفارقة كبيرة وتناقض كثيف فرضته أوسلو، وما كان منه إلا أن بدأ يواجه البنية العنيفة الجديدة؛ فعصا، وتمرد، وسُجن لدى السلطة، قبل أن يتحول إلى أسير لدى سلطات الاستعمار الصهيوني، وهكذا، فإنَّ المحاولة في إحياء المواجهة ضد الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، لم تتوقف لديه، بل استمرت؛ لتعيد بارودته إلى أصالة المواجهة التي بنت وعيه، وهذا الأمر يجيب على جزء من استعادة المواجهة مجدداً في انتفاضة الأقصى عام 2000م، على يد فتية انتفاضة الحجارة، الذين انتظروا فرصة وعيهم الأول؛ لاستعادة صورة الفدائي، وقيادة المواجهة لاحقاً.

استعادة المواجهة والانخراط في انتفاضة الأقصى

إنَّ حجم الأسئلة التي تركتها المرحلة السابقة (أوسلو) كثيفة، وبخاصة بعد أن تحولت إلى صراع واضح بين جيل لم يفقد شغفه وانتظاره للحظة المواجهة، مع بنية أوسلو، ومحاولته المستمرة إيجاد إجابة عن مصير الفدائي الذي ظلَّ في مخيلته، غير أنَّ هذا لا يعني أنَّ استعادة المواجهة في انتفاضة الأقصى، قد أنهت مرحلة أوسلو، بل إنَّها جاءت ضرورة فرضتها المرحلة وتناقضاتها، مع نشوء جيل جديد له حكايته الخاصة، التي لا تنفي تورطه في هذه المرحلة، وارتباطه ببنيتها، فكيف استعاد (جيل انتفاضة الأقصى) المواجهة مجدداً، بعد أن اصطدم بواقع اسمه التسوية ودحر المواجهة إلى الخلف؟

[181] مقابلة مع (ب.ك) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى). جرت في مكان عمله في محافظة نابلس. 2019م.

فقد فرضت مجموعة من الأحداث ذاتها؛ لتكون مؤشراً على أنَّ المواجهة قد بدأت تتصاعد وتنتظر شرارة قبل اندلاع انتفاضة الأقصى؛ ففي عام 1996م، اندلعت (هبَّة النفق)،[182] التي أعادت الفلسطينيين، وبخاصة هذا الجيل إلى ما كانوا يسعون أو يسعى وعيهم إليه، وهذا ما يمكن قراءته من تجارب من عايشوا تلك المرحلة؛ فتجربة (ب.ك) تكشف بوضوح عن سعي وعيه إلى تلك اللحظة طوال عمله في أروقة الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فكما يشير: *"إلى أن الحديث عن المقاومة، أصبح حراً أكثر في داخل السلطة لدى الأفراد قبل اندلاع الانتفاضة، حيث كان من السباقين في تشكيل خلية داخل السلطة"*؛[183] ولعلّ السؤال الأهم في هذا المقام: ما معنى أنَّ الحديث عن المقاومة قد أصبح حراً؟ إنَّ التساؤل هنا ذاته يحمل جواباً واضحاً، ألا وهو التناقض التام؛ ففكرة المقاومة من الممنوعات التي تُحاربها البنية الجديدة للسلطة، ولكن، هل تعمَّدت ترك حيّز لبعض أفراد الأجهزة الأمنية؛ لتحضيرهم لمواجهة يعرف السياسيون حتميتها؟ وهل كان إعطاؤهم مساحة ضرورياً لحماية وجودهم عبر هذا الجيل؟

وما كان من حالة التناقض إلا أن تصاعدت بصورة جليَّة، وأسهمت لاحقاً في تعرية المنظومة الأمنية في السلطة ودورها، وبخاصة لدى (جيل انتفاضة الأقصى)؛ ليتحول هذا التناقض إلى محفّز للوصول إلى مواجهة مع الاستعمار، مسهماً في تفاقم الصراع والتساؤل الداخلي في وعيهم، ومن ثَمَّ مع أجهزتهم الأمنية، والمسؤولين عنهم، وهذا ما يؤكده (ب.ك)، الذي دفع ثمناً بفقدانه حريته، بعد أن تعرَّض للاعتقال على يد الأجهزة الأمنية الفلسطينية، عقب رفضه التصدي لبعض المواجهات التي فرضها الشبان في شوارع الضفة،[184] يقول: *"التناقض الصارخ بين قناعات إنت*

---

[182] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[183] نفس المصدر .

[184] نفس المصدر.

بتحملها، وبين بارودتك المفروض أنه تكون إلها هويتها، وبين مهمتك في السلطة إنك تقمع مسيرات وطنية تطالب بتحرير القدس." [185]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بقوة: كيف يتحول هذا التناقض إلى حافز؟ في واقع الأمر، لو أنَّ المواجهة الجديدة التي فرضها وجود السلطة الفلسطينية بأجهزتها الأمنية، مرّت دون أن تشكِّل هذا التناقض الواضح؛ لكان هناك تساؤل عن طبيعة الوعي الأول الذي خلفته انتفاضة الحجارة، وبخاصة أنَّ نوعية المواجهة كانت واضحة؛ إذ لم تنحرف عن الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، أمّا مرحلة أوسلو أو التسوية؛ فتفرض انتقالاً صادماً، وهذا ما يمكن فهمه أكثر بمعاينة رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، وسعيه إلى العمل المقاوم مجدداً، وما طرحته هذه الانتفاضة من تساؤلات كبيرة لا تزال قائمة، كما في التساؤل حول نوع التجربة التي تركت آثاراً على وعي جيلها، وبخاصة في محاولتهم إدارة المواجهة.

"ما كنا نقرأ سياسة، في أعمارنا، لما رجع أبو عمار من المفاوضات، وخطب في الشعب، فهمنا أنه الأمور خربت، وهلأ بدنا مواجهة، وإحنا بالنسبة إلنا أجت الفرصة، وتحديدا لما صارت فكرة كتائب الأقصى.. وصارت المواجهة ليلة ليلة، وما كنا متخيلين أنهم راح يدخلوا المدن، وبتذكر مروان البرغوثي كان يحكيلنا: وفروا الرصاص؛ لأنهم راح يدخلوا المدن." [186]

وعلى الرغم من أنَّ الوعي الأول هو الذي شكَّل أساس استعدادهم لاستئناف المواجهة مجدداً، إلا أنَّ مرحلة التسوية لم تستنهضه كما يجب، فلم يقوَ على إدارة المواجهة بصورة سليمة، وهذا ما يوضحه (ر.أ) حينما قال: *"ما كنا نقرأ سياسة"*، وفضلاً عن ذلك، فقد شكَّلت الحالة الرمزية لأبو عمار مرجعاً للهوية المرتبطة بمعنى المواجهة والمقاومة،

[185] مقابلة مع (ب. ك). مصدر سبق ذكره.

[186] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

وكان من الواضح أنَّ مرحلة أوسلو، قد رسّخت بعضاً من الأوهام لدى هذا الجيل، ومنها نوع (السيادة)، الذي شكَّلته السلطة الفلسطينية؛ إذ لم يكن لديه قدرة على تخيل عودة قوات الاستعمار الصهيوني مجدداً إلى المدن في الضفة، ويبدو أنَّ السؤال الحاضر هنا: لماذا أصبح ذلك خيالاً، على الرغم من أنَّ الاستعمار متمثل في مظاهر الحياة اليومية كلها؟ وكيف يصبح خيالاً، والمواجهة لم تتوقف فعلياً وإنما انحسرت؟

"كان في صراع على السيادة، لكن كان صمام الأمان ياسر عرفات، فكان هون نوع من ازدواجية الشعور، ولكن، في ولاء مطلق لواحد اسمه ياسر عرفات"،[187]وهنا تظهر رواية هذا الجيل سؤالاً، ينبغي الاحتفاظ به واستحضاره: كيف لا، وهو يدور حول (السيادة) و(الرمز)، المرتبطين بصورة أساسية بواقع أوجدته أوسلو وتناقضاتها الكثيفة، يقول (أ.أ) عن (السيادة) التي فرضها التنظيم قبل اندلاع انتفاضة الأقصى: *"كنا مجموعة تقوم بدور مدني اجتماعي، له مهمته المختلفة عن الأجهزة الأمنية العسكرية الفلسطينية، على اعتبار أن التنظيم في حينه، أي تنظيم حركة فتح هو (المسيطر) رغم كل المناكفات التي كانت أكثرها مع الأمن الفلسطيني، لكن، تمكن التنظيم من القدرة على امتلاك السلاح والوصول الاجتماعي."* [188]

وهكذا، فقد عادت فكرة المواجهة تنضج مجدداً، قبل سنوات من اندلاع الانتفاضة، وكان الخطاب السياسي المتصل بخطاب ياسر عرفات هو الحاسم لهذا الجيل، وبخاصة لمنتمي حركة فتح؛ إذ كانت رمزية عرفات كافية ليحملوا السلاح، ويخوضوا المعركة، يقول (أ.أ): *"كانت خطابات أبو عمار، زي ما هي بتكفي، ما في داعي يجي مسؤول التنظيم يشوف إيش بدك تساوي، فلحظة المواجهة (مثل حدا بستنى عيد ميلاده، لحظة ما في داعي نطلع ندور عليها)"*،[189]فالمواجهة؛ بوصفها لحظة فاعلة، تستمد قوتها من القرار الجماعي بمواجهة المستعمِر، والرمز، قد ظلَّت

[187]مقابلة مع (أ.أ) أسير محرر من (جيل انتفاضة الأقصى).جرت في جامعة بيرزيت. 2018م.

[188]نفس المصدر.

[189]نفس المصدر.

متيقظة لذاتها، على الرغم من كل محاولات إخمادها أثناء مرحلة أوسلو؛ ما جعل استعادتها أمراً ميسراً، كيف لا، وهي عودة للمصير؟ يصف (أ.أ) ذلك بقوله: *"هذا الشعور خلاني أحس شو يعني أنا فلسطيني، أنا هون قاعد بالبلد."* [190]

ومع سنوات الانتفاضة الأولى، وبخاصة بعد اجتياح مدن الضفة، ومع تصاعد عمليات الاغتيالات، التي نفذها الاستعمار الصهيوني، تحوَّل هؤلاء الشبان الفدائيون إلى مطاردين، ينتقلون من بيت إلى بيت، ومن قرية إلى قرية؛ حمايةً لوجودهم،[191] ويفقدون أصدقاء كانوا برفقتهم؛ ليتركوهم للحسرة والألم؛ ما يفسِّر امتناع بعضهم عن الحديث عن أصدقائهم الشهداء، أو الحديث بصعوبة وغصَّة، أثناء المقابلات التي أُجريت للدراسة، ولعلَّ أشد المشاهد قسوة، هي لحظة الاعتقال، التي كانت مثاراً لتساؤلات جديدة وكبيرة، لم تنتهِ؛ ما يجعل فترة المواجهة، وبخاصة في فترة ما بعد الاجتياحات ذات نكهة خاصة وحكايات مكثفة، توضح تفاصيل عن الفوضى، وقلة التنظيم، ومستوى التجربة المحدودة التي يملكها (جيل انتفاضة الأقصى)، وهذا ما يشير إليه (ر.أ): *"لما صارت الاجتياحات الصغيرة، كانوا الناس ينزلولنا الأكل، ونطخ، ونرجع، نرتاح، ونام، على أساس أنه إحنا منعناهم من التقدم، وما كنا فاهمين أنهم راسمين خطة لهذا الموضوع"*،[192] فهذه الرواية تدل على حجم العنف، الذي تحويه تفاصيل انتفاضة الأقصى، التي تعكس بصورة أساسية، العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر،[193] المبنية في أساسها على العنف؛ ما يجعلها سلسلة من مشاهد الموت المتكرر، والنجاة، والسؤال عن المصير اللحظي.

"أنا لما هربت، كنت بدي أدخل إلى وحدة من العمارات، عشان أشارك مع الشباب، فواحد دفعني، وإسمعت ضابط بحكي بالمخشير، بخربوا علينا الأصدقاء، بخربوا علينا الأصدقاء، وقتها ما فهمت شو يعني"، [194] ولم

---

[190] مقابلة مع (أ.أ) مصدر سبق ذكره.

[191] انظر في: وليد دقة. يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002م، رام الله: مواطن. المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية، 2004م .

[192] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

[193] فرانز فانون. مصدر سبق ذكره. ص7.

[194] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

يوضح (ر.أ) ماذا باتت تعني له جملة *"بخربوا علينا الأصدقاء"*، فمن الأصدقاء؟ ومن الأعداء؟ وقد يكون السؤال هنا مرفوضاً؛ فالعدو واضح هو الاستعمار الصهيوني، ولكن، يبقى السؤال: "من الأصدقاء"، الذين أسهموا في الخراب؟ ولما كان الأمر كذلك؛ فإنَّ هذا السؤال يجب أن يبقى قائماً، كغيره من جملة مسارات التناقض، ولغة الغضب، والخذلان، التي تصاعدت مع وصول الدبابات إلى أواسط المدن، فكان وقع الأمر عليهم خيالاً؛ ليعود السؤال مجدداً: لماذا خيال؟ بل، لماذا تولَّد لديهم الشعور بالخذلان والخيانة؟ يقول (أ.أ) : *"شعرنا بالألم، والمرارة، والخذلان، والخيانة؛ لأنه ما كان ولا مسؤول حوالينا، ما في أب، انتركنا في لحظة لمصيرنا، لهيك، ما بنحكي عن تاريخنا؛ لأنه شعرنا بالهزيمة."* [195]

وبعد قرابة عامين من المواجهة المسلحة، زجّت سلطات الاستعمار الآلاف من (جيل انتفاضة الأقصى) في سجونها؛ ما فرض واقعاً جديداً، يشير إليه وليد دقة[196]؛ فقد بدت السجون في مشهد يوم الحشر، وأمّا إدارة السجون؛ فكان عليها أن تستوعب هذا العدد الكبير، وتسيطر عليه بسرعة؛ لأنَّ نقل كتلة بشرية منتفضة ومقاومة إلى السجن، يعني نقل الانتفاضة إليها، وهذا ما حدث فعلياً؛ فقد انتقلت المواجهة من المعازل الكبيرة، التي فرضها الاستعمار الصهيوني على الأرض، إلى السّجون، التي لا تختلف عن الأولى، غير أنَّها تبقى محاطة بالضباب؛ لعدم المقدرة على الإحاطة بكامل المشهد؛ لبنية العنف الكثيفة.

وعادت الأسئلة التي حملها (جيل انتفاضة الأقصى) لتتجدد مع جملة من التراكمات حيالها، وبخاصة بعد المصير الذي لحق بهم، وما أفرزه اعتقالهم من بنيات لأنواع من المواجهة داخل السجن، متحولة فيما بعد إلى متاهة كبيرة فيها لاعبون كثر، لا يمكن فهمها والكشف عنها بسهولة؛ لخصوصية التجربة التي أفرزتها بنية السّجون الصهيونية الاستيطانية، وبخاصة فيما يتصل بأدوات العنف التي فرضها المستعمِر، وأدوات المواجهة، التي تمكن الأسير الفاعل من خلقها، والأهم من ذلك، الصراعات الكثيفة بين الأسرى أنفسهم.

---

[195] مقابلة مع(أ.أ) مصدر سبق ذكره.

[196] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص44.

(جيل انتفاضة الأقصى) – مرحلة الاعتقال ومواجهة السجن

يتناول هذا الجزء حكاية (جيل انتفاضة الأقصى) في مواجهته السجن، في محاولة تعكس ظروف تلك التجربة، وواقعها، ومرحلتها، بما تحويه من تفاصيل كثيفة، وعلى الرغم من أنَّ تلك الحكايات أقرب ما تكون حكايات ذاتية؛ انطلاقاً من أنَّ كل أسير له حكايته الخاصة، إلا أنَّها ستكشف في واقع الأمر، كثيراً من خفايا تلك التجربة وتفاصيل المواجهة بأشكالها وصورها؛ وذلك بفعل التجربة الفاعلة التي فرضها الأسير الفلسطيني داخل سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، يقول (ر.أ): *"لحظة الاعتقال من حرارة الروح... بحكي لشب أجى باس راسي، حكيتله بصوت عالي: أنا مرتي اسمها نسرين، احكي لنسرين، أنا رايح، مش مطول، حرارة الروح مع خليط من العواطف... وبدأوا يخبطوني، ويضربوني على معدتي... وبعدها راحت الرهبة، وصرت شايف الجيش أولاد صغار."* [197]

ولعلَّ كثافة الأسئلة هنا، هي المسؤولة عن العودة إلى القوة، قوة داخلية لدى الثائرين في مواجهة تفاصيل العنف، التي تبدو أكثر أهمية لهم من الحديث عن ظروف السجن، وواقعه؛ وهذا ما يفسِّر عدم دخولهم في تفاصيل ما يجري على الصعيد السياسي، وبخاصة أنَّ أغلبهم لم يعِ ما يجري قبل لحظة الاعتقال تلك؛ ما يعيد الدارسة إلى تلك الجملة التي وردت على لسان أحدهم سابقاً: "بخربوا علينا الأصدقاء"، فضلاً عن إشارتهم جميعاً إلى أنَّ السجن والشهادة، كانا الخيارين الأكثر وضوحاً قبل لحظة الاعتقال، فكيف عكست رواية هذا الجيل ليلة الاعتقال، من جهة، ومعنى القوة الحاضرة في المواجهة الأقرب بينه وبين المستعمِر، من جهة اخرى؟

كان مستوى العنف مرتبطاً ارتباطاً أسياسياً بمستوى القوة الداخلية، التي عبّر عنها الأسرى، وخير مثال على ذلك، قصة واحدة من النساء اللواتي واجهن الاعتقال، بعد سنوات على اعتقال شقيقها المطارد في انتفاضة الأقصى، تقول: *"في لحظة الاعتقال، قال الضباط: حرام عليكي، حكيتله: اسمع، أنا وحدة ما في عندي قلب، هيو قلبي،*

[197] مقابلة مع (أ.أ) مصدر سبق ذكره.

ودفست بنتي، وصرت أزيح إيديها، وأخدتها ستها، وأنا طلعت، ووقفوني على الحيطة، وحكولي إنت عندك أطفال كثير، كيف بدك تتركيهم؟" [198]فتلك القوة التي فرضها التحدي لدى (ن.ه) تكشف عن تفاصيل تتصل بتشكُّل الوعي وقوته نحو المواجهة، وهذا ما لا يمكن كشفه من سياق هذا الاقتباس فحسب، بل إنَّ كل حكاية هي بنية خاصة لوعي كلٍّ منهم، يمكن قراءة تشكُّله عبر أسطر القصص الصغيرة التي رافقتهم، لا بقرار المواجهة ضد المستعمِر فقط؛ فالمواجهة لم تنتهِ، بل تمتد، وتتخذ أشكالاً ومسارات جديدة.

وعلى الرغم من كثافة هذه القوة، إلا أنَّ بعضهم قد وضع قوته في تلك اللحظة ضمن تساؤلاته الكبيرة، القوة بكلِّ معانيها، وليس في إطار التحدي، والإصرار على المواجهة؛ فهي تحمل في طياتها أحياناً نقيض التحدي؛ ما يجعلها تظهر في هيئة خوف، وارتباك، وقرار مصيري نحو آخرين، يتعدى مصير الأسير نفسه، يقول (ف.ع): *"ليلة الاعتقال، أسوأ ليلة، أنا جبنت يوم اعتقالي، ودفعت ثمن جبني... مش الحر اللي بنحط في القفص، لازم دعست على الزناد، بس أنا خفت من الموت، خفت يهدوا الدار، يقتلوا أخوي، ويقتلوا ثلاث صحاب في الدار"* [199]، وفضلاً عن ذلك، فقد فرضت الرواية، بما فيها من تناقض بين النجاة والموت، تساؤلاً: كيف تحول رفاقهم الشهداء إلى طوق نجاة؟ ففي رواية أحدهم كانت نجاته ومصيره مرتبطين ارتباطاً كلياً باستشهاد أصدقائه، وهذا ما وصفه (أ.أ): *"وصلني الشهيد الفلاني... وبعدها وصلني الشهيد الفلاني ... وكان كل واحد بوصي التاني عليّ؛ عشان ما أنطخ، ولا يعتقلوني"* [200]، وكل محاولة لإيجاد معنىً للمصير عند لحظة الاعتقال، مبنية بلا شك على الأسئلة المرهونة بالعنف؛ فالخوف، والموت، والارتباك مقدمة تلك القوة التي تأتي لاحقاً في حكاياتهم: *"لحظة الاعتقال، لحظة ارتباك، وخوف، وضياع، وصدمة، لحظة مش سهلة...كانت صورة الصهيوني، واضحة، كنت بستنى أشوفه... بالاجتياح ما شفته، ولا هو شافني... في*

[198]مقابلة مع (ن.ه) أسيرة محررة من (جيل انتفاضة الأقصى). جرت في منزلها في محافظة الخليل. 2018م.

[199]مقابلة مع (ف.ع). مصدر سبق ذكره.

[200]مقابلة مع (أ.أ). مصدر سبق ذكره.

هديك اللحظة عرفت ملامحه، وشو وراها"[201]*، ويصف آخر لحظة اعتقاله: "مشهد سحبي من البيت، كان مشهد إله رهبة كبيرة، مش خوف، بدايات مرحلة جديدة، حتى اليوم بفسر، كنت ماشي...وهم بصيحوا، وبصرخوا"*[202]، وهكذا فإنَّ لحظة الاعتقال هي لحظة الأسئلة الكثيفة المحاطة بالعنف، ولا فرق بين الأسرى ورواياتهم عنها؛ فرواية (جيل انتفاضة الأقصى) لا تختلف عن سابقيهم، وهذا ما وصفته عائشة عودة في روايتها (أحلام بالحرية): *"تراكضت الأسئلة في رأسي، كأنها خيول سباق، فرت من فرسانها"*،[203]غير انَّه سباق لا ينتهي، كيف لا، والمرحلة القادمة تمثِّل منبع الأسئلة؟ "*بوصفها محطة كثيفة، يتمركز فيها الصراع بين القديم والجديد، بين الحرية والعبودية، بين الأمل وأعداء الأمل، بين الثورة والثورة المضادة."* [204]

ولعلَّ مرحلة التحقيق أكثر المراحل التي شغلت الباحثين وأدبيات تجربة الاعتقال في سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، ويمكن القول إنَّ أدبيات الأسرى تكاد لا تخلو من الحديث عنها؛[205] فهي المرحلة الأكثر كثافة من حيث العنف، والكشف عن أدوات السّجّان؛ بما تفرضه من مواجهة مباشرة بين السّجّان والأسير الفاعل، بل هي المحطة التي تتيح قراءة مصير الأسير في بنية السجن؛ فكثافة المواجهة هنا، مرتبطة بمواجهة بنية السجن وليس السّجّان فقط، كما أنَّ رواية الأسرى حولها تُعَدُّ الأكثر أهمية في هذا الكشف العميق حول تلك العلاقة الثنائية، وما طرأ عليها من تغيرات وتحولات، وبخاصة في أساليب العنف؛ إذ أفرزت تلك التجارب وسردها أدوات مهمة في مقاومة التحقيق، ومواجهته، ومد الوعي الثوري لدى الأجيال اللاحقة، وتحولت مرحلة التحقيق إلى مرحلة لها قوانينها وأساليبها ومنهجها الخاص، بما فيها من تفاصيل عميقة، وبخاصة فيما يتصل بالصراعات، وأدوات العنف، ومستوى الوعي

---

[201]مقابلة مع (أ.أ) مصدر سبق ذكره.

[202]مقابلة مع (ع.د) مصدر سبق ذكره.

[203]عائشة عودة. أحلام بالحرية. مصدر سبق ذكره. ص 17.

[204]فلسفة المواجهة. مصدر سبق ذكره. ص 5.

[205]انظر في: العديد من أدبيات الأسرى تناولت مرحلة التحقيق من خلال عرض العشرات من الأسرى تجربتهم داخل التحقيق، لما لهذه التجربة من أهمية في مصير الأسير، ومن هذه الأدبيات: أحمد قطامش. لن ألبس طربوشكم. صفحات من تجربتي في أقبية التحقيق. رام الله. مركز منيف البرغوثي الثقافي. عائشة عودة. أحلام بالحرية. دار البيروني للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. 2016م. مروان البرغوثي. ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي. لبنان. الدار العربية للعلوم ناشرون. 2011م.

والصمود لدى الأسير؛ فهي أم المعارك داخل السّجن، حيث يبقى الأسير الثائر الحقيقي متسلحاً بالإرادة والقناعات الإنسانية، على الرغم من سلب حريته.[206]

وقد تعرَّضت المواجهة، بأشكالها المختلفة داخل السّجن، إلى التغيير؛ بفعل مجموعة كبيرة من العوامل المركبة، التي نشأت في (الخارج)، وصبَّت تأثيرها على الداخل (السّجن)، يأتي في مقدمتها تغيير طابع المواجهة بعد مرحلة أوسلو، والتغيير الذي أصاب تركيبة الأسرى أنفسهم، وتوغُّل رأس المال، وبروز تيارات تماثلت مع ما أفرزته أوسلو في العلاقة مع المستعمِر الصهيوني، غير أنَّ هذا التغيير لم يقتصر على نمط العلاقة، بل تجاوزه إلى أساليب المستعمِر، وبخاصة فيما يتصل بالعنف وأدواته،[207] وهذا لا يعني أنَّ العنف قد أصبح أقل، بل إنَّه أخذ أنماطاً وأساليب جديدة، كما لا يعني سقوط الأساليب القديمة، بل إنَّها أصبحت تُدار بطرق جديدة،[208] وهذا ما ستعرضه الدارسة لاحقاً، عبر حكايات الأسرى، وما فيها من عوامل أساسية حاسمة في تلك المرحلة، تمهِّد لنوع العلاقة بين الأسير والسّجّان، وتمتد لأشكال المواجهة كلها بدرجات مختلفة، كما في وعي الأسير بالسرية أثناء عمله الثوري، وقرار الأسير الفاعل بالمواجهة، وأنماط العنف التي يستخدمها السّجّان، وقضية الاعتراف، والزمن، ومعنى المصير.[209]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ البعد الذاتي في فترة التحقيق، له ثقل كبير في عكس كثير من التفاصيل، التي تتصل بوعي الأسير، ولربما تكشف عملية الولوج في ذات الأسير أثناء التحقيق، خطورة في سرد مشاعره وصراعاته؛ كي لا تصبح أداة بيد المستعمِر في بنيته الصهيونية الاستيطانية؛ فقد أوصلت فظاعة العنف بعض الأسرى إلى الشعور بأنهم في عالم آخر؛ لما وصل إليه الجسد من حالة إنهاك، وكأنهم يستعينون بعالم آخر، يستمدون منه قدرتهم على الاستمرار والصمود؛ ما يفسِّر وصول روايتهم إلى مرحلة عدم التفسير.

---

[206] انظر في: فلسفة المواجهة. مصدر سبق ذكره.

[207] انظر في: إياد الرياحي. مصدر سبق ذكره.

[208] مروان البرغوثي وآخرون. مقاومة الاعتقال.فلسطين: شركة مؤسسة الأيام. 2010م. ص110.

[209] انظر في: فلسفة المواجهة: مصدر سبق ذكره.

وقد شكَّلت تجربة الاعتقال والتحقيق، التي عاشها أغلب (جيل انتفاضة الأقصى) لأول مرة، امتداداً للمواجهة في الخارج مع المستعمِر، الذي حضر هنا على هيئة سجّان فرض أبعاداً أخرى في المواجهة؛ لتصبح مباشرة ذات مضامين خاصة،[210] وهكذا، تبقى تجربة التحقيق الأكثر تأثيراً في حكايات الأسرى؛ بوصفها محطة أولى في تجربة الاعتقال، ترتبط بكثافة العنف في واقع الأمر؛ فالعنف هو المحرك الرئيس لتلك العلاقة الثنائية بين الأسير والسّجّان، في بنية استعمار صهيوني استيطاني قائم على محاولة السلب المستمرة.

وكما اختلف (جيل انتفاضة الأقصى) عن سابقيه زمنياً، فقد اختلف عنهم فيما يواجهه من عنف؛ ففي المراحل السابقة من تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية، كان العنف الجسدي طاغياً على تفاصيل التجربة، كما تؤكد رواية الجيل القديم من الأسرى، أمّا في رواية الجيل الجديد (جيل انتفاضة الأقصى)؛ فتؤكد اختلاف أساليب التحقيق، واتخاذها أشكالاً وصوراً أخرى، مع بقاء مستوى معين من العنف الجسدي، والأمر اللافت للانتباه، أنَّ هذا الجيل قد تعامل مع العنف الجسدي في مرحلة التحقيق، انطلاقاً من كونه أخفّ وطأة من نظيره النفسي،[211] وهذا ما أشار إليه أغلبهم، غير أنَّ هذا الوصف لا يعني غياب الأساليب النفسية، التي كانت حاضرة بقوة، ولا مجال لحصرها؛ لما تتخذه من صور متعددة، تصل إلى الحد الذي يصعب تفكيكها.

يقول وليد دقة في كتابه (صهر الوعي)، الذي تعتمد عليه الدارسة بصورة أساسية في بحثها، انطلاقاً من كونه أهم منتج فكري: *"إنه ومع بداية انتفاضة الأقصى، فقد أصبح القمع والتعذيب مركبا وحداثويا ...فالقمع الحداثوي*

---

[210] مقابلة مع (أ.ق) أسير من القدامى. المقابلة تمت عبر أسئلة وأجوبة مكتوبة بناء على رغبة الأسير، وذلك بعد عدة مقابلات حوارية جرت معه رفض تسجيلها.

[211] مراون البرغوثي وآخرون. 2010م. مصدر سبق ذكره. أساليب التعذيب الجسدي: الضرب، والشبح، والتجويع، والمنع من النوم، واستخدام أكياس ذات روائح كريهة نتنه لتغطية الرأس، واستخدام درجات الحرارة أسلوباً للتعذيب، ومنع المعتقل من استخدام المرحاض والحمام فترات طويلة، ومنع الفراش والأغطية في الشتاء، وشد الأصفاد، وإجبار المعتقل على بعض الحركات الرياضية المرهقة والمتعبة، أمّا التعذيب النفسي؛ فمن أمثلته: العزل فترات طويلة دون الحديث أو سماع صوت أحد، وتغطية العينين طوال فترة التحقيق، والتهديدات، واعتقال العائلة، والإغراءات والإغواء وإثارة المشاعر، وتركيبة الزنزانة ولونها وحجمها، واستخدام العملاء للإزعاج والتخويف، ومراكز التحقيق الغامضة بوصفها أسلوباً للضغط النفسي، واستخدام الأصوات الصاخبة، واعترافات أصدقاء ورفاق المعتقل، والشتم بألفاظ بذيئة ونابية تطول الأم والأخت، واستغلال الدخان أسلوباً للضغط، ومنع المعتقل من التنفس عبر خنقه مدة دقيقة، والنوم في المرحاض، وتبهيت دور المعتقل الوطني، وتبيان قوة العدو الصهيوني ومقارنتها بقوة الشعب الفلسطيني، والمقارنة بين المحقق والمعتقل، وتشتيت الأفكار، وأسلوب المحقق الطيب والشرير، وأسلوب المعرفة الكاملة.

مقنع ومخفي ويقدم على أنه استجابة لحقوق الإنسان، إنه قمع لا صورة له، ولا يمكن تحديده بمشهد، بل إنه مجموعة من مئات الإجراءات الصغيرة والمنفردة"، [212] فها هو وليد دقة يعيد تعريف التعذيب، في محاولة فكرية ذات أهمية، وبخاصة أنَّها تخرج من بين جدران السجن، ويبدو أنَّ التحول في أساليب العنف وأدواته لم يكن تحولاً مفاجئاً، بل كان تراكمياً؛ بفعل تلك العلاقة الثنائية القائمة في بنية السّجن؛ فالتغيير الذي أصاب أساليب العنف في رواية (جيل انتفاضة الأقصى) يثبت ذلك، وبخاصة أنَّ بعضهم لم يجرب الاعتقال سابقاً؛ ما جعل الصورة التي نقلها الجيل الجديد عن مستوى العنف، تختلف عما نقله الجيل القديم من روايات؛ فقد وجد الأول عنفاً يُدار بطريقة أخرى، وبخاصة مع آليات التكنولوجيا الحديثة وأدواتها، وأدوات الرقابة والسيطرة الحديثة، وبمعنى آخر، فإنَّ التغيير في أدوات السّجّان مبنية على محاولته الدائمة فرض أنماط جديدة من التعذيب، يصعب كشفها بسهولة، وتتعدى الأدوات المستخدمة في مرحلة التحقيق التي يمكن كشف جزء منها بصورة أقل تعقيداً.

يقول (س.ع): *"أكثر من مرة جربت الاعتقال، في التحقيق عام 2004م، قعدت في تحقيق المسكوبية 60 يوم، التحقيق صعب ما كان يُستخدم فيه العنف الجسدي، كان يستخدم فيه العزل الكامل، ومحاولة الضغط النفسي، في التحقيقات السابقة لما كانوا يسبوا ويضربوا، أنا بولد عندي تحدي، يشتمني، أشتمه، التحقيق هاد أصعب؛ لأنه ما في عنف جسدي، ومختلف كتير، العنف الجسدي كان يولد عندي فعل وتحدي كبير، واستخدموا جهاز كشف الكذب، وكان واضح أنه في أدوات جديدة،"* [213]ولعلّ أقوى الأساليب التي يمكن أن يستخدمها المحققون؛ في محاولة منهم تغيير صورة المستعمِر في وعي الأسير، هي ظهور السّجّان في مظهر المدني الذي يتحدث اللغة العربية، ويوظف كثيراً من الأقوال القريبة من ثقافة الفلسطيني، في تعامله مع الأسرى، وتحقيقه معهم؛[214] فالصورة هنا، ومع مرور الوقت، تترك أثراً في وعي الأسير، وبخاصة إذا ما عُقِدت موازنة بينها وبين صورة المستعمِر، الذي حمل البندقية في وجهه

[212]وليد دقة .2010. مصدر سبق ذكره. ص 20.

[213]مقابلة مع (س.ع) مصدر سبق ذكره.

[214]مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

في مواجهته المسلحة التي سبقت الاعتقال، وما هذا التفصيل الصغير إلا جزء من مئات التفاصيل، التي يمكن أن تكشفها ذات الأسير الفاعل، كلما دقق في أساليب المحقق وحاول قراءة ذاته، وفضلاً عما تقدم، فقد أكّدت مواجهة التحقيق أنَّ الوجود المادي للسّجّان، كان محفزاً وعاملاً أساسياً في استمرار متلازمة (اللا) في وعي الأسير، أي: (لا) للاعتراف، وفي الوقت الذي يغيب فيه السّجّان غياباً مادياً، تاركاً الأسير فترة طويلة في العزل، تصبح مساحة التفكير بالاعتراف أقرب، لكن، وفور حضور السّجّان، يصبح الأمر كافياً لاستئناف (اللا)"،[215] وهنا يبرز تساؤل على قدر من الأهمية: كيف يتحول وجود السّجّان المادي إلى عامل مهم لاستمرار المواجهة والصمود؟

ومما لا شك فيه، أنَّ مستوى العنف الواقع على الأسير (الفاعل)، يفرض مستوى التحدي والمواجهة ويحدده، وهذا ما حاول الأسرى تفسيره؛ فالعنف الجسدي يخلق تحدياً ودافعاً لاستمرار المواجهة، أمّا العزل؛ فيشكّل وسيلة ومحطة للتقليل من مستوى المواجهة؛ بوصفها رغبة الأسير الأولى بالبقاء، ولعلَّ هذا الجانب، أصعب من أنْ يدخل في إطار موازنة مع أساليب التحقيق، التي يوظف فيها السَّجّان العنف الجسدي، وانتقالاً إلى المراقبة؛ فقد كان السَّجّان يجريها بصورة مباشرة قديماً، بينما أصبحت تجري اعتماداً على الكاميرات وأجهزة التسجيل؛ ما شكَّل تحولاً مهماً في أساليب التحقيق،[216]ولكن، وعلى الرغم من التطور، إلا أنَّ بعضاً من الأساليب القديمة ظلَّت قائمة، وتُنفَّذ بطريقة ممنهجة، ومن أهمها ما يُعرف بغرف (العصافير) أو غرف (العار)،[217] وعمليات الضرب الطويلة(الشبح)، واستخدام المياه الباردة، والضرب على الأماكن الحساسة في جسد الأسير، واستخدام العائلة للضغط على الأسير، وغيرها.[218]

يقول (ع.ي): *"أنا تعرضت لثلاثة اعتقالات، في التحقيقات السابقة، كانوا يتعمدوا التعذيب الجسدي، وفي هذا التحقيق كانوا يعتمدوا على الأساليب النفسية وعلى الضغط النفسي، ما في تعذيب جسدي وما في ضرب، فقط*

[215]مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.
[216]مروان البرغوثي. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 89.
[217]فلسفة المواجهة. مصدر سابق. ص 214 .
[218]مروان البرغوثي. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 109- ص 138.

شبحوني، وهذا قياساً مع الفترات السابقة لا شيء، والكلبشات، ما كانت تنفك من يدي ورجلي من مرة، وضل التحقيق 92 يوم، شبح، وإهانات، وغلط، وأصعب لحظات التحقيق علي في اليوم 17، في رفيق الي اعترف عند العصافير، وبعد ما اعترف انجلط، وأخضعوني لمساومة، أنه حياة رفيقك في إيدك، إحنا مش راح نعطي العلاج إلا لما تعترف، أنا قولتلهم: ما عندي إشي، خلي يستشهد، بكسبها عند ربه، بروح شهيد، ولما نزلوني على زنزانة، في كاميرات مراقبة، وأجهزة تسجيل، عبطت رفيقي، وهمست في أذنه: أنت أغلى من ولادي، بس أنا ما بقدر أعترف." [219]

ففي تلك المرحلة، يصبح إصرار الأسير على عدم الاعتراف هو المعيار، بل العامل المهم الذي يُحدد مستوى العنف ومصير الأسير؛ فقضية الاعتراف تشكل نقطة حاسمة محورية، وأيّ تحول في مرحلة التحقيق ومساره، يعتمد عليها؛ فهي تحمل معنى القرار، الذي يحدد لاحقاً مصير الأسير، الذي قد يمتد أثره ليشمل مصير أسرى آخرين، وقد أخذت قضية الاعتراف حيزاً واسعاً في تجربة الأسرى؛ كيف لا، وهو مقترن بالخيانة؟[220] ولكن، لا يخفى على أحد أنَّ في كل حكاية كشفاً أكثر عمقاً، يوضح كيفية تحويل قضية الاعتراف من عامل سالب في قضايا معينة، إلى عامل منقذ في بعضها، دون تنفيذ أحكام على الأسير الفاعل بأنه قدم اعترافاته، غير أنَّ هذا الأمر لا يعني تبرير الاعتراف؛ ما ترك حيزاً كبيراً للكشف عن مستوى الوعي الذي يحمله الأسير وخفاياه، ومقابل كل هذا، فإنَّ هناك سلسلة من الصراعات الكثيفة، التي لا يمكن حصرها أحياناً في حكايات الأسرى، وبخاصة في أنواع المواجهة التي ترتبط بمصيره داخل السجن، ومنها قضية الاعتراف في التحقيق، التي تضع الأسير أمام تساؤلات كبيرة حول مصيره ومصير غيره.[221]

---

[219] مقابلة مع (ع.ي) مصدر سبق ذكره.

[220] انظر في: فلسفة المواجهة.مصدر سبق ذكره.

[221] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

وتعكس قضية الاعتراف في التحقيق البنيات التنظيمية للفصائل داخل السجن، وعلى الرغم من أنَّه من الصعوبة بمكان الحكم على التنظيمات، استناداً إلى روايات الأسرى حول قصصهم ومواجهتهم التحقيق، إلا أنَّ موقفها من الأسير الخاضع للمحقق، كفيل بقراءة قوتها وبنيتها وتركيبتها، ومن الجدير ذكره، أنَّ التنظيم في مراحل تاريخية، قد شكَّل في ذاته أداة عنف؛[222] ما جعل الأسير في مواجهة جديدة، لا ترتبط بمرحلة التحقيق، وما ينتج عنها فحسب، وإنما تتجاوزها لتشمل مواجهة التنظيم، وهذا جزء أساسي من رواية الأسرى، وبخاصة (جيل انتفاضة الأقصى)، ولكن، بأساليب جديدة، ستظهر لاحقاً بصورة أعمق، عبر الموضوع الأساسي لهذا البحث، المتمثل في تجربة الإضراب عن الطعام.

فالمواجهة بمثابة المنبّه للوجود داخل السّجن؛ ما يدفع هذه الدراسة إلى استهداف تجربة (جيل انتفاضة الأقصى)، في مواجهة السّجّان عبر تجربة الإضراب عن الطعام، أو كما يُسميها الأسرى الفلسطينيون معارك الأمعاء الخاوية؛ فتجربة الإضراب عن الطعام تعكس كثافة ذات دلالة خاصة لمعنى الوجود الإنساني للأسير ومصيره؛ إذ يواجه الأسير بجسده وقناعاته النضالية بنية السجن، بما فيها من تفاصيل عنيفة تُسهم في الكشف عن ثنايا العلاقة بين السَّجّان والأسير الفاعل، مكوِّنة تلك العلاقة الثنائية،[223] التي تمثِّل نتاج المواجهة بين المستعمَر والمستعمِر؛ "إذ إنَّ العملية الصراعية لا تتوقف، فهي قانون العلاقة بين السّجّان والأسير"؛ [224]فمنذ عام 1967م، خاض الأسرى قرابة

[222]انظر في: إياد الرياحي. مصدر سبق ذكره.

[223]فرانز فانون. مصدر سبق ذكره. ص7.

[224]مقابلة مع (أ.ق) مصدر سبق ذكره.

27 إضراباً جماعياً،[225] كان جُلُّها مرتكزاً على مطالب حياتية، ومنها السياسية، التي عكست مرحلة جديدة، هي مرحلة أوسلو؛[226] للوصول إلى مرحلة ما بعد انتفاضة الأقصى الممتدة؛ بوصفها نتاجاً لأوسلو.

ما قبل إضراب الأسرى عن الطعام عام 2004م

يصف أبو علي شاهين تجربة الإضراب عن *الطعام بقوله: "إنه النار التي يتطهر بها نضال المعتقل والأسير والسجين، حيث إن الإضراب عن الطعام، يفرز الغث من السمين، والزبد يذهب"*،[227] وهكذا، فإنّه يمكن فهم خلاصة التحولات التي أصابت القضية الفلسطينية، استناداً إلى رواية الجيل الجديد، مع الأخذ بعين الاعتبار، ما أشارت إليه الدارسة سابقاً في المقدمة، حول تشكيل الإضراب نتاجاً لمراحل تاريخية ممتدة ومتراكمة، تتّسم بحدَّة الصراعات، وكثافة التناقض فيها.

ولعلَّ الخلاصة الأهمّ البارزة في رواية (جيل انتفاضة الأقصى)، ما يتمثَّل في التحول الذي أصاب أساليب العنف؛ فقد انتقل من عنف جسدي إلى عنف غير مرئي، في محاولة السيطرة الشمولية على البنيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلها،[228] ومن هنا؛ ستعتمد الدارسة، بصورة أساسية، على الإنتاج الفكري للأسير وليد دقة، في حديثه عن تجربة الإضراب عن الطعام، التي تحتل الجزء الأكبر من كتابه (صهر الوعي)، ومحاولته إعادة تعريف التعذيب، التي اقترنت، على وجه الخصوص، بتجربة إضراب عام 2004م، وما يشكِّله من منهج لمحاولة وممارسة السيادة وتقرير المصير وممارستهما؛ إذ يشير وليد دقة بوضوح إلى أنَّ الاستعمار الصهيوني، ومنذ عام 2004م، قد أنجز نظاما شمولياً خطيراً، يعتمد على نظريات الهندسة البشرية، إضافة إلى عقيدة الصدمة، ومنها عمليات القتل، والقصف،

---

[225] توثيق جمعية نادي الأسير الفلسطيني عن ورقة خاصة بالإضرابات الجماعية منذ عام 1967م.

[226] انظر في: عيسى قراقع. الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو (1993م- 1999م). رام الله: جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير. 2000م، وزياد موسى زياد. تأثير حقبة أوسلو على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية (1993م-2012م). جامعة القدس. رسالة ماجستير. 2012م.

[227] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 132.

[228] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 31.

والإعدامات الميدانية، التي واجهها (جيل انتفاضة الأقصى)، فضلاً عن تعذيب الأسرى فترة التحقيق، وكذلك تجربة الإضراب عن الطعام.[229]

فقد استمرت إدارة السجون الصهيونية في تعاملها مع الأسرى حتى نهاية 2003م، وفق خيار تعتمد فيه على تمكين الحركة الأسيرة بأطرها، التي تستوعب هذا العدد من الأسرى، وإدراجهم في هيكلتها؛ ما يعني انضباطهم وخضوعهم للتقاليد التي تراكمت وأصبحت تنظِّم العلاقة مع السَّجّان؛ ما يمكِّنه من قراءة خطوات الأسرى وتحركاتهم، وظلَّ ذلك قائماً حتى منتصف عام 2004م، إلى أن بدأت تلك الإدارة تستخدم أسلوباً آخر، يتمثَّل في منع الأسرى الجدد من التقاط أنفاسهم؛ عبر خلق حالة من عدم الاستقرار بنقلهم الدائم؛ ما يحول دون تشكيلهم جسماً واحداً أو مجموعة، تحكمها قوانين وضوابط، وفضلاً عن ذلك، فقد استغنت إدارة السجون عن التقاليد والأطر، التي تنظم حياة الأسرى، وعملت على استبدال المحتوى القيمي لها، وحطمت، وفككت أجزاء أخرى منها؛ في محاولة منها خلق قيادة بديلة في السجون. [230]

وبكلمات أخرى، فقد منح الأسرى المواجهة في تجربتهم معنى خاصاً؛ كونها تمثِّل وجودهم داخل بنية السجن، غير أنها لم تكن نتاجاً لتجربة الاعتقال فحسب، بل هي امتداد التقطه وعي (جيل انتفاضة الأقصى) منذ طفولتهم، بدءاً من صورة الفدائي الذي ظلَّ مرافقاً لهم، وما أصابها من تجمد مؤقت مع ما فرضته مرحلة أوسلو، وصولاً إلى انتفاضة الأقصى، التي كانت بمثابة فرصتهم الأولى في الكفاح، بما فيه المسلح، وهذا الامتداد في المواجهة يفرض تساؤلاً عن أثر التراكمية في إدارة المواجهة بأشكالها المختلفة داخل السجن، وهنا، تظهر أشكال المواجهة متشعبة إلى الحدّ الذي يصعب حصرها، وبخاصة أنَّها في بنية السّجن، فضلاً عن كونها الوجود؛ فهي معنى الزمن؛ ما يفسِّر أهمية استمرارها.

---

[229] المصدر السابق. ص29 .

[230] المصدر السابق.ص 45.

ولما كان حصر أشكال المواجهة، التي يفرضها الأسير الفاعل، من الصعوبة بمكان؛ فإنه يمكن وضعها في إطار معانٍ ودلالات محددة، كإجراءات الرفض والاحتجاج، والقدرة على الاستمرار، والصمود اليومي، ومواجهة نظام السّجن، الذي أُسِّس تحت عنوان *"الحفاظ على حياة الأسير وضبطه والسيطرة عليه"*؛ [231] فإجراءات الرفض والاحتجاج على كثير من تفاصيل الحياة الاعتقالية، تمثِّل الصورة الأساسية لأنواع المواجهة كلها، بدءاً من إرجاع وجبات الطعام، وانتهاءً بالإضراب المفتوح عن الطعام، الذي يمثل ذروة المواجهة.

ومن هنا، فإنَّ هذا البحث يتناول ذروة المواجهة في بنية السّجن، التي تتمثَّل في تجربة الإضراب عن الطعام لدى (جيل انتفاضة الأقصى)، بوصفها محاولة وممارسة للسيادة وتقرير المصير الفلسطيني، ومما لا شك فيه، أنَّ إضراب الأسرى عام 2004م، يمثِّل أولى تجارب هذا الجيل؛ فقد تزامن مع جملة من الوقائع الخارجية المفروضة على الساحة الفلسطينية، ومن أبرزها: استمرار حصار الرئيس الفلسطيني أبو عمار، والمواجهة المسلحة، وارتفاع أعداد الأسرى في السجون الصهيونية، فضلاً عن كثافة الاغتيالات في صفوف المقاومين الفلسطينيين.

إضراب عام 2004م: قرار ومسار

تركت تجربة الإضراب عن الطعام تساؤلات كثيفة عن تفاصيل معنى المواجهة وثناياه، دون أن تقتصر على العلاقة بين الأسير والسَّجّان، فقد امتدت لتفرض مواجهات أخرى، ستتضح لاحقاً، عبر عرض تجربة إضراب (جيل انتفاضة الأقصى) عن الطعام، ومما لا شك فيه، أنَّ تناول هذه التجربة بوصفها معركة لها محطتها ومراحلها، وفي كل مرحلة، تفرض أبجدياتها ومنهجها الخاص، *"فإنَّ كل تجربة إضراب هي تجربة مختلفة وخاصة، إلا أنها مشتركة بالشكل فقط."* [232]

---

[231] مقابلة مع (أ.ق) مصدر سبق ذكره.

[232] مقابلة (ع.م) أسير محرر من الأسرى المعتقلين قبل انتفاضة الأقصى. جرت في مقر نادي الأسير الفلسطيني. 2019م.

يقول وليد دقة: *"لم يسبق في تاريخ السجون، أن ألحت إدارة السجون وحثت الأسرى على خوض الإضراب، كما فعلت قبل الأشهر التي سبقت الإضراب عام 2004م، بعد أن قامت بكل التحولات السابقة، وأكملت استعدادها، وحاولت قيادة الحركة الأسيرة، باتخاذ كل الإجراءات التي يمكن أن تساهم بعدم تمرير هذه الهجمة الشرسة، خاصة أن غالبية الأسرى هم حديثو التجربة، وقد قدم الأسرى العشرات من الرسائل من أجل ذلك، إلا أن الرفض كان عنوان الإجابة، الأمر الذي دفع الأسرى لخوض الإضراب."* [233]

وبكلمات أخرى، لقد اختلفت أدوات المواجهة التي يستخدمها الأسرى، وبعد أن كانت البندقية والإرادة سلاح المواجهة، أصبح الجسد وإلى جانبه الإرادة سلاح المواجهة، الذي يوظفونه عبر الإضراب عن الطعام، وكما ظلَّ الجسد مستعداً للشهادة والتضحية خلف البندقية سنوات طويلة، فإنه يواجه المستعمِر الآن بطريقة أخرى، تتمثّل في الامتناع عن الطعام، ومقاومة أهم رغبات الإنسان التي تُشكل أساساً لاستمراره في الحياة، ففي 15 آب عام 2004م، شرع الأسرى داخل السجون الصهيونية في الإضراب عن الطعام، ومنهم أسرى (جيل انتفاضة الأقصى)؛ لتكون أولى تجاربهم، فكيف أسهموا بمواجهتهم الممتدة في ترك أثر خاص على تجربة الإضراب، وكشفوا عن كثير من التفاصيل وعرّوها؟ وما العوامل التي أسهمت في بلورة قرار الإضراب مع استمرار المواجهة خارج الأسر آنذاك؟ وما المسار الذي مر به هذا الإضراب؟ وما المصير الذي وصل إليه؟ كل هذه الأسئلة، وغيرها، ستحاول الدارسة أن تتناولها، عبر حكايات أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) عن إضراب عام 2004م.

"مش سهل تروح على إضراب، في 2004م، دخل تقريباً 7000 أسير من الجدد مع بعض، وضلوا لآخر لحظة مع بعض." [234]

---

[233] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 50.

[234] مقابلة مع (ع.م) مصدر سبق ذكره.

وتشكِّل مسألة بلورة القرار في الحياة الاعتقالية أهمية كبيرة؛ فالقرار هو الدرجة الأولى في سلم المواجهة، بل إنه بُعْد آخر لمعنى الوجود في بنية السّجن، كيف لا، وإمكانية اتخاذ قرار بخصوص مواجهة السَّجّان، تمنح المعنى الأهم لتلك العلاقة الكثيفة؟ فهو التحدي الأول الذي يحاول هزّ بنية السيطرة في منظومة السجن؛ فقرار المواجهة، يفرّق بين أسير فاعل وآخر سالب، ولعلَّ أهم القرارات وأعمقها بُعداً في المواجهة وأنماطها، تجربة الإضراب عن الطعام؛ فهو قرار الحياة أو الموت مقابل السّجّان، فضلاً عن كونه قراراً ذا صلة وثيقة بالتنظيم، ووجود قيادة مركزية تمثِّل جسد الحركة الأسيرة؛ ما يفرض تساؤلاً أساسياً في هذا المقام: كيف تبلور قرار الإضراب عام 2004م؟ وكيف تتحول قدرة الأسير على القرار معنىً لمحاولة السيادة وتقرير المصير، وممارستهما؟

"كل إضراب يختلف عن الآخر، والعوامل إللي بتأثر بالأساس عوامل داخلية، وعوامل خارجية، وطبيعة الإدارة، والأسرى، وتكوينهم، والواقع في الخارج، وطبيعة المطالب"،[235] ويمكن القول إنَّ التجارب السابقة للأسرى في معارك الإضراب عن الطعام، قد كانت بقرار جماعي، مع الأخذ بعين الاعتبار، أنَّ الإضرابات السابقة كلها، قد عرفت تياراً ما أو جزءاً من الأسرى، كانت لهم توجهاتهم الخاصة في اللجوء إلى الإضراب عن الطعام وتوقيته؛ إذ لم تتوقف التجاذبات التنظيمية يوماً ما؛ فهي جزء أساسي من الحياة الاعتقالية، ولكن، لم يكن هناك خلاف على أهمية المواجهة وضرورتها، بل إنها كانت جزءاً من بقاء القوة التنظيمية واستمرارها، ومن هنا، فإنَّ هذا الأمر قد ظلَّ قائماً، حتى في تجربة الأسرى الجدد (جيل انتفاضة الأقصى)، متجاوزاً الصراع الذي برز بين الجيل القديم من الأسرى والجيل الجديد، وهذا ما يوضحه أغلب أسرى انتفاضة الأقصى؛ لذا لا بدَّ من عرض بعض العوامل الداخلية التي حفزت الأسرى على اتخاذ قرارهم بالإضراب عن الطعام، قبل الوصول إلى الصراعات الكثيفة، التي عرَّتها تلك التجربة.

[235] مقابلة مع (ع.م). مصدر سبق ذكره..

يقول (أ.م): *"في عام 2004م، خاض الأسرى إضراب عن الزيارة قبل الإضراب عن الطعام، بعد ما ركبت مصلحة السجون الزجاج، سابقاً كانت الزيارات من وراء الشبك، الأهل يجوا، نلمسهم، ممكن يعطونا حبة حلو، نعطيهم إشي، والأهم أنه كان في الإمكان إخراج (الكباسيل)؛*[236] *فكان في تواصل جسدي، وفجأة، ركبت مصلحة السجون زجاج، فدخلنا في إضراب عن الزيارة، وكان فاشل، كان قراره سريع غير مدروس، أرهق الأسرى أكثر مما أرهق مصلحة السجون، والظروف إللي في الخارج صعبة، ذروة حصار المقاطعة، واجتياحات المدن، وبعد ثمانية شهور، بدأت بعض السجون تكسر الإضراب، وبعدها، بدأ التفكير بالإضراب عن الطعام."* [237]

وهكذا، فإنَّ عنف المستعمِر هو المحرك الأساسي في بنية السجن، وهو المتحكم والمحفز لأية مواجهة؛ فمستوى العنف في المراحل كلها يحدد مستوى المواجهة، ولعلَّ الناظر في التاريخ، يجد في الأعوام التي تزامنت مع اندلاع انتفاضة الأقصى، أحداثاً في السجون الصهيونية شكَّلت تحدياً كبيراً للسَّجّان، يقول (ر.أ): *"في عام 2002م، أي قبل الإضراب بعامين، حدثت عملية هروب، نفذها 2 من أسرى حماس في سجن (عسقلان)، وبعدها سحبوا كل شيء كان معنا من مرافق، وسحبوا الإنجازات، وكان قبل الإضراب، في حوار، وترجيع وجبات، لكن، بالآخر، ما ضل خيار إلا نروح على الإضراب"*؛[238] فالتحدي الناجم عن تجربة الهروب من السجن، قد خلق دافعاً وحافزاً لتصاعد المواجهة، وبكلمات أخرى، فإنَّ تصاعد مستوى المواجهة، ومحاولة استمرارها يفرض قوة جماعية؛ ففي عام 2000م،

---

[236](الكبسولة): هي إحدى أهم الأدوات التي يستخدمها الأسرى؛ لتناقل الرسائل التنظيمية والشخصية؛ إذ تكتب الرسالة بخط صغير جداً على ورق خاص، ثم توضع داخل كبسولة، يمكن للأسير تناولها وإخراجها لاحقاً لنقلها، وتتطلب عملية تجهيزها مراحل متعددة. يمكن الاطلاع على مفردات الأسرى ***من خلال موسوعة الأسرى. إصدار مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة.***

[237]مقابلة مع (أ.م) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في مقر نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

[238]مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

أي قبل اندلاع الانتفاضة، لم يتوقف الأسرى عن محاولاتهم خوض معارك الإضراب عن الطعام، واستخدام أشكال مواجهة أخرى؛[239]لتحسين شروط حياتهم الاعتقالية.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ المواجهة المتصاعدة في الخارج، بما فيها المسلحة، قد خلقت تصاعداً في المواجهة داخل السجون؛ ففي المراحل التاريخية كلها، شكَّلت علاقة (الخارج) السجن الكبير، (بالداخل) السجن الصغير أساساً لمستوى المواجهة، وذلك رغم ما أحدثته مرحلة أوسلو من تغيير على واقع العمل التنظيمي، وبخاصة لدى حركة فتح، ودخول بعضها في مأزق وتساؤل مصيري.[240]

يقول (س.ع) في حديثه عن عام 2004م: *"الحقيقة كانت مرحلة صعبة، فكانت توالي انتفاضة الأقصى، وانعكاساتها على السجن سيئة، أولا، عدد المعتقلين كثير؛ لأن إخوتهم هم مطاردين، وفي عقوبات جماعية، جزء منه عمل أمني، فبعتقلوا أخوه... طبعا الانضباط أخف، وما في أي استقرار داخل السجن، وجزء كبير من المعتقلين، اعتقلوا بسبب أجواء الانتفاضة العامة، وما كان في انضباط تنظيمي، والإنجازات أخذت تتراجع، وفي تحولات كبيرة على الكانتينا، والعلاقة مع الإدارة والزيارات"*،[241] ويمكن القول إنَّ كثافة التعقيدات السياسية على الصعيد الخارجي في إضراب عام 2004م، ومستوى التعقيدات التنظيمية، وارتفاع مستوى عنف السّجّان ومخططاته، قد جعل من هذه المرحلة الأكثر تعقيداً للأسرى، كيف لا، والاستعمار الصهيوني خارج سجونه، يمارس القتل والاغتيالات والتدمير والسلب على مدار الساعة بحق الفلسطينيين؟ ما جعل السجون كانت شرارة أخرى في مواجهة العنف، ولم يعد الخارج يواجه الاحتلال وحيداً؛ فقد تصاعدت عمليات العنف، وبدت في أشكال جديدة، بعد مرور الفلسطينيين فيما مضى في مواجهة مفتوحة مع الاستعمار الصهيوني كانتفاضة الحجارة، فالعنف واحد وهو المحرك الأساسي لقرار الأسرى

[239]توضيح لأنواع المواجهة الأخرى كإرجاع الوجبات، التمرد والعصيان على أنظمة السجن، عدم الخروج للفورة، حل التنظيم، الاحتجاج بالرسائل، رفض العد الصباحي والمسائي.

[240]وليد دقة. مصدر سبق ذكره. 2010م. ص 15.

[241]مقابلة مع (س.ع) مصدر سبق ذكره.

بالشروع في معركة الإضراب عن الطعام، واستمرارها، وهكذا، فقد أحدثت العملية التراكمية في قراءة أدوات العنف في تجارب الإضراب التي نفذها الأسرى تاريخياً، منهجاً خاصاً في مواجهتها، وقدرة على الاستعداد لها، وفي المقابل؛ فإنَّ العلاقة الثنائية أعطت تراكماً للسّجّان في عمليات السلب؛ فكان على الأسير أن يجدد قراءته في كل تجربة مواجهة، وبخاصة الإضراب.

ففي التجارب التاريخية للإضراب عن الطعام، كانت العنف الجسدي ذا كثافة عالية، ولعلَّ أقسى مشاهده وصوره، استخدام (الزوندا) أو التغذية القسرية بحق الأسرى، واستشهاد بعضهم نتيجتها؛ ما يجعل العنف الجسدي أداة السّجّان الأولى في محاولة كسر إضراب الأسرى،[242] وفضلاً عن ذلك، فإنَّ أساليب جديدة رافقت العنف بنوعيه: الجسدي، والنفسي، أثبتت أنَّ تغييراً كبيراً قد طرأ على أدوات عنف السّجّان، وهذا ما توضحه رواية الأسرى لاحقاً، عبر استغلال الإدارة الصراعات التنظيمية وصراعات الأجيال، أكثر من اعتمادها على العنف الجسدي الذي كان عالياً في إضراب 2004م؛ ما يجعل رواية (جيل انتفاضة الأقصى) تركِّز على هذه العوامل أكثر من مستوى العنف الجسدي.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ كل إضراب عن الطعام، مرتبط بتشكُّل لجان، تُعرف بالأجهزة النضالية أو قيادة الظل، وتتمحور مهمتها حول التنسيق والحوار والتواصل مع لجنة الحوار الأساسية، التي تمثِّل الأسرى، وتتكون من ممثلين من التنظيمات كافة، وتكون بديلاً عن الأجهزة التنظيمية القائمة، وتتابع مسار المعركة وتفاصيل الإضراب كلها، وتمثِّل هذه الخطوة جزءاً من المبادئ العامة، التي ارتبطت بمنهج إدارة الإضرابات التاريخية، وأكثرها أهمية؛ لما لنوع القيادة من أثر كبير على مصير الإضراب.[243]

[242] انظر في: حافظ أبو عباية. مصدر سبق ذكره، ومحمد القيسي. مصدر سبق ذكره.

[243] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

لم يخلُ القرار من صراعات بين التنظيمات على موعد الإضراب، كما الإضرابات التاريخية، وبخاصة بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وحركة التحرير الوطني (فتح)؛ فكان كل منهما يسعى إلى التمسك بفكرة المبادرة، ومع ذلك، جاء القرار بالشروع في المعركة في 15 آب/ أغسطس 2004م، رافقه الإعلان عن مطالب الإضراب وأهدافه؛ فقد أعلنت القيادة الوطنية والإسلامية الموحدة الإضراب عن الطعام أخيراً، وسلَّمت إدارة السجون الصهيونية قائمة بمطالب الأسرى، وفي مقدمتها إزالة الزجاج الذي فرضته أثناء زيارة عائلات الأسرى، وتوفير الاتصالات الهاتفية؛ بتركيب هواتف في الأقسام والساحات والغرف، وإتاحة التعليم في الجامعات، والعلاج الطبي، ومطالب حياتية أخرى، تضمنت بنوداً تتصل بالغذاء، والعقوبات، والتفتيشات، والفحص الأمني. [244]

وفعلياً، شرع قرابة 7000 أسير[245] في المعركة؛ ما يعني زخم المعركة العددي؛ فقد كانت الأعلى منذ سنوات مرت فيها الحركة الأسيرة بتحولات وتراجع في مستوى المواجهة، وبخاصة بعد مرحلة أوسلو،[246] ومع ذلك، يبقى التساؤل عن قوة الجماعة قائماً: فهل يكفي العدد للإقرار بمصير المعركة وحسمها لصالح مطالب الأسرى؟

وقد نادى مروان البرغوثي بهذا الإضراب قائلاً: *"إنَّ هذا الإضراب يأتي في إطار دفاع الأسرى عن حقوقهم الإنسانية بحدها الأدنى، ودفاعاً عن كرامتهم التي دفعوا حياتهم من أجلها"*؛ [247]ما يعكس خطاباً وعنواناً مهماً لانتفاضة الأقصى، ارتكز عليه الجيل الجديد؛ ليختلف بذلك عن خطاب الجيل القديم، وهو الخطاب الحقوقي الذي ترسخ في أذهانهم، متخذين منه مدخلاً لحماية إنسانيتهم وكرامتهم، فضلاً عن التضحية التي تشكل في الثقافة النضالية، أهم معنىً لبقاء المواجهة واستمرارها؛ ما يعني وقوفهم في مواجهة أخرى؛ حفاظاً على إنسانيتهم، التي يحاول المستعمِر سلبها على مدار الوقت، وربما، تبدو تلك التفصيلات ذات الصلة بالكرامة والإنسانية أكثر وضوحاً في البُعد الذاتي

[244]جريدة الأيام، إعلان مطالب الأسرى، تاريخ 13 آب 2004م. ص 8.

[245]مقابلة مع (ع.م) مصدر سبق ذكره.

[246]أنظر في: عيسى قراقع 2000م. مصدر سبق ذكره.

[247]نداء من مروان البرغوثي. نشر في جريدة القدس. في 18 آب 2004م. ص 30.

للأسرى لتجربة الإضراب عن الطعام؛ فهي تفاصيل وصراعات ذاتية تعكس تلك المعاني بكثافة، وهذا ما ستعرضه الدارسة في تجربة الإضرابات الذاتية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يُشكِّل قرار المواجهة سيادة على معنى الزمن؟ وللإجابة عن هذا السؤال، لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ أبرز ما يفرضه قرار المواجهة، يتمثَّل في السيطرة على معنى الزمن في المعركة؛ فها هو وليد دقة يعطي معنىً خاصاً للزمن، يتمثَّل في (الزمن الموازي)،[248] وما ذلك إلا أنَّ ثمة أزماناً تستمد معناها من قرار المواجهة ومسارها، يأتي في مقدمتها الإضراب عن الطعام، الذي يُصبح فيه الزمن، بما يحمله من تفاصيل كثيفة، هو المسار الذي يمكن من خلاله قراءة التاريخ، كتلك المحاولة هنا، التي تتحول فيها المعركة المستمرة المتمثلة في الإضراب عن الطعام؛ لتصبح مساراً للتاريخ؛ ما يفرض منحى مهماً في قراءة محاولة السيادة وتقرير المصير الفلسطيني، وممارستهما، عبر زمن المواجهة.

ولكن، لا بدَّ من الإشارة مجدداً، إلى أنَّ العنف هو المحرك لأية مواجهة في العلاقة بين السّجّان والأسير، فضلاً عن عض العوامل التي أثرت على استعادة هذه التجربة بمسارها الخاص، وأهمها الصراع الذي برز مع الجيل القديم، وما مرَّ به من تحولات وصدمات متكررة في واقع الثورة والمواجهة، من جهة، وخذلان عاشه بفعل ما فرضته مرحلة أوسلو، من جهة أخرى؛ فقد أفرزت له دوراً مختلفاً، مع تراجع دوره التعبوي الثوري، وبدا موقف الجيل القديم في عيون الجيل الجديد، متردداً في خوض المواجهة، كيف لا، وهو خذلان ما بعده خذلان؟ يقول (أ.م): *"القدماء كانوا في مرحلة حوار مع مصلحة السجون، إحنا جدد، وعقليتنا في البارودة، فلازم بس بالإضراب، والحوار معهم بالقوة، والقدامى أصحاب تجربة، بس الفشل الأساسي كان أنه ضُربت سيطرتهم على السجون، وبعدها، هجمت عليهم*

[248] وليد دقة. رسالة الأسير وليد دقة في اليوم الأول من عامه العشرين في الأسر! مصدر سبق ذكره.

مصلحة السجون، تنقل فيهم، وخسروا دورهم القيادي، وصاروا يطالبوا ينضموا للإضراب والحراك ضد مصلحة السجون." [249]

وهكذا، فإنَّ رواية (جيل انتفاضة الأقصى) عن الجيل القديم، تفرض تساؤلات، ربما ظهرت كثافتها في بداية اعتقالهم، تتمحور حول الأسباب التي جعلت جيلاً مرّ على اعتقال بعضه نحو ثلاثة عقود، يبدو فيها الأسير متعايشاً مع بنية السّجن، غير أنَّ هذا الأمر، لا يعني بأي شكل من الأشكال، توقف محاولات المواجهة بمستوياتها كافة، وستكشف هذه الرواية مع الزمن كيف أصبح هذا التساؤل مقروناً بالجيل الجديد (جيل انتفاضة الأقصى)؛ ما يعيد المتلقي إلى ما أشار إليه دقة، حول رغبة إدارة السجون الصهيونية في تنفيذ الأسرى إضرابهم؛ لخلق واقع جديد، يمكِّنها من استكمال ما خططت له من عمليات تفكيك وتدمير لبنية الحركة الأسيرة وتقاليدها؛ ما يثير التساؤل عن مدى إدراك الجيل الجديد هذا المغزى، وبخاصة أنَّه ألقى سيلاً من الاتهامات بحق الأسرى القدامى، وهذا ما تفسره رواياتهم، التي عكست حجم الصراع وانطباعهم وتصوراتهم عمن سبقوهم من أسرى الجيل القديم، ولكن، هذا لا يعني أنَّ الجيل القديم كان قادراً على مواجهة كثافة التحول، وإن كان أكثر حكمة في اتخاذ قرار المواجهة، وهذا ما سيتضح في عرض أدوات إدارة السجون الصهيونية ، وأدوات الأسرى، أثناء الإضراب.

وتكشف تجربة إضراب عام 2004م المقاربات بين حكايات الجيل القديم والجيل الجديد؛ فمصير هذا الإضراب لم يكن محكوماً فقط، بتلك العوامل الداخلية في سجون الاستعمار الصهيوني، بما فيها من بنية عنيفة، وصراعات كثيفة تتعدى العلاقة الثنائية مع السّجّان، وبخاصة مع التحولات التي فرضتها إدارة السجون الصهيونية، بل إنَّ جملة من العوامل الجديدة فرضت نفسها إلى جانبها، تتصل بالصراع بين القديم والجديد، *"إحنا صرنا نستشعر أنه ما لقينا الحاضنة، إللي مفروض أخلاقياً يقعدوا في محل الكبار في موضوع تربيتنا وإرشادنا، وصرنا نشعر أنهم تخلوا عن*

[249] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

مسؤولياتهم التاريخية، وصار جواتنا أنه إحنا بدنا نبعد بعيداً عنهم، وكان هناك شعور بالخذلان لدى القدامى، واليوم، الأسرى داخل السجن صاروا متشابهين مع إلي لقيناهم أول ما دخلنا." [250]

فالخذلان أول مفردة يمكن للمتلقي التقاطها، والوقوف على دورها في تكوين مسار تاريخي عاشه جيلان مختلفان؛ ففي سنوات أوسلو، على وجه الخصوص، تصاعدت لغة الخذلان؛ لتسيطر على التعبيرات كلها لدى الأسرى، وبخاصة بعد فشل القيادة الفلسطينية والمفاوض الفلسطيني في حسم مصيرهم وحريتهم،[251] كما يجد المتلقي أنَّ إضراب عام 2004م، بما فيه من تفاصيل، قد أعاد صياغة هذه اللغة مجدداً، وهو أمر مرتبط بالدور السياسي للقيادة في الخارج، وتركيبة القيادة في الداخل، وهنا، تعود الدارسة إلى فكرة الداخل والخارج، التي تبدو في واقع الأمر شأناً ملتبساً، سيتكرر التساؤل عنه خلال مسار البحث حتى نهايته.

وعلى الرغم من الصراع بين الجيلين، إلا أنَّ الجيل الجديد، كان مضطراً للاعتماد على جيل الأسرى القدامى في التحضير، وبخاصة أنهم يخوضون أولى تجاربهم في الإضراب عن الطعام؛ فشكَّلت استعانتهم بمن سبقوهم في النضال، وسيلة للكشف عن تفاصيل كبيرة في التغيير الذي طال أدوات قمع المستعمِر وعنفه، من جهة، وعملية ضرورية لاستعادة أشكال المواجهة الجماعية، وبخاصة الإضراب عن الطعام، من جهة أخرى؛ ما يؤكد مرة أخرى أهمية التراكم في المواجهة داخل بنية السّجن، وتحول كثير من تفاصيلها إلى منهج تحكمه مبادئ معينة فرضتها التجربة التاريخية، تماماً كما هو ماثل في تجربة الإضراب عن الطعام، والتحضير لها عبر عملية التعبئة، التي تشكِّل أولى لخطوات وأهمها، قبل قرار الإضراب، فكيف كانت عملية التعبئة؟ وكيف كانت قراءتها من (جيل انتفاضة الأقصى) عام 2004م؟

[250] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[251] انظر في: عيسى قراقع. 2000م. مصدر سبق ذكره.

يقول (أ.م): *"بناء على تجربة الإخوان السابقين القدامى، كنت أجلس مع القدامى إللي خاضوا إضرابات، وأجهز النشرات والبيانات لتعبئة الشباب"*، [252] ويشير (ب.ك) إلى التعبئة، بقوله: *"في إضراب 2004م، كانت التعبئة وأهداف الإضراب مش واضحة، وكنت أنا أستشعر أنه في غلط، أنه إحنا بموضوع الإضراب مش عارفين وين رايحين، هناك نوع من التعويم."* [253]

وبكلمات أخرى، فإنَّ كثيراً من التفاصيل قد أدت دوراً بالغ الأهمية في مصير تجربة الإضراب عن الطعام، وفي مقدمتها ما رواه الأسرى حول التعبئة والاستعداد للمواجهة في إضراب عام 2004م، ومن مثل ذلك: *"إنَّ الأسرى القدامى عبئوا باتجاه أنه مسموح للأسرى المضربين شرب الحليب، لكن هذا الأمر أحدث مفاجأة كبيرة للأسرى"*، ويقول (ر.أ): *"هناك العديد من الأمور التي أبلغنا بها القدامى، لكنها جاءت على العكس، أن أحد الأمور التي نقولها القدامى لهم هو تناول السوائل والحليب، الأمر الذي لم تسمح به الإدارة، وصادرت الحليب، وشكل هذا الأمر متغيراً كبيراً على الإضراب، وحدثت عملية إرباك."* [254]

وما هذه الرواية إلا مثال، يفرض تفسيراً مهماً حول التغيير الذي طرأ على أدوات السجان في مواجهة الإضراب، التي كشفها الأسرى، وامتدت لتصل إلى تجربة الإضراب عن الطعام؛ فلم يقتصر التغيير على مرحلة التحقيق، كما عبَّر عنها أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) سابقاً، بل امتد محدثاً تغييراً شاملاً في الأدوات، وهذا ما أشار إليه وليد دقة؛ إذ أعدت إدارة السجون الصهيونية أدوات جديدة، وظّفت فيها نظريات حديثة في علم نفس

[252] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.
[253] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.
[254] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

الجماعات، ونظريات الحرب النفسية، والإعلامية، والتضليل، تماماً كما لو كانوا يعدون خطة لمواجهة جيش جرار، وما الهدف من هذه الإجراءات كلها، إلا ترك الأسرى في حالة الصدمة الشديدة.[255]

وهكذا، فإنَّ عملية التعبئة تقود المتلقي إلى التساؤل عن القيادة، كيف لا، وكل إضراب له قيادة تمثِّل الأسرى المضربين، تتكون من التنظيمات المشاركة في الإضراب؟ وكيف روى الأسرى دور القيادة في إضراب عام 2004م، في ظل حضور صراع الأجيال؟ وماذا تعني القيادة في بنية السجن؟

أزمة قيادة

الجيل الجديد: "أنا شعرت أنه إحنا منقادين أكثر من كونه في كيان لقيادة." [256]

الجيل القديم: "كنا في الماضي مع بعض واليوم نحن على بعض." [257]

مرت الحركة الأسيرة بمراحل تاريخية متعددة، ظلَّت فيها قيادة الأسرى المرتكز الأساسي في إعطاء معنىً للسيادة وتقرير المصير داخل السّجن الصهيوني الاستيطاني، الذي يفرض معاني خاصة لهما عبر المواجهة، بما فيها الإضراب عن الطعام، الذي شكَّل مدخلاً مهماً لفهم مستوى المواجهة، وبنية القيادة، وتأثيرها، وتوجهاتها، وتماسكها، عبر إدارتها المعركة، وحتى عام 2004م، كانت قيادة الإضراب تُشَكَّل من التنظيمات كافة؛ كونها عناصر مشاركة في قرار خوض المعركة، ومع ذلك، فإنَّ مشاركتها؛ بوصفها قوة جماعية، ليست كافية لقراءة مصير التجربة؛ لوجود جملة من العوامل تتحكم فيها، إلى جانب القيادة، وهذا ما استعرضته الدارسة سابقاً.

---

[255] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره ص 50 .

[256] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[257] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 47.

وقد أعطت كثير من أدبيات الأسرى الفلسطينيين، أهمية كبيرة للحياة التنظيمية المرتبطة أساساً ببنية القيادة داخل سجون الاستعمار الصيهونية، كما أظهرت تمكنها من فرض سيادة معينة ونظام معين على مدار عقود، عبر مأسسة الحياة الاعتقالية؛[258] بهدف الحاجة إلى الجماعة من أجل المواجهة، ومن هنا، فإنَّ ارتباط وجود القيادة بالمواجهة تاريخياً، يعني أنَّ دور القيادة كان واضحاً، وماثلاً في إبقاء المواجهة؛ حفاظاً على معنى الوجود؛ ما يعني أنَّ وجود قيادة يجعلها جزءاً من بنية السيطرة في السجن؛ بوصفها ممثلاً للأسرى.

ويمكن قراءة القيادة عبر مسارين: الأول، فرضته أدوات السّجّان ضدها في الإضراب، والآخر، يتصل بموقف الأسرى من القيادة، فها هو وليد دقة يشير إلى أنَّ إدارة السجون الصهيونية، قد سعت إلى خلق قيادة بديلة، عبر عزل القيادة أو الكادر القديم من الأسرى؛ إذ فصلت الرموز القيادية للفصائل، وعزلتهم عن باقي الأسرى، وقد شملت سياستها أعداداً كبيرة من الأسرى، ممن شكَّلوا الصف الأول والثاني من الكادر، وما ذلك إلا بهدف خلق فراغ قيادي؛ لإفراز قيادة جديدة،[259] وهكذا، فإنَّ رواية الجيل الجديد، وتركيزهم على غياب قيادة تحتضنهم، مرتبط بإجراءات نفذتها إدارة السجون الصهيونية، وكان من الواضح أنها مدروسة؛ لخلق جسم بديل، تشكِّله وفق بنية السجن الجديدة، التي تسعى إليها.

يقول (ي.ح):" *أنا ما دخلت في الإضراب؛ لأني بعديها شفت شو نتيجة الإضراب، وحتى بعديها، في الإضرابات، كنت رافض أي إضراب؛ لسبب واحد، مش لأن الواحد خايف يدخل الإضراب، عدم ثقة بالقيادة الموجودة في السجون، ما دخلت، أنا ما بثق بحد لا جوه ولا بره، هذا موقفي ليش أخاف؟*" [260]فها هي رواية الأسير تتوقف لعقد موازنة بين القيادة في الخارج والقيادة في الداخل؛ ليؤكد، مجدداً، حجم الصلة بين الخارج والداخل، حتى في

[258]أنظر في: منقذ أبو عطوان. 2007م. مصدر سبق ذكره.

[259]وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 15.

[260]مقابلة مع (ي.ح) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في مقر نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

أوجه التشابه في القيادة؛ فمن الواضح أنَّ (جيل انتفاضة الأقصى) قد تلقّى ضربة ثقة، كان مصدرها القيادة، بما فيها سلطة فتح، أو حتى قيادات التنظيمات الأخرى؛ ما جعل كثيرين يواجهون مصيراً يتضمن كثيراً من الأسئلة، وبخاصة مع الواقع الذي أفرزته انتفاضة الأقصى؛ بوصفها مواجهة مسلحة، غير أنَّ المواجهة مع السّجّان قد حسمت كثيراً من الإجابات، وبخاصة أنَّ بنية السجون الاستعمارية الصهيونية، وواقع التنظيمات فيها، قد عرّى كثيرين، مؤكداً أنَّ جزءاً كبيراً من الأسرى، يعيش في إطار التنظيم؛ بوصفه ضرورة موجودة، وبدا جليّاً أنَّ فكرة المواجهة، قد تجاوزت وعيهم المبني على اقتصارها وحصرها في مواجهة السّجّان، هذا وغيره، يجده المتلقي ماثلاً في مسار معركة إضراب عام 2004م، عبر كثافة الصراعات التي عكستها رواية انتفاضة الأقصى.

حجم المشاركة وأثرها على مصير الإضراب

تؤكد التجربة التاريخية للحركة الأسيرة أهمية عدد الأسرى المشاركين في الإضراب، مع عدم التركيز على هذا الجانب؛ لأنه ليس كافياً لحماية مصير المعركة؛ فقد عرفت التجارب كلها محطات جماعية أصابها ما أصابها من مصير، وانتهت الإضرابات دون تحقيق نتائج تليق بمستوى المشاركة، وفي المقابل، وُجدت معارك تركت تحولات هائلة على مصير الأسرى داخل السّجون، وأحدثت صدعاً في بنية السّجن، فهل تُعَدُّ مشاركة 7000 أسير[261] كافية من أجل حسم المعركة لصالح الأسرى؟ مع الأخذ بعين الاعتبار النوعيات المشاركة، وأسباب مشاركتها ودوافعها، كيف لا، وتأثير الذوات لا يقلّ أهمية في إطار حسم إدارة المعركة؟

يقول (أ.م): *"في حد بضرب بكون مقتنع في الإضراب، وأنه الإضراب راح يجبله ظروف حياة أفضل، وفي حد بضرب، بدوش يقال عنه أنه جبان، وفي حد بده يضرب مش من باب الجبن، من باب المسايرة، وين ما بدها تصل تصل، وأقوى حالات إللي بخوضوا الإضرابات هم إللي بكونوا مقتنعين أنه مستعد يواجه الموت، فأنا لما شفت*

[261] مقابلة مع (ع.م) مصدر سبق ذكره.

حالي في قيادة التنظيم، وهذا إله علاقة بكيف إحنا كنا جاهزين للموت خارج السجن، فأنا كنت خارج السجن جاهز للموت، وما كان عندي مشكلة في موضوع الشهادة، وبالتالي ما متنا بره، بنموت جوا، وبنكسب الشهادة، وهيك أنا حسمت قراري." [262]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ عملية التصنيف؛ بوصفها أحد أهم أدوات الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، قد شكَّلت عاملاً مهماً في مصير المعركة؛ فالتصنيف الذي أشار إليه فرانز فانون،[263] الذي تحول إلى ما يشبه قانوناً يحكم العلاقة بين المستعمِر والمستعمرَ، لم يعد مقتصراً على الأرض المستعمَرة من تقسيمات جغرافية وعرقية، بل امتد، في حالة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، إلى بنية السّجن؛ لتفرض مستويات حياتية مختلفة فيها؛ ما فرض تحدياً لمصير المواجهة.

ومن صور التصنيف التي عكستها تجربة الإضراب، مشاركة بعض الأسرى، بصورة أساسية في تصنيف سلطات الاستعمار الصهيوني المفروض داخل السجون، فهناك معتقلات تابعة للجيش، وأخرى تابعة لما تسمى (مصلحة السجون)؛ والأسرى القابعون في النوع الأول، لم يشاركوا في الإضراب"؛[264]ما فرض وجود بعض المطالب الخاصة بكل سجن، على الرغم من وجود مطالب عامة للإضراب، وهذا يفسر ما تحاول أن تسعى إليه إدارة السجون الصهيونية؛ إذ تفرض اختلافات لإيجاد خلافات في قرار المواجهة ومستواها، ويبدو أنَّ القيادة قد عجزت عن كسر هذا التصنيف، ودفع أسرى المعتقلات إلى المشاركة في الإضراب، فها هم الأسرى في معتقلات (النقب) و(مجدو) و(عوفر)، على سبيل المثال، قد اكتفوا بتنفيذ برنامج إسنادي مع رفاقهم المضربين في السجون.[265]

---

[262]مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

[263]أنظر في: فرانز فانون. مصدر سبق ذكره.

[264]من مجموعة من مقابلات التي جرت مع الأسرى الذين خاضوا الإضراب. من جيل انتفاضة الأقصى.

[265]مقابلة مع (س.ب) مصدر سبق ذكره.

يقول (س.ع): *"إحنا في المعتقلات التابعة للجيش، ما كنا داخلين في الإضراب، كانت الداخلة في الإضراب السجون التابعة لما تسمى (مصلحة السجون)، بس كنا نرجع وجبات، ونضرب ساعات معينة عن الطعام، أو يوم كامل، وما دخلنا في الإضراب بالمعنى الكامل، ما كان في تنسيق جيد داخل الحركة الأسيرة، خصوصاً بين فتح وحماس"*، ويقول (ب.ك): *"كل سجن إلهه ظروفه، وكل سجن كانت إله مطالب خاصة، إحنا في سجن (جلبوع)، كانت مطالبنا في الأساس كسر الإدارة."* [266]

وقد ذكر الأسرى جملة من الأسباب، تفسِّر قرار عدم انخراط أسرى المعتقلات، منها: ضعف البنية التحتية للمعتقلات، وافتقارها إلى إمكانات لفرض مواجهة مع السّجّان، فضلاً عن كونها تضم أسرى موقوفين، وآخرين حديثي التجربة، ولا بدَّ من الاتفاق، الذي يُعدُّ في غاية الأهمية، إذ إنه عادة ما يتم الاتفاق بين الأسرى في السجون والأسرى في المعتقلات على آلية مشاركتهم في المواجهة.

ويرى بعض الأسرى ضرورة إبقاء مجموعة من الأسرى خارج المواجهة؛ لتشكِّل ورقة ضغط على إدارة السجون الصهيونية في مسار المعركة، في مرحلة ما،[267] وهذه التفصيلات من الأهمية بمكان؛ لفهم أدوات الأسير في إدارة المعركة ومسارها ومصيرها، وهذا ما ستوضحه الدارسة لاحقاً في جزء عن أدوات المواجهة في تجربة الإضراب عن الطعام.

وبكلمات اخرى، لم تتوقف محاولة الاستعمار الصهيوني يوماً عن تغذية الصراعات التنظيمية بين صفوف الأسرى، وفي المقابل، أسهمت محاولة التنظيمات تاريخياً في ترسيخ هوية خاصة بكل منها، وإن كان ذلك بصورة متفاوتة؛ ما يعني تغليب الفئوية السياسية على الوطنية في تنامي الصراعات،[268] فبدا كل تنظيم جسداً منفصلاً بصورة

---

[266] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[267] مقابلة مع (س.ب) مصدر سبق ذكره.

[268] منقذ أبو عطوان 2007م. مصدر سبق ذكره. ص 99- ص 102 .

ما عن جسد الحركة ككل، وذلك رغم تمكّن الأسرى، في مرحلة مبكرة من التجربة الاعتقالية، من إيجاد جسد جمعي لمواجهة سعي الاستعمار الصهيوني نحو الحفاظ على الحالة الفردانية وإبقائها قائمة؛ ليتمكن من سلب الأسرى فاعليتهم، ولكن، بدا واضحاً بعد أوسلو، أنَّ جسد الحركة الأسيرة، قد أخذ منحى نحو التفكك والانهيار،[269] واستمرت حالة الترهل في التصاعد، وصولاً إلى الشرخ الأكبر عام 2004م، ومما دعم تلك الحالة مجموعة من العوامل لها علاقة جذرية بالحالة الفلسطينية خارج السجن، وفي مقدمتها المال،[270] الذي ألقى بظلاله على أولوياتهم، وخلق فروقات طبقية بين الأسرى أنفسهم، وكذلك التنظيمات، مسهماً في تغذية سطوتها، وخروج بعض القيادات عن مسار الحالة الثورية ضدّ السّجّان.

وقد كشفت أنماط المواجهة في السجن تفاصيل متعددة، ترتبط بهذا الانحدار، كيف لا، والمواجهة خير معيار للتفريق بين الغث والسمين في صفوف الأسرى؟ فكلما تصاعدت حدّتها شكلاً ومعنى؛ أسهمت في هذا الكشف بصورة فاعلة، ولعلَّ تجربة الإضراب عن الطعام، بما فيها من كثافة عالية في الصراع والتساؤلات، قد تركت وقعاً خاصاً في إطار الكشف عن تلك التفصيلات، التي تُعَدُّ بمثابة المصفاة الأهم في بنية السجن، وفضلاً عن ذلك، فقد شكَّلت الصراعات، بما فيها من فوضى، أبرز العوامل المشتركة الواردة في حكايات الأسرى عن إضراب عام 2004م.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ تلك الصراعات داخل السجن لم تكن منفصلة عن حجم مثيلاتها المتصاعدة في الخارج، كما أنها لم تعد مقتصرة على النشوء بين الأحزاب المختلفة، بل امتدت وصولاً إلى ذروتها في الأحزاب ذاتها، وبخاصة بين صفوف الأسرى المنتمين إلى حركة فتح، وما يتصل بعلاقة الجماعة مع الفرد؛ ما ألقى ثقلاً كبيراً على مسار المعركة، وكشف عن الهوة الكبيرة بين الأجيال في إدارتها.

---

[269] إياد الرياحي. مصدر سبق ذكره. ص 15 – ص16.

[270] نفس المصدر.

وقد عانى أسرى حركة فتح، على وجه الخصوص، من حالة الفوضى، التي لم تكن نتاج مرحلة الاعتقال فحسب، بل جاءت امتداداً لما عانت منه خلال انتفاضة الأقصى، وهذا ماكان بارزاً في روايتهم، من جهة، ومرتبطاً ارتباطاً جذرياً ببنية التنظيم والقيادة في (الخارج)، التي عانت من الفوضى والتفكك، من جهة أخرى، ويمكن القول إنه في المراحل التاريخية كلها، قد عانى أسرى فتح من تحولات كبيرة في البنية التنظيمية وتغيير الدور، ولم يكن ما وصلت إليه في انتفاضة الأقصى إلا نتاج عملية تراكمية على مدار عقود، وبخاصة بعد مرحلة أوسلو، التي حولته من مسار الثورة إلى مسار الدولة، وهذا ما أصاب التنظيمات الأخرى، ولكن بتفاوت وأقل حدة، وهنا، لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ ما طال هذه التنظيمات الفلسطينية من تفكيك، ما هو إلا تنفيذ لأهداف سلطات الاستعمار الصهيوني، التي سعت إلى تفكيك البنيات في الواقع الفلسطيني، وفي مقدمتها التنظيمات بصورة عامة، وتنظيم فتح المتأثر بنظام السلطة بصورة خاصة.[271]

يقول (أ.م): *"إن ما أصاب شباب حركة فتح في انتفاضة الأقصى، وجد تجلياته في تجربة الإضراب، فحالة الفوضى بدأت مع الانتفاضة، وبدأت العمليات دون تنسيق وطني، وكانت حالة من الفوضى، ولم يكن هناك هيئة قيادية أو غرفة عمليات، وفي إضراب عام 2004م، تكررت المأساة؛ فلم يكن لدى أسرى حركة فتح تنسيق جيد أو غرفة عمليات"*،[272] وهكذا، فإنَّ هذه الرواية تؤكد مجدداً أهمية العلاقة بين (الداخل) و(الخارج)، والامتداد بينهما؛ في محاولة تفسير نتائج أية معركة أو مواجهة داخل السّجن وتقرير مصيرها، كما كان ذلك في كثير من جوانب المعركة، وبخاصة عند الأخذ بعين الاعتبار أنَّ انتفاضة الأقصى قد أعادت السجون إلى ما قبل أوسلو، من حيث تركيبة

[271] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره . ص 30 .

[272] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

الأسرى، مع وجود الزخم العددي لأسرى حركة فتح، بعد اعتقال سلطات الاستعمار الصهيوني المئات منهم خلال أعوام الانتفاضة.[273]

ولم يقتصر التصدع في مسار المعركة على حالة الفوضى، بل برزت إلى جانبها اللغة المناطقية والجهوية بصورة ملحوظة؛ لتسيطر على حكاياتهم، وتظهر فيها بوضوح، ويمكن القول إنَّ ألأمر نفسه قد سيطر على التنظيمات كافة، ولكن، بصورة متفاوتة، يشير (أ.م) *إلى ذلك بقوله: "صارت تكتلات بعد الاجتياحات لبعض المناطق، وصارت بدها تفرض حضورها، فدخلت مجموعة كبيرة من جنين، ونابلس، وبيت لحم، وقلقيلية، ورام الله كل هذه الحالة، دخلت متكتلة على بعضها، وصاروا بدهم يفرضوا نفسهم، بغض النظر مؤهلين أو غير مؤهلين، بس هم يشعروا بالقوة."* [274]

وهنا، يطفو تساؤل مهم على السطح، حول أهمية التنظيم في فرض وجوده داخل بنية السجن، وإيجاد جسد له سيادته الخاصة، تمكِّنه من خلق نظام معين في العلاقة مع إدارة السجون الصهيونية، ولكن، يبقى السؤال: هل يمكن خلق تساؤل آخر، حول دور إسهام الحالة التنظيمية في مساعدة إدارة السجون الصهيونية، على السيطرة والتحكم في الأسرى؟ هذا ما فرضه أحد الأسرى، انطلاقاً من أنَّ الفوضى في أية مواجهة، ستزيد من صعوبة السيطرة على الأسرى في مواجهتهم، أمّا التساؤل الثالث، الذي يحضر هنا؛ فهو: من أين ترسخت تلك القناعة حول حالة جدوى الفوضى؟ ولعلَّ التساؤل الأهم: ماذا نعني بالفوضى في واقع المواجهة؟ من الواضح أنَّ تجربة المواجهة في الخارج لدى (جيل انتفاضة الأقصى)، بما فيها من فوضى، قد لازمتهم حتى بعد الاعتقال ومواجهة السّجّان بأنماط المواجهة كلها،بما فيها الإضراب عن الطعام؛ ما يفسِّر ورود مفهوم الفوضى في رواية الأسرى في مسارين.

---

[273] إياد الرياحي. مصدر سبق ذكره. ص 47.

[274] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

يقول (أ.أ): *"ما كانت الفوضى سيئة، الفوضى لو تركت في المواجهة كانت كثير أحسن، كان قدرت تعمل مانع حقيقي، وما يقدروا يدخلوا، أو ما يقدروا يستمروا في السيطرة، إللي موجودة لليوم، فحالة الفوضى إللي كانت موجودة، إللي بسموها فوضى، أنا بعتز إنها فوضى، خرجت عن فكرة النظام، بطل في حدا بسايسها، النظام دخوله سهل جدا، وهاي تجربتنا في أوسلو واضحة جدا، فترة الفوضى ، أعتقد إنها أنعشت فينا، أنا شخص عشت في حرية في اتخاذ القرار بالمواجهة، وهذا مقتنع فيه لليوم تماما."* [275]

فقد سادت حالة الفوضى تجربة إضراب عام 2004م، وتركت أثراً سلبياً على مسار المعركة ومصيرها، وعلى الرغم من أنَّ التنظيم ضرورة ملحة في الجزء الأكبر من إدارة معركة الإضراب؛ لمواجهة الفوضى، إلا أنّه يتحول إلى مدخل للسيطرة على الأسرى، وبخاصة إن كان محكماً، وهكذا، فإنَّ الفوضى في جزء من المعركة أمر مهم، ووسيلة لوضع السّجّان في حالة من الإرباك، وفي المقابل، فإنَّ بنية التنظيم تسهم، على ما يبدو، في إحكام السيطرة على الأسرى، وبناء نوع جديد من (العلاقاتية) مع ممثلي الأسرى، وبناء معرفة تسهم في خرق صفوف الحركة الأسيرة، وإذكاء الصراعات الداخلية، وهكذا، فإنَّ الدارسة تعرض في هذا المقام الفوضى في إطارين، لكل منهما أثره على مصير المواجهة، وعلى الرغم من ذلك كله، فإنَّ الأسرى لم يكونوا مسلوبي أدوات المواجهة، كيف لا، وقد فرضوا بأجسادهم وإرادتهم، ووجودهم في السجن، أدواتهم الخاصة مقابل أدوات العنف المعقدة التي فرضتها إدارة السجون الصهيونية؟

أدوات عنف السجان

"إن الأدوات هامة في ميدان العنف، لأن كل شيء يتوقف آخر الأمر على توزيع الأدوات." [276]

[275] مقابلة مع (أ.أ) مصدر سبق ذكره.

[276] فرانز فانون. مصدر سابق. ص 31.

تصبح مسألة إدارة المعركة، بعد مرحلة التعبئة والقرار، تصبح التحدي الأكبر في مواجهة أدوات السّجّان العنيفة؛ ففي إضراب عام 2004م، مارست إدارة السجون الصهيونية العنف والقمع بوتيرة عالية، يصف (ع.م) ذلك بقوله: *"كان من أكثر الإضرابات صعوبة على الأسرى؛ لحجم العنف والقمع الذي جرى استخدامه خلال 19 يوماً"*، وهذا ما يؤكده (أ.م): *"مارست مصلحة السجون الحد الأقصى من الإرهاب، والقمع، واستخدموا الضرب، والتنكيل، والنقل للزنازين، ومع هيك استمرينا."* [277]

وهكذا، فإنَّ وتيرة العنف العالية التي وصفها (ع.م)، قد ارتبطت بالتفسير الذي قدمه وليد دقة حول التحولات التي أصابت أدوات العنف قبل الشروع في الإضراب،[278] وفي مقدمتها ممارسة ما تسمى عقيدة الصدمة التي كانت هدفاً لإعادة إنتاج الأسير، وتحويله إلى سالب مسيطر عليه، وهذا ما أكده أسرى (جيل انتفاضة الأقصى)، عبر حكاياتهم عن الإضراب، حين أشاروا إلى أدوات العنف، جاعلين القمع والتجريد والتفتيش في أعلى القمة.

يقول (ر.أ): *"إن الإدارة تعمدت إجراء تفتيشات للزنازين، كل ساعة تقريباً، ثم شرعت بعمليات نقل، وعزلت قيادات التنظيم، وتعمدوا استخدام الموسيقى العالية طوال 24 ساعة، والإنارة 24 ساعة، وجلبوا أسرى جنائيين مهمتهم طهي الطعام بجانب غرف المضربين، واضطر الأسرى، نتيجة لإجراءات العزل القاسية، إلى شرب مياه لها رائحة كريهة، ولونها أصفر، مليئة بالرواسب، عدا عن أساليب الاستفزاز المستمرة، من خلال الإشاعات التي تتصل بإنهاء بعض المعتقلات إضرابها."* [279]

وهذا ما لخصه وليد دقة في تناوله أدوات العنف في إضراب 2004م، التي تمثّلت في إبقاء النور مضاءً في الغرف على مدار الليل والنهار، وتجريد الأسرى من مقتنياتهم، مهما كانت قيمتها، ومصادرة ملح الطعام منهم، بعد

---

[277] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

[278] وليد دقة. 2010م مصدر سبق ذكره. ص16- ص17.

[279] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

استصدار إدارة السجون قراراً يجيز ذلك، وبخاصة أنَّ الأسرى، قد اعتادوا تناوله في الإضرابات السابقة، وفضلاً عن ذلك، فقد عمل السّجّان على خلق حالة من التوتر والقلق؛ بإخراج الأسرى من غرفهم بحجة التفتيش، وتوزيع نشرات تهدف إلى زعزعة قناعتهم بخطوة الإضراب، واستخدام العنف الجسدي أثناء نقلهم إلى المستشفيات، ومنع المحامين من زيارتهم، [280]وهكذا، فقد بدا واضحاً أنَّ جملة الأدوات العنيفة، التي وظَّفها السّجّان في إطار العنف، قد اتخذت أشكالاً جديدة، محاولةً خلق مسار جديد لتجربة الإضراب عن الطعام، وإعادة إنتاج بنية جديدة للسّجن من خلالها؛ بوصفها أحد أبرز أنماط المواجهة التي يفرضها الأسير، ومن ثَمَّ، يمكنها السيطرة على الأسرى سيطرة شاملة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ويلحّ على الظهور: ف كيف تمكَّن الأسير داخل المعركة من فرض مواجهته الخاصة أدوات السَّجّان؟ تلك الأدوات التي اعتمدت بصورة أساسية على عملية السلب؛ سلب الأسير كل ما كان ينظر إليه؛ بوصفه مظهراً من مظاهر استمرار الحياة الممكنة داخل السّجن؛ ،ما جعل روايات الأسرى تعكس نوعين من المواجهة، أمّا الأول؛ فيتمثَّل في رواية تعكس بُعدين: أحدهما، على الصعيد الجمعي، وآخر، على الصعيد الذاتي، وقبل الخوض فيهما، لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ السلاح الأساسي في هذه المعركة هو الجسد، بما يمثّله للسّجّان من مصدر للسيطرة الظاهرة والواضحة على الأسير، وإن كان قد تحَّول، في تجربة الإضراب، إلى أداة قوة في يد الأسير؛ إذ أصبح هو المتحكم بجسده المسيطر عليه بضعفه.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ المواجهة الجماعية أهم الأدوات التي تعتمد عليها معركة الإضراب عن الطعام، متمثلة في القدرة على التنظيم، والتواصل بين الأسرى، وبخاصة اللجان النضالية المشكّلة لإدارة الإضراب، ولعلَّ أهمية هذه المسألة تنبع من قدرة الأسير الفاعلة وابتكاره أدوات خاصة، تمكِّنه من فرض وجوده؛ فقد تمكَّن الأسرى من ابتكار ما أسموه بالنقاط الميتة في السجن؛ لتكون أداة تاريخية وجزءاً مما نقله الأسرى القدامى للجيل الجديد؛ إذ توضع

[280]وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 51- ص53.

أوراق في نقاط معينة، وتتفق اللجنة النضالية عليها، يشير (ر.أ) إلى ذلك بقوله: *"إنهم استخدموا دورات المياه لذلك، فعند خروجهم إلى ساحة السجن (الفورة)، كانت قيادة الأجهزة النضالية تطلع على المراسلات، من خلال هذه النقاط، وكل شخص يقوم بقراءتها يعيدها إلى مكانها؛ ليتمكن غيره من قراءتها، بالإضافة إلى استخدام شفرات معينة، من خلال الصراخ عبر الشبابيك."* [281]

أمّا المواجهة الذاتية؛ فإنها أكبر وأكثر كثافة في التوصيف، عبر رواية الأسرى، ولعلَّ أبرز أنواعها هنا مواجهة الرغبة في الطعام، ومواجهة صورة الجسد الذي يضعف، والحفاظ على المعنويات وقوة النفس، فكيف تمكَّن الأسرى من تحويل الضعف إلى قوة في هذا الإطار؟ ومن أين كان الأسرى يستمدون قوتهم؟

وهنا، لا بدَّ من التطرق إلى بعض الاستنتاجات المبدئية حول قضية الجسد في تجربة الإضراب عن الطعام، التي تحتاج إلى تناول ودراسة خاصة؛ لما تحمله من تفاصيل كثيفة في هذه التجربة، ظهرت جليَّة في رواية أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) حول الجسد، كيف لا، وحضوره في الإضرابات الذاتيةأكثر وضوحاً وكثافة وفق رواية الأسرى أنفسهم؟

"إن قوتي في ضعفي، أنت تقاومه بضعفك، هو يكون أقوى مني إذا استخدمت العنف، وأنا يكون أقوى منه إذا سيطرت، وضبطت نفسي." [282]

وبكلمات أخرى، فإنَّ قضية الجسد تشكِّل واحدة من أهم القضايا المركزية في تجربة الإضراب عن الطعام، فهو السلاح الأساسي لإدارة المعركة، إلى جانب قوة الإرادة والوعي؛ لدوره المهم في أبعاد التجربة وممارسة السيادة وتقرير المصير في منظومة السجن، التي يتقوم على التناقض، بما تحويه من معنى الضعف والقوة؛ إذ يتحول الضعف

[281] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

[282] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

(ضعف الجسد) إلى القوة المركزية في إدارة المعركة، وما تحمله من تفاصيل كثيفة عن الكيفية التي يدير بها الأسير معركته، التي تنعكس في مستويات وصراعات مركبة ومتداخلة.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ محاولة السّجّان المستمرة في إحكام السيطرة على جسد الأسير، عبر سلسلة من أدوات العنف، التي تبدأ فعلياً منذ لحظة اعتقاله؛ في محاولة لإخراجه من دائرة الفعل الوطني،[283] سرعان ما تهتز بمحاولة الأسير فرض سيطرة خاصة على جسده، عبر الإضراب عن الطعام، مستمدة قوتها من قوة الذات، ومنها الجماعية، التي تُشكِّل الهدف الأساسي للسّجّان بعد السيطرة على الجسد، الذي يتحول بفعل الإضراب، إلى أداة حماية للذات من محاولات السّجّان، في ضوء ممارسة السيادة ومنح تقرير المصير معنى جديداً، يقول (ر.أ): *"كنا نطلب من الأسرى أنهم لما يطلعوا على الفورة، تضل رؤوسهم مرفوعة، وما يخضعوا لاستفزازات السّجّان"*،[284] *ويقول (أ.م): "لما كان يتعرض أحد الشباب للعنف، كنا نضرب للأسير التحية، ونحكيله: اصبر، الله معك، ما تردش عليهم، ما تخليهم يزقوك، هم بستنوا نرد عليهم، خلي معنوياتك عالية."* [285]

ويرتكز سلاح الجسد على مقاومة رغبة الطعام، التي احتلت في واقع الأمر، الجزء الأكبر من رواية الأسرى، وارتبط ذلك باستخدام السّجّان الطعام؛ بوصفه أحد أهم أدوات العنف الممنهجة لكسر الإضراب، ومع ذلك، فإنَّ مقاومة رغبة الطعام، تعكس كثافة عالية في معنى السيادة وتقرير المصير، عبر قدرة الأسير على التحكم برغبته، فضلاً عن قدرته على الاستمرار في مقاومتها.

ولعلَّ السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام: ما المصدر الذي يستمد منه الأسير قدرته على التحكم برغبته في الطعام؟ ولعلَّ نظرة في روايات الأسرى، وتاريخ الحركة الأسيرة، كفيلة بالوقوف على مصدر قوة الأسير النابعة

---

[283] منقذ أبو عطوان. 2007. مصدر سبق ذكره. ص 75.

[284] نفس المصدر.

[285] نفس المصدر.

من اتجاهين، أمّا الأول؛ فيتمثَّل في التصور الناجم عن القوة الجماعية للأسرى في الإضراب، وما تقدمه للأسير من شحنات كافية لاستمراره؛ فقضية المعنويات، وبخاصة طول النفس في الإضراب الجماعي، تعكسها روايتهم، مؤكدة على تأثير الجماعة، والعكس صحيح؛ إذ إنَّ أيّ انهيار في جسد الجماعة، ينعكس تلقائياً على الذات؛ ما يجعل من القوة الجماعية أساساً ومصدراً للقوة، وأمّا الاتجاه الثاني؛ فمرتبط بالسمات الخاصة لذوات الأسرى، ووعيهم، وإيمانهم بالمعركة.

يروي (أ.م) واحدة من القصص التي جرت معه في الإضراب: *"أنا بحب الحلويات كتير، آخر ثلاث أيام، كانوا يجيبوا أكل على العيادة، فالشباب لما طلعوا يأخذوا وزنهم، كانوا حاطين صحنين بيتفور؛ لإسقاط الشباب، فلما أجى دوري، إلا واحد منهم بيحكيلي إتفضل، فأنا رحت أمزح وأحكي للشباب: والله إذا حلو حلو، إلا أكسر إضرابي، فطلعت وقفت على الميزان، فقلت لهم وين الحلو، إلا هو طلع بيتفور، قلتله: يا زلمة إلك ساعة هالكنا، والشباب بيحكوا في حلو، جيب إشي محترم، يعني بدك تحط، حط إشي محترم.*[286]"

الحوار والمفاوضات

إنّ الخطوات التي استعرضتها الدارسة سابقا، بدءاً من مرحلة التعبئة، ومروراً بالقرار، ووصولاً إلى الأدوات التي يوظفها الأسرى في المواجهة، تمهد للكشف عن احتمالات مصير الإضراب، على الرغم من أنَّ مرحلة الحوار أو المفاوضات، هي المرحلة التي تحدد في نهاية المطاف هذا المصير، فكيف انتهى إضراب 2004م؟ يقول (ر.ح): *"إن إدارة السجون عزلت قيادة الإضراب، ونقلت مجموعة من الأسرى إلى سجن (أوفك)، وجرى عزلهم، جزء منهم كان يمثل الحالة التنظيمية، ولكن، ليس بالكامل؛ فالإدارة التفت على اللجنة إللي كان من المفترض هي إللي بتمثل الأسرى، وشككت في بعض الممثلين، واتهمتهم أنهم ما بنقلوا الصورة كما هي للأسرى، وفي اليوم 17 و18، بدأت*

[286] مقابلة مع (أ.أ) مصدر سبق ذكره.

اللجنة تلف على السجون، بحيث يتم عرض نتائج الحوار، وبالفعل، بدأت السجون تعلق الإضراب، وكان آخر سجن هو (بئر السبع)، إللي استمر لآخر يوم وهو اليوم 19." [287]

وهكذا، كشفت مرحلة الحوار عن ضعف في التنظيم، من جهة، وونظير له في التواصل مع الأسرى، من جهة اخرى، وبخاصة أنَّ نتائج الإضراب في نظر الأسرى، مرهونة بما سيحصلونه من المطالب الأساسية، وعلى الرغم من أنَّ أغلب الأسرى قد أوقفوا الإضراب، بعد الجولة التي أجرتها لجنة الحوار؛ لتبلغهم بالتوصل إلى حل، إلا أنَّ حالة كما في سجن (بئر السبع)، حيث رفض الأسرى إيقاف الإضراب، حتى بعد التأكد من إيقاف الحركة الأسيرة إضرابها؛ وما ذلك إلا لأنَّ الحلول لم تكن في مستوى المعركة في رأيهم، وهنا، ظهرت مواجهة جديدة مع اللجنة المحاورة، وفق ما أشار إليه (أ.م): *"جاءت اللجنة، وبلغتنا أنه إحنا خلصنا، ووصلنا إلى الحل، فجميع السجون أوقفت الإضراب، وبلغتنا اللجنة: ما بدكم تلتزموا بقرارنا كلجنة، أنتو أحرار، وصار سجال كبير بينا، وصارت مسؤولية التنظيم في السجن، فأنا ما كنت بقدر أقرر مصير الشباب لحالي، وصرت أغلط، وأحكي: كسرتونا، وبالفعل، كان في مجموعة من الأسرى رافضة توقف القرار، ولكن، بالآخر، اتفقنا أنه ما وقف، وإنما تعليق، رغم أنه فكرة التعليق استفزتني أكتر، فكان وقفه بالنسبة إللي مرارة وحسرة."* [288]

وعودة إلى المطالب الأساسية للإضراب؛ فإنها، وعلى الرغم من ذلك، فقد أشار بعضهم إلى إنجازات، كانت متفاوتة من سجن إلى آخر، يقول (ر.أ): *"بعض السجون أخذوا إنجازات أكثر من سجون أخرى، فمثلاً، سجن (بئر السبع) إللي ضل آخر إشي، زادت قوته أمام الإدارة، وحصلنا على تحسينات، فمثلاً إحنا من سنوات ما شفنا السمك، صرنا ندخل سمك، وندخل ليمون، وصار بالنسبة إلنا الانتصار هو شيء نسبي، خاصة أنه وقتها كانت إدارة*

[287] مقابلة مع (أ.م) مصدر سبق ذكره.

[288] نفس المصدر.

السجون بتراهن تحول السجون إلى سجون بتشبه النظام الأمريكي، بحيث تسلبنا كل شيء، وهي بالحقيقة، ما نجحت." [289]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الحديث عن الإضراب من أسرى كانوا خارج التنظيم، أو ممن لم يشاركوا في التجربة، يتخذ مناحي وملامح مختلفة، وبخاصة فيما يتصل بتقييمها، يقول (ع.د)، وهو (أحد الذين خاضوا المعركة، وكان خارج الإطار التنظيمي): *"أنا كان عمري 19 أو 20 سنة، وما كنت صاحب خبرة، وما فكرت في الموضوع، خضت الإضراب، على أساس أنه أي جزء في التحدي والمواجهة لازم أكون فيه، وما كنا فاهمين أنو إحنا انتصرنا أو ما انتصرنا، أنا كنت أسير جندي، وما كنت من القيادة، بعدها، فهمنا أنه الإضراب فشل، وكان الوضع سيء، وما حقق إنجازات."* [290]

أمّا (ي.ح)، الذي اتخذ موقفاً بعدم المشاركة في الإضراب؛ فيقول: *"الإضراب كشف نوع القيادة للأسف، القيادة صارت قيادة عشان تأخذ من الإدارة امتيازات، وكل واحد صار يدور على مصلحته، وما في محاسبة، الوضع الخارجي أثر كتير."* [291]

ويظهر الأرشيف الصادر عن مؤسسات الأسرى في الصحف، الأنباء عن إعلان الأسرى تعليق الإضراب، غير أنَّ هذا الإعلان لم يكن جمعياً وفي تاريخ واحد، بل تدرج من سجن إلى آخر، ابتداءً من 28 آب/ أغسطس 2004م، وانطلاقاً من سجن (عسقلان)، إذ أعلن 800 أسير تعليق إضرابهم المفتوح عن الطعام بصورة مؤقتة،[292] ليستأنفوه مجدداً في 30 آب 2004م؛ بعد تنصُّل الإدارة من تلبية مطالبهم،[293] وعلى الرغم من ذلك، فقد تتابعت

---

[289] مقابلة مع (ر.أ) مصدر سبق ذكره.

[290] مقابلة مع (ع.د) مصدر سبق ذكره.

[291] مقابلة مع (ي.ح) مصدر سبق ذكره.

[292] أرشيف جريدة الحياة. المنشور في 28 آب 2004م. ص 1 .

[293] أرشيف جريدة القدس. المنشور في 30 آب 2004م. ص 1 .

أنباء تعليق الإضراب آنذاك، كما في: *"أسرى (شطة) يعلقون إضرابهم بعد الاستجابة لعدد من مطالبهم"*، ولم ينتهِ الإضراب بصورة كلية؛ فقد تضمنت الصفحة ذاتها عنواناً آخر، ما هو إلا نداء عاجل من الحركة الأسيرة، جاء فيه: *"بكل عزيمة وعنفوان وإرادة وشموخ وإصرار على نيل حقوقنا العادلة، نواصل معركتنا مع ظلم إدارات مصلحة السجون...معركة الأمعاء الخاوية، معركة الإضراب عن الطعام، والتي ندخل فيها اليوم السابع عشر على التوالي،"*[294] وهكذا، ظلَّت الأنباء تتردد بين إضراب وتعليق؛ ففي 2 أيلول، يرد عنوان آخر: *"أسيرات الرملة يعلقن الإضراب لأسبوعين، بشرط تحقيق خمسة مطالب رئيسية"*، [295]*وإلى جانبه نبأ آخر، يتحدث عن تعليق أسرى سجن (جلبوع) إضرابهم لأربعة أيام."* [296]

وبكلمات أخرى، فقد بدا واضحاً أنَّ إعلان تعليق الإضراب، قد خرج متخبطاً متفرقاً، ولم يكن قراراً جمعياً، بل جاء قراراً منفرداً؛ فكل سجن وقراره؛ ما يعكس سقوط الصورة الجمعية للحركة الأسيرة، وما أن يحلّ 3 أيلول 2004م، حتى يحسم القرار، وذلك بإنهاء الإضراب كلياً في السجون كافة، وتصدُّره العناوين آنذاك: *"انتهاء إضراب الأسرى...بعد تحقيق مطالب هامة ومنها وقف سياسة التفتيش العاري"*، وارتأت مؤسسات الأسرى عنونة تقاريرها بالانتصار؛ [297] فقد جاء في بيان صادر عن نادي الأسير عنوان: *"الأسرى انتصروا أخيراً..."* [298]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ الأمر في حقيقته مغاير لما أُعلن عنه؛ فما ورد تحت عنوان انتصار، لم يكن إلا هزيمة، كما وصفه أغلب الأسرى؛ فالانتصار لفظ يثير جدلاً واسعاً بعد نهاية أية تجربة إضراب تخوضها الحركة الأسيرة، فما معنى الانتصار والهزيمة في تلك التجربة؟ *"لقد فشل الإضراب عن الطعام في تحقيق مطالبه، ولكن الفشل الأهم*

[294]أرشيف جريدة القدس، المنشور في 1 أيلول 2004م. ص 1.
[295]أرشيف جريدة الحياة، المنشور في 2 أيلول 2004م. ص 1.
[296]أرشيف جريدة الحياة، المنشور في 2 أيلول 2004م. ص 1 .
[297]أرشيف جريدة القدس. المنشور في 3 أيلول 2004م. ص 1 .
[298]بيان صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 3 أيلول 2004.

الذي ستمتد تداعياته على حياة الأسرى لسنوات، هو نجاح إدارة السجون في تفكيك السجون والأقسام المضربة...لتوقف إضرابها، ليس بصورة منظمة وبقرار قيادي واحد وبخطوة جماعية وبالتزامن مع كافة السجون، كما كان الأمر عندما دخلت الإضراب، وإنما بشكل فردي وفوضوي، وبمعزل عن التخطيط والاتفاق.[299]

ولعلَّ تقارير زيارات المحامين الأسرى بعد الإضراب، خير دليل على ما تركه من أثر على واقع الأسرى؛ فقد ظهرت حالة من الاختلاف في تقييم الإضراب والمصير الذي وصل إليه، فقد أكد أسرى سجن (نفحة) للمحامي استياءهم من الظروف المحيطة: *"وفقاً لما ذكر لي الأسرى جميعهم، وبكلمة واحدة: لا تغيير، وأن الأوضاع، قبل الإضراب بسجن (نفحة)* كانت قبل الإضراب، أفضل بكثير، وأن معاملة الإدارة والسجانين أسوأ من السابق، وأصبحت لا تطاق"،[300] بينما تؤكد زيارة أخرى لسجن (عسقلان)، أنَّ بعض الإنجازات قد تحققت، ومنها السماح بتزويد كل غرفة في السجون كافة، بجهاز تلفاز إضافي، إن كانت تحوي أكثر من عشرة أسرى، ورفع كمية اللحوم والخضار والمكوى، وزيادة المغاسل، وإيجاد حلول لباقي الأمور قريبا،[301] أمّا أسرى سجن (جلبوع[302]) و(بئر السبع) و(أوهليكدار)؛[303] فقد لخَّصوا تقييمهم الإضراب للمحامين، بأنَّ الوضع لم يتغير، بل أصبح أكثر سوءاً.

"على الرغم من خوض الأسرى معركة الأمعاء الخاوية، وعلى الرغم من المعاناة التي تعرضوا لها، لم يذكر لي أسير واحد أن هناك تحسناً قد طرأ على أوضاع الأسرى، إلا بعض الأمور الخفيفة التي لا تذكر، بل على العكس، يشعرون أن الأوضاع زادت سوءاً، وأن جميع الوعود التي وعدتهم بها إدارة السجن كانت كاذبة." [304]

---

[299]وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 56.

[300]نادي الأسير تقرير زيارة سجن نفحة في 22 أيلول 2004.

[301]نادي الأسير تقرير زيارة سجن عسقلان في 21 أيلول 2004.

[302]نادي الأسير تقرير زيارة سجن جلبوع في 22 أيلول 2004.

[303]نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن بئر السبع في 25 أيلول 2004.

[304]نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن بئر السبع إيشل في 21 أيلول 2004.

وبكلمات اخرى، فقد وصف أغلب الأسرى إضراب عام 2004م، بأنه كان بمثابة الضربة القاسية للحركة الأسيرة، كيف لا، وقد أوجد تحولاً صعباً في تجربة الإضراب عن الطعام؟ ولم يكن في حقيقته إلا محصلة لعوامل متعددة، عرضتها الدارسة سابقاً، وبخاصة الصراعات التنظيمية التي طغت على رواية انتفاضة الأقصى، وصراع الأجيال الذي بدا واضحاً في المعركة، إضافة إلى التحول الذي أصاب أدوات السّجّان في معركة الإضراب، التي فرضت على الأسرى أنواعاً جديدة من المواجهة في تجربتهم؛ إذ يشير وليد دقة إلى مجموعة من الإجراءات، التي فرضتها إدارة السجون الصهيونية بعد إضراب عام 2004م، ومنها: فصل الأسرى داخل بنية السجن المادية، وتعميق الانقسامات المناطقية، ليصبح لكل قسم ناطق، بعدما كان هناك لجنة لكل سجن، وفرض عقوبات شديدة على أي أسير يقوم بعمل نضالي مهما كان مستواه، ومنع أي مظهر جماعي، فضلاً عن تعمق نظام الاتصال مع الأسرى بصورة فردية، وما كل هذه الإجراءات إلا لهدف واحد، كما يقول وليد دقة، يتمثَّل في تحويل الأسير الفاعل إلى سلبي ومتلقٍ، يعتمد على حاجات مادية، يتلقاها وفق إرادة السّجّان.[305]

وعلى الرغم من هذه النتائج كلها، التي فرضتها تجربة إضراب عام 2004م، إلا أنَّ الرواية التاريخية للحركة الأسيرة حولها، لا تخلو من محطات هبوط عاشتها الحركة الأسيرة، ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ تكرار التجربة، قد خلق مدرسة خاصة، وأفرز قواعد خاصة بها، فكل إضراب يتمتع بخصوصية مستمدة من جملة الظروف المحيطة به، التي تطبعه بطابع خاص من المواجهة، وتحدد مسيرته ومصيره.

الخلاصة

كشف إضراب عام 2004م، عن مرحلة جديدة من واقع الحركة الأسيرة، وتحولات كبيرة في بنية سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وأدواته العنيفة، كما أشار إليه وليد دقة تحت مسمى (العنف الحداثوي)، ولكن، مما

[305] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره.

ساعد منظومة السجون الصهيونية في فرض ما حاولته، هو وجود عوامل مساندة، مكَّنتها من فرض أدواتها الجديدة، وفي مقدمتها الصراعات الداخلية، والصراع بين الجيل القديم والجيل الجديد من انتفاضة الأقصى؛ ما جعل الفوضى تسيطر على المشهد، إلى جانب غياب التنظيم السليم، والأهم من ذلك كله، هو غياب قيادة تتمتع بصلابة التصميم، ووحدة القرار.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ هذه العوامل التي أثرت بصورة واضحة على مصير الإضراب، لم تكن نتاجاً فجائياً، كانت خلاصة حالة من التراكم في العلاقة القائمة بين المستعمِر (السّجّان) والمستعمَر (الأسير)، وعلى الرغم من أنَّ أغلب من عايشوا الإضراب وخاضوه، قد وصفوا مصيره بالفشل، إلا أنَّ الدارسة هنا، تعود لأبي علي شاهين، حينما قال: "إن هدف الإضراب، ليس فقط في تحقيق المطالب المحددة، بقدر ما كان خلق اللحمة الاعتقالية، من خلال الفعل النضالي المبني على الممارسة العملية للصراع والمواجهة .. وأهمها الإضراب عن الطعام.[306]"

وهنا، يفرض تساؤل مهم نفسه، يتصل بخصوصية تجربة الإضراب عن الطعام في بنية عنف استعمارية استيطانية، فما تحاول سلطات الاستعمار الصهيوني الاستيطاني فرضه على الأرض، من نفي، وإنكار، وإحلال، تحاول أن تفرض نظيره داخل مساحة ومعازل أصغر هي السجون، وذلك بأدوات خاصة، وهذا مدخل مهم لمحاولة فهم المشهد العنيف الكثيف، الذي تحاول سلطات الاستعمار أن تراه عبر سيطرتها الشاملة على الإنسان الفلسطيني، في إطار مشهد محصور في كثافة تجربة الإضراب عن الطعام، التي تعطي معنىً جديداً للسيادة وتقرير المصير، في بنية استعمار استيطاني صهيوني، إلى جانب قدرته على فرض قرار المواجهة.

[306] محمد القيسي. مصدر سبق ذكره. ص 132.

الفصل الثالث

استعادة محاولة المواجهة في الإضراب عن الطعام

إضراب الجبهة الشعبية عام 2011م

تؤدي الجبهة الشعبية؛ بوصفها جزءاً من اليسار الفلسطيني، دوراً تاريخياً مهماً في بقاء مستوى المواجهة واستعادتها في سجون الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وذلك رغم التحولات الهائلة، التي أصابت اليسار الفلسطيني، ومنه الجبهة الشعبية،[307] والخلافات التي يرتبط جُلّها بخيارات المواجهة مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وبخاصة مع حركة فتح؛ إذ عملت الشعبية بصورة خاصة ومكثفة، عبر التعبئة التنظيمية والتثقيفية، على بقاء المواجهة واستمرارها، واستعادتها رغم التحديات الكبيرة، التي فرضها واقع التجربة الفلسطينية عليها، وبخاصة بعد مرحلة أوسلو، ومع ذلك، فإنَّ الأدبيات التي تناولت تجربة الجبهة الشعبية في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بصورة خاصة، كانت شحيحة، كيف لا، وقد جاء أغلبها نتاجاً أدبياً، أو سرداً لتجارب ذاتية،[308] أو نقداً لليسار الفلسطيني بعامة، وما أصابه من تحولات؛[309]فإضراب الشعبية عام 2011م، الذي شكَّل محطة من محطات المواجهة الخاصة التي قادتها الشعبية، لم يحظَ باهتمام الباحثين، على الرغم من أهميته، فجاء محطة عابرة لبعض المراجعات الخاصة عن تجربة إضراب عام 2012م، أو مقدمة له.[310]

والأمر اللافت للانتباه، أنه لم تُسجَّل أية محاولة لاستعادة المواجهة، بعد مرور ثماني سنوات على إضراب الأسرى عام 2004م، آخر مواجهة جماعية للحركة الأسيرة، وما ذلك إلا نتيجة لما انتهى إليه الإضراب، إضافة إلى

---

[307]انظر في: جميل هلال اليسار الفلسطيني إلى أين؟، اليسار الفلسطيني يحاور نفسه ويتأمل مصيره. رام الله: مؤسسة روزا لوكسمبروغ. 2009م.

[308]انظر في: علي جرادات. لست وحدك، ذاكرة حرية تتدفق. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2019م.

[309]انظر في: أحمد قطامش. في التنظيم الثوري السري. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل أنموذجاً. حزيران 1967م- أوسلو 1993م. 2011م.

[310]وائل الجاغوب. واقع اليسار الفلسطيني وسُبل النهوض، نقلا عن: https://bit.ly/3k54rYn.

جملة من العوامل التراكمية، التي فرضتها المراحل السابقة على واقع المواجهة،[311] ولكن، هذا لا يعني الغياب المطلق لمحاولة المواجهة؛ إذ ظلَّت مستمرة، وتمثلت صورتها عبر الإضرابات الذاتية المحدودة، ولكن، دون أن تترك، في واقع الأمر، تحولاً واضحاً على واقع المواجهة، وهذا ما كان قبل إضراب الأسير خضر عدنان عام 2011م، الذي شكّل نقطة تحول، وأسهم في معنى استعادة المحاولة والممارسة للسيادة وتقرير المصير عبر المواجهة.

ولعلَّ أخطر التحولات التي فرضت نفسها، وأحدثت ضربة واضحة في مصير المواجهة بعد عام 2004م، هو إغراق الأسرى بالمادة؛ إذ لم يعد الأسير مستهدفاً عبر أدوات التجويع والحرمان، وإنما أصبحت تلك الأدوات تعمل بصورة أساسية مركزة على العقل والروح؛ فقد حاولت سابقاً إفراغ الأسرى من محتواهم النضالي، عبر أدوات عنيفة ترتكز جُلّها على الجسد، وتطورت لاحقاً؛ فبدأت تفرض أدوات عنف حداثوية أكثر خطورة على مصير الأسرى ومستقبل المواجهة، ومحاولة السيطرة على الأسرى بإيهامهم أنهم يعيشون (باستقرار)، عبر التحكم والرقابة التي فرضتها الحداثة.[312]

ولا يخفى على أحد ما تركه (صراع الإخوة) بين حركتي فتح وحماس عام 2007م، من أثر كبير على واقع الأسرى في تلك المرحلة؛ فقد استمرت حالة التراجع على مستوى المواجهة الجماعية في التصاعد، وعلى الرغم من أنَّ عدداً من الأسرى كانوا سباقين في محاولة لرأب الانكسار، الذي أصاب الفلسطينيين، عبر ما تعرف (بوثيقة الأسرى) في مايو / أيار 2006م،[313] التي صاغها مجموعة من قادة التنظيمات في الأسر، في مقدمتهم مروان البرغوثي، فكانت أولى المبادرات التي تمكنت من قراءة الكارثة قبل وقوعها، فضلاً عن إسهامها في معنى تقرير المصير الفلسطيني، الذي

[311] علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 36.

[312] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 20.

[313] محمد شويكة. وثيقة الأسرى. وثيقة الوفاق الوطني. الرواية الكاملة من داخل الأسر. فلسطين. رام الله: الحملة الشعبية لإطلاق سراح القائد مروان البرغوثي وكافة الأسرى. 2009م.

يسعى إليه الأسرى في السجن الصغير، غير أنَّ هذا الأمر، لم يكن كافياً ليعكس الواقع الذي تركه الانقسام على الأسرى.

يقول (س.ع): *"صار ضغائن بحكم الانقسام، ما في حدا عنده استعداد يساعد حدا في أي مواجهة مع الإدارة، وحتى لو اتفقنا على المواجهة، ما في إمكانية أنه يكون توافق أو تنسيق بين التنظيمات، وأصبحت عملية فصل موجودة بين الأقسام؛ فعملية الانقسام في الخارج، والانقسام في الداخل، أدى إلى تراجع مفهوم المواجهة عند حماس داخل السجن، وإحنا مرينا في عدد من الإضرابات إللي فشلت."* [314]

في عام 2010م، بدأ الأسرى نقاش ما يعرف بإضراب النخبة، وفيه، يختار الأسرى قيادات من التنظيمات كافة، تنوب عن مجموع الأسرى في خوض معركة الإضراب، أو يختارونها من التنظيم الواحد، أمّا ميلاد هذه الفكرة؛ فقد ذكر (م.ش) أنه جاء بعد وصول الأسرى إلى قناعة بأنَّ مشاركة جموع الأسرى في إضراب، قد يعيد الحركة الأسيرة إلى تجربة 2004م، فضلاً عن أنَّ حالة التفكك والترهل وما يعيشه الأسرى، من تشتت وانقسام في تنامٍ مستمر؛ ما دفع الأسرى إلى التفكير في طرق بديلة؛ لإعادة إحياء تجربة الإضراب عن الطعام، عبر إضراب النخبة.[315]

وولعلَّ هذا الحديث عن إضراب النخبة، يعكس تبايناً واضحاً بين مختلف مكونات الحركة الأسيرة، جاء نتيجة الصدمة التي خلَّفها إضراب 2004م؛ فقد جعل فكرة الإضراب أمراً لا يمكن العودة إليه، وعلى الرغم من أنَّ إضراب النخبة، كان من المفروض تنفيذه بمشاركة التنظيمات كافة، إلا أنَّ الحديث عن وجود صفقة تبادل، قد دفع التنظيمات الأخرى إلى التراجع عن المشاركة، ولكن، بتوافق مع الجبهة الشعبية، التي أصرَّت على تنفيذ الإضراب.[316]

---

[314] مقابلة مع(س.ع) مصدر سبق ذكره.

[315] مقابلة مع أسير سابق (م. ش)، المقابلة كانت مكتوبة بناء على طلب الأسير ، بعد أن أجريت مقابلة حوارية. 2020م.

[316] علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 33.

وهكذا، فقد تضافرت مجموعة من العوامل، ألحَّت استعادة ضرورية للمواجهة في الإضراب عن الطعام؛ ففي أيلول/ سبتمبر عام 2011م، قررت القيادة الموحدة للجبهة الشعبية خوض إضراب عن الطعام؛ بدافع تصاعد عمليات العزل الانفرادي[317] بحق قيادات الأسرى، ومنهم الأمين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات، الذي جرى عزله،[318] على الرغم من وضعه الصحي الصعب آنذاك، فكان عزله شرارة الإضراب، إضافة إلى تصاعد العقوبات الفردية والجماعية بحق الأسرى، واستهداف قياداتهم، عبر عمليات النقل المتكررة؛ ما أثَّر على توازن الأسرى الاجتماعي والتنظيمي، فضلاً عن سحب مُنجزات متعددة من الحركة الأسيرة، عبر قانون (شاليط)، والأهم من ذلك كله، وقف التعليم الجامعي.[319]

وقد سبق إضراب الجبهة الشعبية تعبئة، كأي إضراب سابق، تضمنت عملية تثقيف، ووضع الخيارات المتاحة، والتوجهات في إدارة المعركة، وإرشادات عامة حول الصمود، والكيفية المطلوبة لمواجهة السّجّان، وفعلياً، شرع قرابة 300 أسير من الجبهة الشعبية في الإضراب عن الطعام، في 27 أيلول/ سبتمبر 2011م، إلى جانب مجموعة من الأسرى من التنظيمات الأخرى، الذين قرروا خوض الإضراب بقرار ذاتي، وليس تنظيمياً، أمّا أهدافه؛ فقد تحددت وفق مطالب معينة، على رأسها إنهاء سياسة العزل الانفرادي،[320] وإلى جانب هذا الإضراب، ظهر مسار آخر من المواجهة،

[317] تناولت الأدبيات المتعددة قضية العزل الانفرادي، وسأتناولها بشكل مفصل في الإضراب اللاحق لعام 2012م.

[318] انظر في: أحمد سعدات. صدى القيد. بيروت: دار الفارابي. 2017م.

[319] مقابلة مع (م.ش) مصدر سبق ذكره.

[320] مطالب الإضراب عن الطعام من أرشيف نادي الأسير 2011م: وقف سياسة العزل الانفرادي، والتفتيش العاري، والسماح لأسرى غزة بزيارة ذويهم، والسماح لأفراد العائلة جميعهم بزيارة الأسير، وتحسين شروط زيارة الأهل، وتقديم العلاج للأسرى المرضى، بما فيه إجراء العمليات الجراحية، وتوفير الأجهزة المساعدة للإسراع في التشخيص، والسماح للأطباء بزيارة الأسرى، ووقف العقوبات الجماعية، وفرض الغرامات على الأسير، وإعادة السماح بالتعليم، بما فيه الثانوية العامة، والانتساب للجامعات، وإدخال الكتب، وتغيير ظروف سيارات نقل الأسرى (البوسطة)، وبخاصة التي تنقل المرضى، والسماح للأسرى الأطفال بمعانقة أمهاتهم وآبائهم.

عبر الإضرابات الإسنادية[321] التي نفذها الأسرى في عدد من السجون واستمرت لأيام بهدف الضغط على الإدارة للاستجابة لمطالبهم.[322]

وقد شكَّلت الشعبية قيادة مصغرة من أربعة رفاق من كوادر القيادة الموحدة لها؛ ليكون أي قرار يرتبط بمصير الإضراب صادراً من قيادته، كما يمنع أيّ أسير من الخروج من المعركة إلا بقرار جماعي، ولعلَّ أكثر ما شددت عليه الشعبية في إضرابها، هو وجود قرار قيادي يلتزم فيه الرفاق؛ وهذا التشديد لم يأتِ من فراغ، فما تركه إضراب 2004م، من تجربة في أدوات إدارة السجون الصهيونية، وبخاصة في قضية عزل قيادة الإضراب، وخلق أخرى بديلة، قد دفع أسرى الشعبية إلى مثل السلوك، ولكن، يبدو أنَّ الأمر لم يسِر وفق ما أرادت؛ إذ يبدو جليّاً، عبر تتبع مسار الإضراب، أنَّ بعض التنظيمات في بعض السجون، قد أجرت حوارات مع الإدارة، بعيداً عن قيادة الإضراب.[323]

وكما في الإضرابات السابقة كلها، شرعت إدارة السجون الصهيونية في عزل قيادة الإضراب، وعزل الأسرى المضربين، ونقلهم إلى سجون متعددة؛ في محاولة أولى لمواجهة المعركة، ولم تقتصر أدوات العزل على ذلك، بل تجاوزتها إلى عملية عزل إضافية، عبر حرمانهم من زيارات المحامين، وعرقلة زيارات الصليب الأحمر الدولي، كما عادت إدارة السجون الصهيونية إلى توظيف أدوات العنف نفسها، التي فرضتها على الأسرى في إضراب 2004م.[324]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الحيِّز الزماني لإضراب الشعبية، لم يخلُ من بعض الظواهر التي تمخَّض عنها إضراب 2004م؛ وبخاصة فيما يتصل بقيام بعض ممثلي السجون، بفتح جلسات حوار مع الإدارة دون قيادة

[321] ففي 2 تشرين الأول/ أكتوبر شرع أكثر من 20 أسيراً، في سجن (عسقلان)، في إضراب عن الطعام، منهم الأسيران: فخري البرغوثي، وأكرم منصور، وفي التاريخ نفسه، قررت اللجنة النضالية العامة لأسرى الحرية في سجن (عوفر) خوض إضراب تدريجي عن الطعام في أيام: الإثنين، والأربعاء، والسبت، وقبل يومين من هذا الإضراب، خاص قرابة 3500 أسير إضراباً تحذيرياً، في محاولة للضغط على الإدارة بالاستجابة لمطالب الأسرى المضربين، وفي 6 أكتوبر، نفذ الأسرى في سجن (مجدو)، وعددهم 960 أسيراً، إضراباً إسنادياً لرفاقهم ليوم واحد.

[322] مقابلة (م.ش) مصدر سبق ذكره.

[323] واحدة من أهم المنجزات التي فرضتها الشعبية داخل السجون، هي تشكيل قيادة موحدة لها، جعلتها تنقل هذه التجارب إلى بعض التنظيمات؛ فقد نجحت حركة حماس في تشكيل الهيئة القيادية العليا، بينما فشلت حركة فتح في تكوين قيادة موحدة لها، من مقابلة مع (م.ش) مصدر سبق ذكره.

[324] مقابلة مع (م.ش) مصدر سبق ذكره.

الإضراب، كما حدث في سجن (ريمون)، الذي أعلن في 5 تشرين الأول/ أكتوبر 2011م، عن عقد جلسة حوار؛ لمناقشة مجموعة من المطالب، منها: إعادة ثلاث فضائيات منها تلفزيون فلسطين، والسماح بإدخال الكتب، وإلغاء سياسة العقاب الجماعي، والسماح لأسرى غزة بإدخال الملابس، وكذلك إدخال الأطباء إلى المرضى.[325]

وقد استمر الإضراب قرابة 20 يوماً، وانتهى في 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2011م، أي قبل يوم من إتمام صفقة تبادل (وفاء الأحرار)، التي نفذتها حركة حماس، بوساطة مصرية لدى سلطات الاستعمار الصهيونية، وجرى الاتفاق على إنهاء ملف العزل الانفرادي بعد إتمامها؛ بوصفه واحداً من أهم مطالب الإضراب، واستمر أسرى الشعبية في الإضراب حتى لحظة تحرر بعضهم، في ضوء (وفاء الأحرار).[326]

وبكلمات أخرى، فقد شكّل إضراب الشعبية المبادرة الأهم في استعادة المواجهة، عبر الإضراب عن الطعام، كما تمكَّن من تحريك المياه الراكدة منذ سنوات، وأعطى تنبيهاً لضرورة وجود مواجهة جديدة، وأعاد صياغة تعريف الجماعة في المواجهة، والتوجهات التي تركتها تجربة إضراب عام 2004م، وبخاصة فيما يتصل بمبادرة إضراب النخبة، كما أعطى معنىً جديداً لعلاقة أعضاء التنظيم الواحد بالقيادة؛ كيف لا، ,قد شكَّل الاختبار الأول للقيادة الموحدة للجبهة الشعبية للسجون بعد تشكيلها؟ وهكذا، فإنَّ مصير إضراب الشعبية لم ينتهِ هنا، بل ظلَّ مرتبطاً لاحقاً بإضراب عام 2012م، الذي ستتناوله الدارسة في الفصل اللاحق.

---

[325]أرشيف نادي الأسير الفلسطيني عام 2011م.

[326]انظر في: أرشيف جريدة الحياة. مقابلة مع الأسير عثمان مصلح، الذي واصل إضرابه عن الطعام، حتى بعد إعلان اسمه من ضمن من سيتم إطلاق سراحهم، نشرت المقابلة قبل تحرره بأيام في 15 أكتوبر/ تشرين الأول عام 2011، ص1. مقطع مصور للأسير مؤيد الشيص لحظة وصوله إلى رام الله بعد تحرره، وهو لا يزال يخوض الإضراب، الذي بدأه مع رفاقه في الأسر،نقلا عن: https://www.youtube.com/watch?v=U6CJbvDeeXc.

صفقة (وفاء الأحرار)

نفذت حركة حماس عام 2011م، بوساطة مصرية صفقة تبادل مع سلطات الاستعمار الصهيوني، عُرفت بصفقة (وفاء الأحرار)، وفيها تحرر 1027 أسيراً وأسيرة فلسطينية، مقابل الجندي الصهيوني (جلعاد شاليط)؛ ما ألقى بظلاله على واقع الأسرى، وفرض عليهم وعلى تركيبتهم تحولات جديدة، وبخاصة أنَّ جزءاً كبيراً ممن تحرروا، كانوا من حركة حماس، والأسرى القدامى من حركة التحرير الوطني (فتح)، التي لم تتمكن من تحريرهم طيلة العقود الماضية، كما تركت هذه الصفقة آثارها على المستوى التنظيمي داخل حركة حماس؛ إذ لم تشمل جزءاً من قياديي الحركة نفسها، فضلاً عن مواجهة جزء آخر منها سياسة العزل الانفرادي منذ سنوات، وصولاً إلى تاريخ إتمام الصفقة.

وهكذا، فإنَّ الواقع الذي فرضته صفقة التبادل على المستوى التنظيمي لحركة حماس، يعيد المتلقي في بعضه، إلى حال أسرى منظمة التحرير، وبخاصة أسرى حركة فتح في الإفراجات التي تلت اتفاقية أوسلو؛ فقد طغت لغة الغضب والخذلان مجددا، وبقوة،[327] وهذا ما أشار إليه بعض الأسرى في المراسلات التي جرت؛[328] فعلى الرغم مما حققته الصفقة من إنجازات، كما في الإفراج عن أسرى مر على اعتقال بعضهم أكثر من 34 عاماً، كالأسيرين نائل البرغوثي،[329] وفخري البرغوثي،[330] إلا أنَّه، وحتى إعداد هذا البحث، لا يزال 26 أسيراً، ممن اعتقلوا قبل توقيع اتفاقية أوسلو، قابعين في سجون الاحتلال.[331]

---

[327]انظر في أرشيف جريدة الحياة الجديدة. العدد الصادر في 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2011م، تصريح لزوجة القيادي في حماس إبراهيم حامد، ومقابلة أخرى مع زوجة الأسير أحمد سعدات في العدد الصادر لجريدة الحياة الجديدة في 13 تشرين الأول/ أكتوبر 2011م.

[328]م نادي الأسير تقرير زيارة سجن (عسقلان) جرت في 4 شباط/ فبراير 2012م.

[329]الأسير نائل البرغوثي يقضي أطول فترة اعتقال في تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية؛ فقد وصل مجموع سنوات اعتقاله حتى تاريخ هذا البحث إلى (40) عاماً، وبعد تحرره من صفقة وفاء الأحرار، أعاد الاستعمار الصهيوني اعتقاله إلى جانب العشرات من محرري الصفقة عام 2014م، ولا يزال رهن الاعتقال، وهو من بلدة كوبر في رام الله، ومحكوم بالسجن المؤبد و(18) عاماً.

[330]الأسير فخري البرغوثي، من بلدة كوبر في رام الله، اعتقل عام 1987م، وبقي رهن الاعتقال لـ34 عاماً، وأفرج عنه في صفقة وفاء الأحرار.

[331]تقرير توثيقي لنادي الأسير الفلسطيني لشهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.

ولعلَّ ما زاد من حجم الإحباط وتنامي لغة الخذلان، تنصُّل إدارة السجون الصهيونية من جملة التفاهمات التي حدثت مع حركة حماس، بوساطة مصر، حول بعض القضايا ذات الصلة بواقع الأسرى داخل السجون؛ ما شكَّل دافعاً لضرورة مواجهة جديدة رداً على الاستعمار، من جهة، ورداً مبطناً على ما أفرزته الصفقة، من جهة أخرى، ويبدو أنّ (وفاء الأحرار) وما تبعها من نتائج، قد جعل الأسير على قناعة تامة، بأنَّ مصيره بيده، لا بيد الجماعة، ومع ذلك، فإنَّ كل ما حدث، في تلك الأعوام السابقة، لم يكن كافياً لإسقاط محاولة إتمام الإضراب عن الطعام مجددا، غير أنه لم يتمكن من أن يكون إضراباً جماعياً، يجسِّد فيه معنى (حركة أسيرة)، وهذا ما ستعرضه الدارسة في فصل خاص عن إضراب عام 2012م، الذي جاء نتيجة تلك العوامل والوقائعكلها، ولكن، قبل ذلك، لا بدَّ من المرور على تجربة الإضرابات الذاتية، التي فرضت نفسها في تلك المرحلة، وما حملته من جملة جديدة من التساؤلات على واقع المواجهة، وعلاقة الأسير الذات الفاعلة مع الجماعة (التنظيم)، وما رافقها من جدل كبير حول جدوى الإضراب الذاتي وطريقة إدارته.

الإضرابات الذاتية

في أواخر عام 2011م، وبداية عام 2012م، انفجرت داخل سجون الاستعمار الصهيوني موجة من الإضرابات الذاتية[332] المكثفة، أعادت بدورها، إنتاج منظور جديد لدور الأسير الفاعل، وتركت أسئلة كبيرة عن واقع الجماعة (التنظيم)، التي عانت على مدار السنوات التي سبقت إضراب الشعبية، وبخاصة بعد إضراب عام 2004م، من حالة انحدار في مستوى المواجهة داخل السجون، وارتبطت موجة الإضرابات الذاتية في تلك المرحلة بإضراب

[332]أغلب الأدبيات التي تناولت الإضرابات الذاتية سابقاً، تصفها بالإضرابات الفردية، لكن، ولأسباب أساسية استخدمت الإضرابات الذاتية وصفاً لها في هذه الدارسة؛ أولها: التمييز بين الفرد، الذي رسخته المنظومة القائمة؛ بوصفه فرداً بعيداً عن مدى فعاليته، وثانيها: كون هذه المنظومة قد أسهمت بصورة أساسية في ترسيخ بنية الاستعمار، ومنها الاستعمار الاستيطاني، فهذه الدراسة تتخذ من الذاتية وصفاً فاعلاً في مواجهة الاستعمار الاستيطاني، وفي بنية السجن (الحداثي) الذي تسعى إلى تحويل الأسرى إلى أفراد، وتستهدف أي فعل جماعي، فالأسير (الفرد) مارس فاعلية الذات الجماعية بفعل المواجهة؛ ما جعل مواجهته منظومة السجن (الحداثي) كسراً للهدف الذي تسعى إليه بنية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

الأسير خضر عدنان؛ إذ شكّل إضرابه نقطة تحول، عبر ما فرضه من جملة تساؤلات عن مصير المواجهة الجماعية، ومحاولته سحب الجماعة إلى مربع المواجهة مجدداً.[333]

ولكن، هذا لا يعني أنَّ الإضرابات الذاتية لم تكن قائمة قبل إضراب الأسير عدنان؛ فقد برزت مع تصاعد دور حركة الجهاد الإسلامي داخل السجون، وكانت الأسيرة عطاف عليان،[334] في مقدمة من خاضوه ضدّ الاعتقال الإداري؛ إذ نفذت أثناء اعتقالها ثلاثة إضرابات: الأول، نفذته وقت التحقيق معها عام 1987م، والثاني عام 1992م، والثالث عام 1997م، ضد اعتقالها الإداري، وقد استمرت في إضرابها آنذاك 40 يوماً،[335] كما خاضت الأسيرة نورة الهشلمون[336] إضراباً عن الطعام، مسجِّلة ثاني أطول إضراب ذاتي، عام 2007م، استمر 52 يوماً، فضلاً عن الأسيرة منى قعدان،[337] واللافت للانتباه، أنَّ جميعهن من الأسيرات المنتميات للجهاد الإسلامي.

ولم تتوقف محاولات الأسرى؛ ففي تلك المرحلة، حاول عدد منهم خوض معارك ذاتية لتقرير مصيرهم، وصولاً إلى مطلب الحرية، وبخاصة الأسرى الإداريين، أو تحقيق مطالب حياتية خاصة بهم كالعلاج، أو نقلهم إلى معتقل آخر، أو إنهاء عزلهم، أو المطالبة بحقهم في زيارة العائلة، والأمر اللافت للانتباه، أنَّ أسرى الجهاد الإسلامي، هم من فرضوا هذا النوع من المواجهة أكثر من أي تنظيم آخر، وهذا ما أشارت إليه الدارسة سابقاً، ولعلَّ المفارقة الكبرى، تكمن في قيادة هذا النوع من المواجهة؛ فمن يدقق في تاريخها، يجد النساء في قمة الهرم، مع بداية تشكُّل جسد الحركة الأسيرة، وهذا ما تُشير إليه عائشة عودة[338] في رواياتها عن إضراباتها المتعددة، التي جاءت على صورة نضال احتجاجي، استمر

---

[333]عبد الناصر فروانة. الإضراب عن الطعام بين الفردية والجماعية. نقلا عن:
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2020/01/29/512286.html

[334]علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 41.

[335]مقابلة مع (ع.ع) من الأسيرات اللواتي خضن إضرابات ذاتية. جرت المقابلة في مركز بيت المقدس للآداب. رام الله. 2018م.

[336]علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 41.

[337]المصدر السابق. ص 41 .

[338]انظر في: عائشة عودة. أحلام بالحرية. مصدر سبق ذكره، وأيضاً عائشة عودة. ثمناً للشمس.مصدر سبق ذكره.

أغلبها أياماً، ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ الإضرابات الذاتية تفرض قضايا كثيفة متعددة؛ لما تحمله من خصوصية في الكشف عن تفاصيل المواجهة الذاتية، ولكن، ستكتفي الدارسة هنا، بتناول علاقة الأسير الفاعل مع الجماعة في إطار هذه التجربة، ومنهج الرفض في تقرير مصير المواجهة، بما تسهم فيه هذه الفاعلية في محاولة السيادة وتقرير المصير، وممارستهما.

لقد فرض إضراب خضر عدنان سقفاً مطلبياً عالياً هو الحرية، عجزت عن فرضه الإضرابات الجماعية؛ لأسباب موضوعية، تتصل في رأي الدارسة بأهداف الإضراب، وقراءة الأسرى واقعية المصير المطلوب من المواجهة؛ فالإضرابات الجماعية كانت محكومة بمطالب حياتية لتحسين ظروف الحياة الاعتقالية، ولكن، هذا لا يعني أنَّ الإضرابات الجماعية لم تحمل هدفاً سوى هذه المطالب؛ لأنَّ الأهم في باطن قرار المواجهة بالإضراب هو حماية الوجود أولاً، يقول خضر عدنان: *"إن كرامتي أغلى من الطعام والشراب، وحريتي أثمن، وجوعي حق لي"*،[339] وهكذا، فقد بات واضحاً أنَّ تجربته بمثابة داعم أساسي في بلورة فكرة الإضرابات الذاتية، وتدحرجها نحو أسرى آخرين، وبخاصة أسرى حركة الجهاد الإسلامي؛ ففي تلك المرحلة شرعت مجموعة من الأسرى في إضرابات متتالية ضد سياسة الاعتقال الإداري، منهم ثائر حلاحلة،[340] وبلال ذياب،[341]وهناء الشلبي،[342] وآخرون؛ ليصل عدد الأسرى المضربين ذاتياً حتى 5 نيسان/ أبريل 2012م إلى نحو (12) أسيراً، كان إضراب أغلبهم ضد الاعتقال الإداري.[343] وقد عملت تلك

---

[339]أرشيف إضراب خضر عدنان. نادي الأسير الفلسطيني. 2012م.

[340]علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 42 .

[341]المصدر السابق. ص 42 .

[342]المصدر السابق. ص 41 .

[343]تقرير صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 5 من نيسان 2012. ودراسة خاصة من مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. 2017م. الاعتقال الإداري: أحد أبرز القوانين التي ورثتها سلطات الاستعمار الصهيوني عن الاستعمار البريطاني، وهو إجراء تلجأ إليه مخابرات الاحتلال حين لا تتمكّن من جمع معطيات واضحة وبيّنات كافية، لإدانة المعتقل بعد تقديم لائحة اتهام بحقّه؛ فتقوم باعتقاله بذريعة الحفاظ على أمن وسلامة الجمهور، معتمدة على ما يسمّى (الملف السرّي)، الذي لا تسمح للمعتقل ومحاميه بالاطّلاع عليه، ووفق الأوامر العسكرية للاحتلال، الصّادرة عما يسمّى (القائد العسكري للمنطقة)، يمكن تجديد أمر الاعتقال الإداري مرات غير محدودة، وتحدد فترة أمر الاعتقال الإداري فترة أقصاها ستة أشهر قابلة للتجديد، هذا هو التعريف الذي فرضه الاستعمار عن الاعتقال

الذوات الفاعلة إلى دفع عشرات الأسرى إلى الدخول في إضرابات إسنادية، كان من بينهم أسرى محكومين بأحكام تصل إلى 15 عاماً وأكثر، وبذلك شكَّلت الإضرابات الذاتية دفعة جديدة لاستعادة المواجهة بالإضراب عن الطعام،[344] يقول (خ.ع) عن دوافع إضرابه: *"إن مسألة الاعتقال الإداري، ليست الدافع الأول الوحيد الذي جعل معركة الإضراب قرار حتمي بالنسبة لي، أولاً، اعتقالي المتكرر، وهمجية الاعتقال الذي جرى بحقي، والاعتداء على عائلتي، واستخدام أحد أبناء قريتي درع بشري، خلال عملية اعتقالي عام 2011م، والتعذيب الذي تعرضت له، حيث أدموا جسدي ووجهي في بداية اعتقالي، وبدأوا يستخدموا ألفاظ بذيئة مع صراخ، وكل ذلك، قبل التحقيق الذي واجهته بالصمت المطبق."* [345]

الذات في مواجهة الجماعة

كان الشغل الشاغل الأساس لقيادات الحركة الأسيرة، منذ أواخر الستينيات، ترتيب الأوضاع الداخلية للأسرى، وتشكيل جسد جماعي قوي في مواجهة بنية السجن،[346] التي عملت عليها التنظيمات آنذاك، عبر فرض ضوابط متعددة، حكمت علاقة الأسير (الذات) بالجماعة، وأفراد التنظيمات الأخرى، وكذلك إدارة العلاقة مع السّجّان، كما امتدت هذه الضوابط؛ لتشمل جوانب أخرى، وصولاً إلى حد فرض قيود على التحرك في المجال الاجتماعي، بعد أن أصبح الهاجس الأمني أكثر الجوانب التي أخذت حيزاً من القيود والضوابط، التي حاولت الجماعة

الإداري، الذي ينظر إليه الأسير الفلسطيني من منظور آخر، ويصفه بأوصاف مختلفة، ذات أبعاد ودلالات متعددة، ستظهر لاحقاً، عبر مواجهته بالإضراب عن الطعام؛ لتفرض المواجهة رواية أخرى لمفهوم الاعتقال الإداري.

[344] أرشيف نادي الأسير الفلسطيني. 2012م.

[345] مقابلة مع (خ.ع). جرت عبر الهاتف. 2019م.

[346] انظر في: حافظ أبو عباية. الشمس منتصف الليل. مصدر سبق ذكره.

فرضها، عبر لائحتها؛ إذ نُظمت لوائح خاصة بكل تنظيم على حدة، منها ما يرتبط بالمواجهة، بما فيها الإضراب عن الطعام.[347]

"الانتصار ليس محكوماً بالجماعة، أي شيء فردي هو في خدمة الجماعة، وأي جماعي هو في خدمة الفرد، فش هاد الفصل، أنه لازم يكون جماعي، حتى الجماعي ببدأ برأي فردي"،[348] تُعَدُّ قضية الجماعة والذات من أهم القضايا التي تشغل العلوم الإنسانية والاجتماعية بمجملها؛ إذ تلقي بثقلها على المجتمعات أينما تحلّ، وهذا ما كان من واقع الحركة الوطنية الأسيرة، التي تشكّلِ إلى جانب التنظيمات الأخرى مجتمعاً، يستمد خصوصيته من كونه في بنية سجن استعماري صهيوني استيطاني؛[349] ففي هذا المجتمع، شكّلت قضية الجماعة والذات محوراً مهماً في فهم مجموعة من القضايا، التي فرضتها بنية السجون الاستعمارية الصهيونية، ومنها أدوات العنف الاستعمارية، وأثرها على الذوات، ومحاولتها الدائمة سلبها وإفراغها من محتواها النضالي والثوري، كيف لا، وقد سعت جاهدة نحو العمل على تعزيز الحالة (الفردانية)، وتفكيك المحاولة الجماعية التي ناضل الأسرى من أجل تشكُّلها؟[350]

ووصولاً إلى مرحلة ما بعد أوسلو، على وجه الخصوص، يجد المتلقي أثراً بالغاً لها على مصير المواجهة وواقع الحركة الأسيرة، امتد إلى ما تلاها من سنوات، كيف لا، وقد شهدت تحولات هائلة وانقلابات على واقع المواجهة، وتراجعاً وسقوطاً لجسد الحركة الأسيرة؟ ما جعل الأسير يبلور دافعاً أساسياً، وقناعة قوية في توجهه نحو خوض معركته وتقرير مصيره، في مواجهة منظومة استعمارية كاملة داخل بنية السّجن، وبخاصة في ظلّ الصراعات القائمة بين الأسرى وتنظيماتهم، التي حثَّهم على التفكير في الخلاص الذاتي أكثر من أي وقت مضى، وبخاصة مع تراجع دور التنظيمات التعبوي الثوري، ولا يخفى على أحد ما خلَّفه إضراب عام 2004م من نتائج قاسية، تحولت فيه تجربة الإضراب عن

---

[347] إياد الرياحي. مصدر سبق ذكره. ص 17- 18.

[348] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[349] انظر في: نهاية أبو ريان. 2014م. مصدر سبق ذكره.

[350] انظر في : منقذ أبو عطوان. 2007م. مصدر سبق ذكره.

الطعام إلى (فوبيا) في نظر الأسرى؛[351]ففيه تمكَّنت إدارة السجون الصهيونية من اختراق البنيات التنظيمية للفصائل، واستغلال حالة الإحباط والغضب التي سادت صفوف الأسرى،[352] وهز ثقة الأسير بجماعته وقيادته.

ولعلَّ هذا الواقع يفرض تركيبة تبدو أكثر تعقيداً، فيما يتصل بالعلاقة بين الذات والجماعة في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، والسبب الرئيس إنما هو بنية العنف، وما تفرضه من جملة من التناقضات المكثفة؛ فالعنف يضع الذات في تساؤلات ضخمة ومعقدة حيال قدرة الجماعة على فرض قوة ومواجهة حمايةً لوجودها، وكذلك الجماعة؛ فإنها تفرض أسئلة على مجموع الذوات وقدرتهم على الانتماء والانضباط بأحكام الجماعة، وحماية وجودها المرهون ببقاء المواجهة مع السّجّان عبر الذوات.

وعلى الرغم من أنَّ المواجهة الذاتية لا تقتصر على تجربة الإضراب عن الطعام، إلا أنها في واقع الأمر، تبدأ منذ اللحظة الأولى للاعتقال، مروراً بالتحقيق، ووصولاً إلى التحاق الأسير بالركب الجماعي للمواجهة في السجن، وهكذا، فإنَّ المواجهة الذاتية تُشكِّل مساراً مهماً لمحاولة قراءة مستوى المواجهة الجماعية وقوتها؛ فقوة الذات من قوة الجماعة، والعكس صحيح، ولكن، ومع ذلك كله، فإنَّ أنواع المواجهة الأخرى، كمواجهة لحظة الاعتقال، أو التحقيق، لم تُدرَج في إطار الجدل الدائر حول المواجهة الذاتية، بينما يقف الإضراب عن الطعام؛ بوصفه مواجهة ذاتية، ليثير الجدل، وبخاصة فيما يتصل بمدى جدوى هذه التجربة، وأهميتها، ووقعها على المجموع، وهذا ما يغيب أحياناً عن الإضرابات الجماعية، ولعلَّ تفسير الأمر مرتبط بتشكُّل هذه المواجهة بالجماعة، واليقين بالإضراب الجماعي وأثره المهم والحاسم في مصير الأسرى داخل السجون، والأهم من ذلك كله، أنَّ أنواع المواجهة الأخرى، لا خيار فيها سوى المواجهة الذاتية.

---

[351]مقابلة مع (خ.ع). مصدر سبق ذكره.

[352]انظر في: وليد دقة. 2010. مصدر سبق ذكره.

وهكذا، فإنه في الوقت الذي تراجعت فيه الجماعة عن دورها في المواجهة، نما إصرار بعض الأسرى على استعادة المواجهة وفرضها ذاتيا، إلى جانب شكل آخر من تنامي الحالة الفردانية داخل بنية السجن، نشأ عن تراجع الجماعة، وتوغل منظومة رأس المال بطرق أخرى بعيدة عن مبدأ المواجهة، مؤثرة بصورة كبيرة على نوع العلاقة الثنائية بين السجان والأسير؛ فالعلاقة التي تحكمها المواجهة سابقاً، أصبحت محكومة بمجموعة من المصالح مع إدارة السجون، متخذة بذلك منحى آخر، أسقطت عبره كثيراً من المحرمات التي فرضتها البنيات التنظيمية في السجون على مدار عقود، وبخاصة في العلاقة مع السّجّان،[353] وهذا ما سيظهر لاحقاً من خلال تجربة إضراب عام 2017. يقول (خ.ع): *"اعتقالي المتكرر أشبه بالزلزال، الذي يسلب الإنسان حريته وكرامته، وما كان من طريق للخلاص، إلا بالإضراب عن الطعام في كل مرة، فلا خيار آخر إلا المواجهة، مع ضعف الجماعة."*[354]

قرار الإضراب الذاتي وتجاوز القرار الجماعي

"كنت بشعر أنه أصعب قرار أنا أخذته، فهو قرار بالنيابة عن الجميع، مش مثل الإضرابات الثانية."[355]

"القرار الفردي بجوز يكون أسهل، أنت بتكون عارفة شو بدك إياه، وحاطة هدف قديش تكملي، يعني أنا مضربة مثلا، عشان العزل، فأنا بفك لما أطلع من العزل." [356]

تكشف هاتان الروايتان توجهين في الحديث عن قرار الإضراب الذاتي من خلال الرواية؛ أحدهما ينظر إليه على انه أكثر صعوبة؛ لمواجهته قرار الجماعة، وأمّا التوجه الآخر؛ فيُشير إلى أنَّ قرار الإضراب الذاتي أكثر سهولة، ولكن، وفي كلتا الحالتين، تبقى عملية فصل القرار الذاتي عن القرار الجماعي أمراً في غاية التعقيد، وهذا ما أثبتته أغلب

[353] انظر في: المصدر السابق.

[354] مقابلة مع (خ.ع) مصدر سبق ذكره.

[355] مقابلة مع (ب.ك). مصدر سبق ذكره.

[356] مقابلة مع (ع.ع). مصدر سبق ذكره.

التجارب التي استحضرها هذا البحث، مما يتصل أساساً بنوع التنظيم الذي ينتمي إليه الأسير، وموقفه من قضية الإضرابات الذاتية.

وعلى الرغم من أنَّ مرحلة التعبئة في الإضراب الذاتي مختلفة عن الإضراب الجماعي، من حيث مستوى الجهد المطلوب، والفترة الزمنية، إلا أنها تمثِّل مرحلة مهمة وحاسمة في نوعي الإضراب، على حدّ سواء؛ فإذا كانت التعبئة ضرورة لازمة في تجربة الإضراب الجماعي؛ للتحشيد من أجل المواجهة، فإنها تتطلب جهداً مضاعفاً في الإضراب الذاتي؛ لثقل مثل هذا القرار؛ فالأسير يواجه السّجّان وحيداً، في حقيقة الأمر، كما يواجه بنية التنظيم وتوجهاته، كيف لا، والأسير المضرب ذاتياً، غالباً ما يتعرض لحرب من التنظيم؟.

"إن مجرد الإعلان عن خطوة الإضراب هي انتصار، ولكنْ، لتحقيق الانتصار لا بدَّ من نقاش العوامل والظروف والنتائج لخوض هذا الإضراب، ليس كافياً أن تعلن الإضراب؛ لأنَّه في بعض الأحيان تُستَغلُّ النتائج السلبيَّة في عدم الحصول على أيَّة مكاسب؛ لمحاولة كسر إضرابات أخرى، أو تعميم ثقافة جديدة داخل السجون.[357]"

وهكذا، فإنَّه من الصعوبة بمكان، قراءة قرار الإضراب الذاتي، بعيداً عن قرار الجماعة وتوجهاتها والثقافة الجماعية وقدسيتها في بعض التنظيمات؛ فأغلب الأسرى ممن خاضوا الإضرابات الذاتية، يؤكدون أنَّ الجماعة محور أساسي في قبول القرار أو رفضه، والأهم دعمه أو الوقوف في وجهه، وهذا ما يكشفه محور الصراعات، التي يعيشها الأسير في اتخاذ قرار الإضراب، يقول *(ب.ك): "فكرة الجماعة في تربيتنا وثقافتنا، أو التنظيم الجماعي والعمل الجماعي، يعني كل شيء جماعي، وأنا في إضرابي هون فرد، والجماعة مغيبة في موضوع نقاشي، لكن، حاولت أبني جسور مع الجماعة، سواء التنظيم أو الأسرى داخل السجون."* [358]

---

[357] بلال كايد. من محاضرة الإضراب أيقونة النضال. مقال. موقع اتّجاه، نقلا عن: https://itijah.ps/?p=480.

[358] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

يصف (ب.ك) الصراع بين ما فرضته الثقافة الوطنية والتنظيمية حيال فكرة الجماعة، وما فرضته واقع المرحلة على الأسير، في خياره وإجباره على خوض معركة ذاتية، مشيراً إلى عدم القدرة في بعض التنظيمات على تجاوز الجماعة، ولعلَّ هذا المعنى ماثل في حديثه عن مد جسور مع الجماعة.

ومما لا شك فيه، أنَّ قرار الإضراب الذاتي، قد فاقم الصراع بين الأسرى والجماعة؛ ما يفسِّر رفض بعض الأسرى هذا النوع من الإضراب، وبخاصة ممن كانوا جزءاً من قيادات التنظيمات، يقول (س.ب): *"أنا ضد قرار الإضراب الفردي، أولاً: نضالنا جماعي؛ فقضيتنا قضية جماعية، فلما إنت تروح على الإضراب الفردي، هون يستنزف قوتنا، يستنزف الناس، وهذا الأمر في النضال ما بزبط."*[359]

ولم يتوقف الجدال والتساؤل حول ماهيَّة العلاقة بين الذاتي والجماعي، بل أفضى إلى كثافة عالية من التناقض الذي خلّف جملة من المعاني، بما فيها من تحول في واقع المواجهة، يقول (ب.ك): *"أنا لما بضرب، بفرض رأيي على الجماعة، طيب، الجماعة كانت كمان تفرض رأيها عليّ، هذا التناقض والتساؤل دائما حاضر عنا،*[360] وهكذا، فإنَّ ما يطرحه (ب.ك) مجدداً، ما هو إلا تكرار للجدلية الكبيرة داخل بنية السّجن من تناقضات وتساؤلات، تؤكد مرة اخرى واحدة من أهم النتائج الراهنة، التي تتمثَّل في إعادة تعريف العنف؛ فقد وصلت التناقضات إلى حد الصعوبة البالغة في تفسيرها أو رؤيتها ، تماماً كما تحدث وليد دقة العنف في السجن، واصفاً إياه بأنه عنف غير مرئي،[361]وكذلك الأمر فيما يتصل بحجم التناقضات، فما هي إلا نتاج هذا العنف.

يقول (ب.ك): "*بدأت أقتنع أكثر فأكثر، أنه كمان الفرد ممكن يحقق شيء للجماعة، وأنه يغني الجماعة، وصرت مقتنع أنه الجماعة إلها شروط أكثر تعقيد من شروط الفرد؛ كالتفكيك، خصوصاً في حالتي بإضرابين أنه*

---

[359]مقابلة مع (س.ب) مصدر سبق ذكره.

[360]مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[361]وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره.

محاولات تفكيك كل أبجديات التساؤلات الجماعة أمام إضرابي الفردي"، [362]وبكلمات أخرى، فإنَّ الجماعة تشكِّل سنداً للإضراب الذاتي في كثير من الحالات، وهذا ما يسميه الأسرى الإضرابات الإسنادية أو التضامنية، التي شكَّلت تساؤلاً عن دور الجماعة في دعم المواجهة الذاتية، وتمتَّعت بحضور في أغلب الإضرابات الذاتية، وبخاصة تلك خاضها أسرى كل من الجبهة الشعبية، والجهاد الإسلامي، كيف لا، وهما التنظيمان اللذان فرضا معنىً جديداً للإضراب الذاتي وعلاقته مع الجماعة، في ظلّ انخراط عشرات الأسرى مساندين؟

وقد شكَّل إضراب خضر عدنان ومجموعة من رفاقه محطة مهمة لقراءة هذا المشهد، وكذلك إضراب الأسير بلال كايد،[363] الذي واجه الاعتقال الإداري في لحظة الحرية، التي انتظرها بعد 14 عاماً ونصف العام من الاعتقال، فقد انخرط رفاقه من الجبهة الشعبية في إضراب إسنادي، شارك فيه الأمين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات؛[364] ما فرض تحولاً مهماً في مشهد العلاقة، وطرح تساؤلاً: كيف تمكّن الأسير بذاته من سحب الجماعة نحو مربع المواجهة من جديد؟

"أنا أرفض التشكيك بالإضرابات الفردية، فلا يوجد شيء اسمه إضراب فردي تماماً؛ فالنضال الفردي هو إضراب يتخذه الأسير في ظل عدم قدرة الحالة الجماعية أن توفر له شروط النضال الجماعي، والنضال الفردي يصب في مصلحة النضال الجماعي، فإضرابات فردية متتالية بنجاحات، تعطي دافعاً للإضراب الجماعي." [365]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ الجماعة طرف مهم وحاسم في بلورة الخلاص للأسير في كل نتاج للإضراب الذاتي، ، وهذا ما حصل مع عدد كبير من الأسرى ممن خاضوا هذا النوع، يقول (ب.ك): *"في آخر أيام في الإضراب،*

---

[362]مقابلة مع (ب. ك) مصدر سبق ذكره.

[363]الأسير بلال كايد: أحد أسرى الجبهة الشعبية، وهو من جيل انتفاضة الأقصى، قضى في سجون الاستعمار الصهيوني 14 عاماً ونصف العام، وقبل الإفراج عنه بيوم جرى تحويله إلى الاعتقال الإداري، وقد خاض إضراباً عن الطعام، تحول فيما بعد إلى إضراب بقيادة الجبهة الشعبية.

[364]مقابلة مع (س.ب) مصدر سبق ذكره.

[365]بلال كايد. من محاضرة الإضراب أيقونة النضال. مصدر سبق ذكره.

جاءت محاميتي، وأبلغتني: أن رفاقك توصلوا إلى هذا الاتفاق، ويطلبوا منك أن توقف الإضراب؛ خوفاً على مصيرك، وأوقفت الإضراب بعد اتفاق بتدخل من الرفاق"؛ ما يؤكد مجددا صعوبة الفصل بين الذاتي والجماعي في بنية السجن، واستحالته أحياناً، فمن يفرض المواجهة حقيقة هو من يعطي المعنى للوجود، غير أنَّ طبيعة بنية السجن تفرض شروطها؛ فمن يمتلك القدرة على المواجهة هو الأقوى وله السيادة، وهو من يتحكم بمصير المواجهة ومسارها، لا فرق في ذلك بين الجماعة والذات؛ فالجماعة تفرض المواجهة حينما تمتلك قرارها، وأما الذات؛ فتفرض ضرورة المواجهة في ظل غياب الجماعة، وهذا ما يشير إليه (ب.ك): *"أولويات الجماعة والفرد يمكن تكون متقاطعة، ومرات بتكون في تكامل بأدوات النضال؛ لأنه العدو مرات بفرض عليّ المواجهة كفرد، وأنا مطلوب مني أقف وأواجه، وبصير الرد ضروري عشان إنسانيتك."* [366]

وقد شكَّلت الجماعة محوراً آخر للمواجهة، ورفضت الإضرابات الذاتية، كما في موقف حركة حماس من الإضراب الذاتي، الذي بدا واضحاً ومتمثِّلاً في الرفض، تمثّل برفضه، وهذا ما حدث مع أسرى محسوبين على حركة حماس، حين نقل أحدهم ما حدث معه: "رفع الأسرى شعار لمواجهة إضرابي: (*نريدك حياً، ولا نريدك شهيداً"؛من أجل دفعي لتعليق الإضراب، وكان منبع هذه الشعار وما في باطنه هو القناعة العقائدية بأن الإضراب يقود إلى التهلكة، وبمقابل هذا الشعار، رد الأسير بمواجهته: (إذا ديني لم يقف مع إنسانيتي، فليس لي دين)."* [367]

وهكذا، فقد فرضت رواية الأسرى عن الإضراب بُعْدَين أساسيين في المواجهة، أمّا الأول؛ فيمكن قراءته عبر المواجهة الجماعية في الإضراب عن الطعام، وأهم ما فيها أدواتها، التي تحولت عبر تراكم التجربة إلى منهاج أقرب ما يكون قانوناً وناظماً أساسياً لمعركة الإضراب، وفيها يركِّز الأسرى على اللغة التنظيمية، بما تحويه من أبعاد على المستوى الجماعي، وما يتخللها من صراعات مع إدارات السجون الصهيونية، وهي في حقيقتها كثيفة ومهمة لقراءة زوايا التجربة

[366] مقابلة مع (ب.ك). مصدر سبق ذكره.

[367] مقابلة مع (م.ق). مصدر سبق ذكره.

بأبعادها وقوتها، وقدرة الأسرى على إدارة المعركة ومصيرها؛ ما جعل مجمل أدبيات الأسرى تركّز عليها. وأمّا البُعْد الثاني (الذاتي) في الرواية؛ فقد فرض كثافة عالية في وصف المواجهة بين الأسير والسّجّان، التي تبقى متجذرة من التجربة الجماعية، مهما بلغ الإصرار على وصفها بالذاتية.

يقول (م.ق): *"قبل قرار الإضراب، كان داخلي غضب ذاتي كبير، وكان في عوامل دفعتني للقرار، أولها: أني دخلت السجن، وكانت المواجهة في الخارج قوية؛ ففي لحظة اعتقالي، كان صوت المواجهات في الشوارع، وما زاد من غضبي، التحقيق، وسماعي لأصوات فتيات في التحقيق، فما كان عندي خيار إلا الإضراب، وقلت للمحقق: أنا عندي قرار ثالث غير الاعتراف والإداري، وهو الإضراب.*[368]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ العنف، كما في أشكال المواجهة كلها في السّجن، يبقى المحرك الأساسي لفرضها بين الأسير والسّجّان، كيف لا، وهو المتحكم في مسار المواجهة ومصيرها، إلى جانب إرادة الأسير وصموده؟ لا فرق في ذلك بين النوعين: الجماعية والذاتية؛ فالإضراب عن الطعام، مهما كان نوعه، ينطلق من القرار، الذي يُعَدُّ أهم أدوات المواجهة فعلياً، إذ يجد الأسير نفسه في موقف يتساءل فيه عن قدرته على اتخاذ قرار، وفرضه ذاتياً في هذه الحالة، بل إنه جوهر المعنى الأساسي لمحاولة السيادة وتقرير المصير، وممارستهما، ويتناسب اتساع المعنى طردياً مع ما يبتكره الأسير من أدوات خاصة، تأتي امتداداً لما أقرّته المواجهة الجماعية، غير أنها في حالة الإضراب أكثر ثقلاً على الأسير؛ كيف لا، وهو قائد معركته؟ بل إنه المتحكم الوحيد في مصيره، دون إغفال جملة من العوامل، ومنها الجماعة، وفيما يتصل بأدوات المواجهة في رواية الإضراب الذاتي؛ فإنه يمكن تقسيمها إلى محورين: الأول؛ يشمل أدوات إدارة الأسير جملة من الصراعات الذاتية الذاتية، والذاتية الجماعية، وأمّا الآخر؛ فيتمثل في أدوات المواجهة ضد السّجّان، وفي مقدمتها منهج الرفض، الذي تكتفي الدارسة بتناوله هنا.

---

368 مقابلة مع (م.ق). مصدر سبق ذكره.

منهج الرفض في مسار الإضراب الذاتي

تتشابه أدوات العنف في تجربة الإضراب الجماعي والذاتي، غير أنَّ إمكاناتها المادية للسّجّان تكون أكثر ثقلاً في مواجهة إرادة جماعية؛ إذ تضطر إدارة السجون الصهيونية إلى جلب مزيد من السّجّانين والإمكانات المادية؛ لتنفيذ عنفها؛ ما يجعل العنف أكثر تكلفة في الحالة الجماعية، أمّا في الإضراب الذاتي؛ فيمكن تنفيذ العنف فيه بوتيرة أعلى وتكلفة أقل، لكنَّ وجود منظومة تمتلك إمكانات مادية عالية، قياساً إلى إمكانات إنسان مجرد من أية أدوات مادية، عدا جسده وإرادته، يضع تلك المواجهة موضع تساؤل كبير.

وعلى الرَّغم من تطور هذه الإمكانات، وقوتها، وعنفها، إلا أنهالم تتمكن من منع تجربة الإضراب أو كسرها، بل على العكس، تصبح محفزاً ودافعاً نحو الاستمرار في المواجهة، كما في تجربة الإضراب الذاتي؛ إذ تدفع الأسير المجرد الأعزل إلى خلق أدوات جديدة، ولعلَّ أبرزها سياسة الرفض، وعدم االخضوع للسّجّان، التي تنقسم في ثلاثة أنواع مركزية في مسار المعركة الذاتية، هي: المدعمات، والماء، والفحص الطبي.

يقول (ب.ك): *"فترة وجودي في المستشفى كانت الأصعب، خاصة أنه أنا كنت رافض ياخدوا تحليل مني، وكانوا يضطروا ياخدوا التحليل من دورة المياه، المهم، مش أنا أعطيهم، وكانوا ناصبين جهاز يطلع صوت، وكان على الضابط يجي يدخل رقم سري كل فترة، وإذا بتأخر، يطلع صوت عالي جداً، وهاد أكثر شيء أزعجني، وصار يفقدني أعصابي أثناء الإضراب"*. [369]

ولعلَّ هذه الرواية عن أدوات العنف المستخدمة في المستشفيات، بعد نقل الأسرى المضربين ذاتياً من الزنازين إليها، يفتح الباب على مصراعيه أمام قضية العنف الحداثوي مجدداً، وفي مقدمتها الأجهزة والتقنيات الحديثة، التي أشار

[369] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

إليها (ب.ك)، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد ليشمل أدوات العنف الحديثة كلها في السجن، لكنَّ ذلك كله لا يجعل الأسير غير قادر على ابتكار أدوات يواجه بها السَّجّان، فها هو يخلقها ويفرض فاعلية ضد العنف الواقع عليه، عبر وقفه الماء، ورفضه تناول المدعمات، محولاً إياها إلى أداة تكتيكية في مسار الإضراب، يقول (خ.ع): *"أهم منهج في الإضراب هو معارضة السّجّان في كل شيء، ورفض كل شيء، وطرح التساؤل، وما وراء كل شيء يريده، خلال الإضراب، رفضت قياس دقات القلب، رفضت أي نوع فحص، وابتكروا ما عرفت بلجنة (الأخلاق)؛ لإقناعي بفك إضرابي.*[370]

تؤكد هذه الرواية منهج الرفض، الذي شكَّل مساراً مهماً في المواجهة داخل السّجن، غير أنَّ الإضراب عن الطعام يمتلك خصوصية في أدواته؛ لأنها مرتبطة بجسده، وضعفه؛ ما جعل هذا الضعف يتحول إلى مدرسة تبتكر أدواتها الخاصة في المواجهة، فكان كل أسير ومخططه في المعركة، وبخاصة أنَّ طبيعة مسار المعركة تفرض مسار التحكم بالأدوات، ومع ذلك، فإنَّ جزءاً من الأسرى، الذين خاضوا الإضراب الذاتي، كان الرفض لديهم عقيدة، وليس منهاجاً فحسب، وبخاصة فيما يتصل المدعمات، التي من شأنها إطالة زمن الإضراب، وضرب مصيره وهدفه، إلا إذا كان استخدامها تكتيكاً داخل المعركة؛ لتحقيق مكاسب معينة، كتغيير ظروف احتجاز بعض الأسرى، أو السماح للمحامي بزيارتهم ، أو وسيلة ضغط على السّجّان، والأمر نفسه يمكن أن يُقال عن وقف شرب الماء، والامتناع عن إجراء الفحوص الطبية.

ولا تقلّ المعارك الصغيرة، التي فرضها الأسير من واقع ابتكاره أدواته الخاصة داخل الإضراب أهمية عن قرار المواجهة، وبخاصة أنها أضافت كثيراً إلى تلك التجربة تراكمياً، فقد أضاف كل أسير جديداً إلى إدارة المعركة، ويتناسب

[370] مقابلة مع (خ.ع). مصدر سبق ذكره.

طردياً مع الجدَّة في أدوات السَّجّان؛ فكلما حاول الأخير فرض أدوات جديدة للمواجهة والعنف؛ فاجأه الأسير بمزيد من الأدوات المبتكرة.

وهكذا، فإنَّ كل تجربة إضراب تتمتع بخصوصية في مسارها ومصيرها، وبخاصة في تجارب الإضراب الذاتية، التي يتحكم في مصيرها ونتيجتها عدد من العوامل، منها: وعي الأسير بالمواجهة، وطريقة إدارة المعركة التي ترتكز على مجموعة من العوامل، سبق للدارسة أن تناولتها، ومن أبرزها أدوات الأسير المضرب، وكيفية استخدامها في كل مرحلة من مراحل الإضراب، وبخاصة فيما يتصل بإدارته منهج الرفض، كما في رفضه أخذ المدعمات، وإجراء الفحص الطبي، أو أخذ قرار بالتوقف عن الماء، وهذه جميعاً، عوامل داخلية يمكن أن يتحكم فيها الأسير؛ فهو صاحب السيادة والمسيطر الأول عليها، والأهم من ذلك كله هو دعم الجماعة للإضراب.

ويمكن قراءة الانتصار في الإضراب الذاتي في إطار معانٍ مختلفة، عبر رواية الأسرى؛ فالحكم عليه عما إذا كان انتصاراً أم لا، لا يخضع لمدى تحقيق الهدف، الذي خاض من أجله الأسرى إضراباً ذاتياً أو جماعياً؛ فالمواجهة بطبيعتها في بنية السجن، لا تحقق ربحاً كاملاً في المعركة، ولا خسارة كاملة؛ ما يفرض محاولة إعادة تعريف الانتصار، يقول (ب.ك): *"أنا شعرت بالانتصار، لما حكيت مع أهلي، ومع إمي بعد الاتفاق إللي تم بحضور المحامين"*،[371] بينما يرى (م.ق): *"في غرفة 362 مر فيها ضباط الاستخبارات والمخابرات، ووزراء، ومتضامين، ومساندين، ومشايخ، ومرت الأيام، وجلست في هذه الغرفة عائلتي، فالقوة والإرادة والصبر، يقودك للإنجاز وتحقيق الهدف.*[372]"

[371] مقابلة مع (ب.ك) مصدر سبق ذكره.

[372] مقابلة مع (م.ق) مصدر سبق ذكره.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ جزءاً أساسياً من تحقيق الهدف، الذي كان يسعى إليه الأسرى، وبخاصة الإداريون منهم، يتمثَّل في نيل الحرية، التي يمكن قراءتها في قضية الاعتقال الإداري، بتحديد موعد وزمان له، وهذا ما حصل مع أغلبهم؛ ترجمةً لنجاح الإضراب وتحقيق الانتصار، بينما لم يتمكن آخرون من تحقيق الحرية الفورية.

وهكذا، فإنَّ هذه الإضرابات، قد فرضت أبعاداً أخرى لمعنى الانتصار، وبخاصة على صعيد بقاء المواجهة والقدرة عليها، في ظل حالة الترهل التي تعيشها الحركة الأسيرة، وفق ما ورد في روايات الأسرى، ممن خاضوا الإضراب الذاتي، وبكلمات أخرى، فإنَّ التعمق في تجربة كل أسير على حدة، تؤكد أنَّ الانتصار بأبعاده، لا يتمثل في لحظة تحقيق الهدف فحسب، بل إنه قد سلَّح التجربة والأسرى بأدوات جديدة، مكَّنتهم من قراءة أدوات السّجّان؛ فبقاء المواجهة في ظل تطور ا أدوات السّجّان، يعني قدرة الأسير على تطوير أدواته، المفروضة بتراكم التجربة.

ومع التعمق أكثر في المراحل التي تبدأ فيها عملية المفاوضات، سيكشف حديث الأسرى الانتصار الأولي، الذي يتمثَّل في لحظة بدء المفاوضات مع السّجّان، والأمر نفسه يندرج على كثير من التفاصيل في المواجهة، وعلى الرغم من كونها انتصارات صغيرة ومرحلية، إلا أنها تعني كثيراً للأسير وللسّجّان، على حد سواء، يقول (س.ب): *"صعدنا بالتوقف عن أخذ المدعمات، وهددنا بالتوقف عن شرب الماء؛ من أجل السماح للمحامين بزيارتنا، وفعلياً، قدرنا إنه نفرض مطلبنا"*؛[373] فقدرة الأسير على فرض مطلبه في قضايا معينة أثناء الإضراب، تعني نوعاً من التحكم في مسار المعركة؛ ما يفرض تساؤلاً عن المسيطر عليها، والمتحكم بها في بنية السجن؛ إذ كلما كانت هناك قدرة على خلق سيطرة وتحكم بمستوى معين في بنية السجن؛ كان هناك تعاظم في قراءة معنى الانتصار وتقييمه.

وهكذا، فإنَّ الانتصار يعني جملة من الانتصارات الصغيرة، التي تطلق تنبيهاً طيلة المعركة، لا لشيء سوى تحديد هوية المسيطر والمتحكم بزمامها، المتمثِّل في الأسير، الذي يستمر في المواجهة، متوجاً إياها بتحقيق الهدف

[373] مقابلة مع (س.ب) مصدر سبق ذكره.

والانتصار، تقول (ع.ع) عن تجربتها في الإضراب عن الطعام: *"إن تجربتها مكنت 130 أسيراً إدارياً من التحرر، بعد إضرابها، وهذا بعد موجة كبيرة فرضها الإضراب على عدة مستويات، وهذا كان كافي لقراءة أثر الفرد وقراره في التجربة."* [374]

الخلاصة

"ألا يكفي أن يجتمع الشعب، ويخرج العالم كله من أجل المضربين، أليس هذا إجماع شعبي؟ [375]"

فرضت الجدلية بين الذاتي والجماعي في تجربة الإضراب عن الطعام، أبعاداً على هيئة تساؤلات كثيفة ومتداخلة، انطلقت من تراجع الجماعة وغياب دور التنظيمات في تقرير مصير أسراها، ولهذا الغياب والتراجع أسباب مركبة ومعقدة، لا تتصل ببنية السجون الصهيونية الاستعمارية فحسب، بل ترتبط ببنية المعازل، التي فرضها الاستعمار الصهيوني الاستيطاني على الأرض الفلسطينية، ولعل أحد تلك الأسباب هو القرار السياسي الفلسطيني في مرحلة ما، الذي انعكس على الأسرى داخل بنية السجن، من جهة، وكشف عن طبيعة علاقة أكثر تعقيداً وكثافة في التناقضات، من جهة أخرى؛ فالإضراب الذاتي هزة ارتدادية للزلزال، الذي هزّ جسد الأسرى في ظل غياب مواجهتهم الجماعية، واضعاً بذلك الجماعة ودورها في إطار تساؤل كبير، وبخاصة أنّها ركن أساسي في الثقافة الثورية والوطنية.

وعلى الرغم من كل الجدل المثار حول جدوى الإضراب الذاتي، إلا أنه يظل مهماً، وتكمن أهميته في الغياب، وتبقى أهميته من بقاء المحاولة، كيف لا، والمحاولة والاستمرارية التي فرضتها الذات، هي واحدة من أهم الأدوات التي يمكن قراءتها عبر تجربة الإضراب الجمعي والذاتي في بنية السجن الصهيوني الاستيطاني، على حد سواء؟ فالمواجهة

[374] مقابلة مع (ع.ع) مصدر سبق ذكره.

[375] مقابلة مع (خ.ع) . مصدر سبق ذكره.

تعني الوجود للمستعمَر، وغياب النوع الجماعي منها، يفرض أهمية كبيرة للمواجهة الذاتية، التي تنبه هذا الوجود، يقول (م.ق) عن الدافع الأساسي للإضراب الذاتي عن الطعام: *"ما أحوجني للإضراب الذاتي، هو ترهل الجماعي.*[376] "

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ الحدود بين الذاتي والجماعي غير واضحة، بل إنها علاقة معقدة تحول دون إمكانية منحها وصفاً دقيقاً، وبخاصة أنها علاقة في بنية سجن استعماري صهيوني استيطاني، ذي خصوصية تنبع من نوع العنف وأدواته.

[376]مقابلة مع (م.ق). مصدر سبق ذكره.

الفصل الرابع

إضراب عام 2012م المواجهة الثانية لـ(جيل انتفاضة الأقصى)

شكَّلت مجموعة من العوامل التي سبقت إضراب عام 2012م، دافعاً للأسرى لاستعادة مواجهتهم الجماعية، التي شهدت غياباً امتد سنوات، بما تركه إضراب عام 2004م من نتائج ذات أبعاد مركبة ألقت بظلالها على واقع الأسرى في السجون الصهيونية، وبخاصة على خيارات المواجهة في رأي (جيل انتفاضة الأقصى)، ومن أبرز هذه العوامل، التي جاءت محركات أساسية لخيار المواجهة، إضراب الجبهة الشعبية عام 2011م، الذي تناولته الدارسة سابقاً.

وقد تمكَّنت الجبهة الشعبية، في هذا الإضراب، من استعادة خيار المواجهة، ولكن، وعلى الرغم من أهميته الكبيرة، إلا أنه لم يحظَ باهتمام أدبيات الأسرى؛ ولعلَّ ذلك مرتبط بنهايته، التي تزامنت مع إتمام حركة المقاومة الإسلامية (حماس) صفقة تبادل الأسرى، المعروفة بصفقة (وفاء الأحرار)، عام 2011م، بوساطة مصرية، أدت إلى الإفراج عن1027 أسيراً وأسيرة.[377]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ صفقة (وفاء الأحرار)، رغم ما حققته من نتائج، قد تركت حالة من الغضب والشعور بالخذلان لدى أسرى حركة حماس، وبخاصة (جيل انتفاضة الأقصى)، ممن صدر بحقهم أحكاماً بالسجن مدى الحياة، واستثنتهم الصفقة، فضلاً عن حالة الجدل والتساؤلات التي رافقت شروط إتمامها، وتنصل إدارة السجون الصهيونية من بعض التعهدات المتفق عليها، وكان من المفروض تنفيذها، ومنها إخراج الأسرى المعزولين من زنازين

[377]علي شواهنة.مصدر سبق ذكره. ص 36.

العزل الانفرادي، وإلغاء ما عرف بقانون (شاليط)؛[378] ما يعيد المتلقي إلى المشهد الذي تركته أوسلو في رواية أسرى حركة فتح، على الرغم من الاختلاف العميق والكبير في الأسباب التي قادتهم إلى الحرية.

وقد فرضت عملية التبادل عام 2011م، تغييراً كبيراً على واقع قيادة الأسرى وتركيبتها من التنظيمات كافة؛ ما ألقى بظلاله على واقع المواجهة، وبخاصة لدى (جيل انتفاضة الأقصى)، الذي نظر إليها بوصفها محاولة مستمرة، على الرغم مما شهدته من هبوط وصعود، منذ إضراب عام 2004م، ولم يكن هذا الأمر مقتصراً على أسرى تنظيم أو فصيل دون آخر؛ فقد شكَّل (جيل انتفاضة الأقصى) رواية خاصة عن المواجهة ودوافعها ومسارها الخاص، بما فيه من تنوع تنظيمي وتباين واختلاف، كيف لا، وقد تشكَّل من كلّ من حركة التحرير الوطني (فتح)، وحركة المقاومة الإسلامية (حماس)؟

أمّا العامل الثالث، الذي شكَّل بالإضافة إلى إضراب الشعبية، وصفقة التبادل، محركاً أساسياً لإحياء مشهد المواجهة في الإضراب عن الطعام؛ فهو استمرار الإضرابات الذاتية، التي بدأها أسرى حركة الجهاد الإسلامي، وفي مقدمتهم الأسير خضر عدنان، في أواخر عام 2011م، وبداية عام 2012م،[379] وأسرى الجهاد المعتقلين إدارياً؛ إذ ترك هذا النوع من الإضرابات هزّة كبيرة في واقع المواجهة، طارحاً التساؤل الأكبر عن ضرورة استعادة المواجهة الجماعية، التي تناولتها الدارسة في الفصل السابق؛ ما يجعل الاستعادة وحضورها في إضراب عام 2012م، وما رافقها من تحولات في قرار المواجهة لدى التنظيمات، المرتكز الأهم في محاولة فهم السيادة وتقرير المصير في تجربة الإضراب عن الطعام لدى (جيل انتفاضة الأقصى)، فضلاً عن عامل أساسي فيها، يتمثَّل في الاستمرارية، التي تعطي معانيَ وأبعاداً للوجود داخل السجن، وما يرافقها من تحديات كبيرة، ففي هذا الفصل ستتناول الدارسة إضراب عام 2012م، أو ما عرف بمعركة (العهد والوفاء).

---

[378] علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 36.

[379] نفس المصدر. ص 37.

معركة (العهد والوفاء)

يشكِّل ما يطرحه فانون في قوله: *"لقد سيطروا عليه، لكنهم، لم يطوعوه،"*[380] النقطة الأهم في محاولة فهم السيادة وتقرير المصير، عبر محاولات المستعمَر الحفاظ على معنى الوجود، باستمرار المواجهة، فعلى الرغم من أدوات العنف والسيطرة كلها، التي فرضها المستعمِر الصهيوني (المستوطن) على المستعمَر الفلسطيني عبر بنيته العنيفة، إلا أنه لم يتمكن من تطوعيه داخلياً، أو إلغاء قناعاته باستمرار مواجهة المستعمِر، الذي ينبه لدوام هذه الاستمرارية عبر استمرار عنفه؛ فعنف المستعمِر في إخماد نار المستعمَر، ما هو الوقود الأساسي للمستعمَر؛ لخلق روح المواجهة وقوتها.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ تجربة (جيل انتفاضة الأقصى) في الإضراب عن الطعام، قد كشف عن أدوات عنف المستعمَر ومحاولته خلق أدوات جديدة، يصعب تفكيكها، قياساً إلى أدوات العنف التي بدت واضحة بأشكالها المختلفة سابقاً، وبخاصة قبل إضراب عام 2004م، وهذا ما استعرضته الدارسة سابقاً، وبخاصة في تجربة إضراب عام 2004م، الذي كشف عن أدوات عنف صهيونية استيطانية جديدة، يصعب تمييزها تفكيكها؛ كيف لا، وقد وصفها وليد دقة بالعنف غير المرئي؟ الذي يحاول الاستعمار الصهيوني فرضه، عبر ماكينة العنف الحداثوي،[381] مشكِّلاً بذلك تحولاً كبيراً في أدوات العنف الصهيونية داخل السجون.

وعودةً إلى فانون في إشارته إلى السيطرة والتطويع، فإنَّه يثير تساؤلاً: هل تمكنت ماكينة العنف الحداثوي من تطويع الأسير وسلبه قدرته على المواجهة واستمرارها، بما فرضته عليه من سيطرة، وما رافقها من تحولات الهائلة؟ وللإجابة عن هذا السؤال، لا بدَّ من تتبع الإضراب الثاني لـ(جيل انتفاضة الأقصى) عام 2012م، بدءاً من قرار المواجهة، ومسار الإضراب، وأهمية الاستعادة، وما شكلته من هزّة لبنية العنف، وإشارة قوية لمعنى الوجود واستمراره،

---

[380] فرانز فانون. مصدر سبق ذكره. ص 19.

[381] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص25-ص27.

كيف لا، وهذه الهزة القوية تتمثل في مدى الفاعلية، التي تعطي خصوصية لضرورة فهم المحاولة والاستمرارية في مواجهة بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؟ كما يقول علي جرادات في إشارته إلى معنى الأسير في كتابه (لست وحدك): *"نحن، في المجاز، كل مستعمَر ثار على مستعمِر، ومضطهَد تمرد على مضطهِد، ومقهور نهض لقاهر، ومظلوم هب لرفع ظلم ظالم، ومستعبد انتفض على مستعبِد...نحن كل هؤلاء، وهم كل أولئك، في كل زمان ومكان."* [382]

فعلى الرغم من محاولات السيطرة الشاملة كلها، التي حاول العدو تثبيتها، إلا أنَّ محاولة المستعمَر في المواجهة المستمرة، تتناسب طردياً مع مستوى تلك السيطرة العنيفة، وتشكلاتها الحداثوية، وبكلمات أخرى، فإنَّ الكم الهائل من التغيير في بنية العنف الاستعمارية الصهيونية الحداثوية، قد أحدث تغييراً كبيراً في خيارات الأسير، وأدواته، ونمط مواجهته ومسارها في بنية السجن، بالإضافة إلى مصيرها، ولعلَّ تجربة (جيل انتفاضة الأقصى) خير مثال للكشف عن ذلك كله.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ ما تركته معركة إضراب عام 2004م، من تحولات هائلة في أدوات العنف، ذلك المحرك الأساسي لأية مواجهة، من جهة، وهذه العوامل المركبة، من جهة أخرى، قد امتحنت الأسرى بمحكّ الوجود، كما في سياسة العزل الانفرادي،[383] التي شكَّلت أعنف أدوات السلب آنذاك؛ إذ بلغ عدد الأسرى المعزولين انفرادياً (20) أسيراً، [384]وهم من قيادات الأسرى، وبلغت سنوات عزل بعضهم، بصورة مستمرة، أكثر من عشر سنوات؛ ما

---

[382]علي جرادات. لست وحدك ذاكرة حرية تتدفق. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2019م. ص 3.

[383]انظر أيضاً: أحمد سعدات. صدى القيد. بيروت. دار الفارابي. 2017م. عائشة عودة. ثمناً للشمس وأحلام بالحرية، ومروان البرغوثي ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي؛ إذ يوضح البرغوثي سياسة العزل الانفرادي: *"إن سياسة العزل هي سياسة الموت البطيء، يستخدم الاستعمار هذه السياسة بواسطة جهاز المخابرات (الشاباك)، وسلطة السجون، وهاتان الجهتان المخولتان باتخاذ قرار العزل الانفرادي، والقرار الذي يتخذه (الشاباك) يطال من يعتقد أن وجودهم مع الأسرى الآخرين قد يلحق ضرراً بما يسمى بالأمن، ويعزز جهاز الشاباك هذا القرار بادعائه أن اعترافات قد أخذت على كوادر موجودة في السجن، وهذه الكوادر قامت بتنظيم خلايا للأجنحة العسكرية للفصائل، أما الشق الآخر من العزل؛ فهو الذي تقرر سلطة السجون، ويستهدف بشكل خاص قادة الحركة الأسيرة، والنشطاء داخل السجون، ومن لهم نفوذ أكثر على الأسرى في الفصائل."*

[384]نادي الأسير. تقرير حول الأسرى المعزولين. أرشيف عام 2012م .

جعلها مطلباً أساسياً في الإضراب، إضافة إلى مجموعة من المطالب، كان من أهمها السماح لعائلات أسرى غزة بالزيارة، بعد حرمان استمر 6 سنوات، وإلغاء قانون (شاليط).[385]

يقول الأسير أحمد المغربي،[386] أحد الأسرى المعزولين: *"سنكمل الإضراب؛ حتى يتحقق مطلبنا بفك عزلنا وتحقيق إنجازاتنا، فلا التعب، ولا الألم يضعفنا، ما يهمنا تحقيق الإنجازات والانتصار على السّجّان، والألم مقدور عليه والصبر موجود، لكن، أن ننهزم في معركة، غير مقبول، خصوصاً هذه المعركة؛ لأنها جاءت بعد صفقة، وكانت الآمال عريضة لبعض الناس للخروج والتحرر، فهناك المحبطون، وهناك من فقد الأمل؛ لذا قرار المضي في هذا الإضراب رفعاً لوحدة الأسرى، وإعادة هيبة الحركة الأسيرة، والنهوض من جديد في مسيرة التحرير والصمود والمرابطة."*[387]

العزل الانفرادي ومستوياته في بنية السجن

الأسير عبد الله البرغوثي:[388] *"إما أن أذهب من القبر إلى القبر، أو أن يتم إنهاء عزلي."* [389]

استخدمت سلطات الاستعمار الصهيوني الاستيطاني العزل الانفرادي تاريخياً في حق الأسرى في سجونها؛ بغية استمرار التحقيق مع الأسرى شهوراً طويلة، منفِّذة أثناء ذلك، التعذيب بأشكاله المتنوعة، كتعليق الأسير من يديه في السقف، والضرب على اختلاف أشكاله ومواضعه، واستخدام الصعقات الكهربائية، والماء البارد والساخن،

[385] هو قانون عقوبات، فرضته سلطات الاستعمار الصهيوني على أسرى حماس، عقب قيام حماس في غزة بخطف الجندي الصهيوني (شاليط)؛ وعليه أطلق اسم القانون عام 2006م.

[386] الأسير أحمد المغربي من بيت لحم، معتقل منذ عام (2002م) ومحكوم بالسّجن المؤبد لـ18 مرة.

[387] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (إيشل) للأسير أحمد المغربي في 13 أيار/ مايو 2012م.

[388] الأسير عبد الله البرغوثي. أحد قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وهو معتقل منذ عام (2003م)، وقد صدر في حقه أطول مدة حكم في تاريخ الحركة الأسيرة ومدتها (67) مؤبداً.

[389] بيان صادر عن الأسير عبد الله البرغوثي نشره نادي الأسير في 18 نيسان/ أبريل عام 2012م.

والكلاب البوليسية، والحرمان من الطعام والنوم، والشبح، وغيرها كثير،[390] ولكن، لم يكن الهدف من العزل مقصوراً على فترة التحقيق، بل إنّه ذو امتداد خارجي؛ بوصفه أداة عنف في بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وهذا مرتبط بفكرة التصنيف على الأرض ووضع المستعمَر في معازل، كما أشار إليها وليد دقة،[391] والهدف منها محاولة إلغاء الوجود الإنساني، وسلبه إنسانيته، ووضعه موضع تساؤل، والأمر نفسه يمكن أن يُقال عن عملية العزل داخل السجن.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الفترات التي تصاعدت فيها المواجهة الخارجية، وعمليات الاعتقال، قد عرفت تصاعداً في عمليات العزل داخل السجون، التي استهدفت بصورة أساسية قادة الأسرى، ومن لهم وقع خاص على الحياة الاعتقالية، ومسار المواجهة، وهذا هو الأهم، فإذا ما كان الحديث هنا، عن أعوام ما بعد انتفاضة الأقصى، فإنَّ المستهدفين، في واقع الأمر، هم قادة انتفاضة الأقصى، ومنهم: عبد الله البرغوثي، وأحمد سعدات،[392] وحسن سلامة،[393] وعاهد أبو غلمي،[394] وأحمد المغربي، ومحمود عيسى،[395] وإبراهيم حامد،[396] وآخرون.

يقول أحمد سعدات في كتابه (صدى القيد): *"إن العزل يعني وضع الأسير في حيز مكاني، يتميز بالضيق الفيزيائي، خال من أي مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، وجعلها في حدودها الدنيا دون ذلك، وعلى الأخص، منها الحياة الاجتماعية والإنسانية؛ لإبقاء الأسير في حالة حصار وانحباس دائمين، بتضييق المساحات الفيزيائية والإنسانية إلى أدنى درجاتها؛ كي يصبح هذا الحصار والعزل عن المجموع، نمط الحياة قسرياً مفروضاً على الجسد*

---

[390] انظر أيضاً – عائشة عودة ثمناً للشمس وأحلام بالحرية، مروان البرغوثي ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي 2011م. من ص 82 – ص 86، وأحمد سعدات. صدى القيد، وعصمت منصور، سجن السجن. 2011م. وزارة الثقافة الفلسطينية. أدب السجون.

[391] وليد دقة. 2010م. مصدر سابق. ص 8–ص 9 .

[392] الأسير أحمد سعدات: هو الأمين العام للجبهة الشعبية، وهو معتقل منذ عام 2006م، في سجون الاستعمار الصهيوني، ومحكوم بالسجن لمدة (30) عاماً.

[393]. الأسير حسن سلامة: من أسرى حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، معتقل منذ عام 1996م، وهو محكوم بالسجن المؤبد لـ48 مرة.

[394] الأسير عاهد أبو غلمي: من أسرى الجبهة الشعبية، معتقل منذ عام 2006م، ومحكوم بالسجن المؤبد وخمس سنوات.

[395] الأسير محمود عيسى: من أسرى حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، معتقل منذ عام 1993م، وهو محكوم بالسجن المؤبد 3 مرات.

[396] الأسير إبراهيم حامد: من أسرى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وأحد قادتها، وهو معتقل منذ عام (2006م)، وهو محكوم بالسجن المؤبد لـ54 مرة.

والحواس"،[397] وهكذا، فإنها عملية سلب ممنهجة، مستمدة من بنية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، التي تحاول فرض حالة إلغاء وإنكار ونفي للمستعمَر.

ويقول مروان البرغوثي في كتابه (ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي): *"القصد من كل ذلك، هو أن العزل الانفرادي، يفصل الإنسان عن العالم، يتوقف الزمن، وربما يريدون أن يتوقف العقل والتفكير والتفاعل مع الأحداث والمحيط، إنه موت بطيء، بلا أكسجين الحياة.*[398]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ تناول قضية العزل؛ بوصفها أداة عنف قبل الدخول في عمق معركة (العهد والوفاء)، ضرورة؛ فهي مدخل مهم لفهم مستوى العنف آنذاك، على اختلاف مستوياته وأدواته، وما أصابه من تغيير، كيف لا، وهذه القضية، كانت ولا تزال الأداة الأكثر قهراً، وبخاصة إذا ما نُفِّذت على مدار سنوات طويلة؛ لإنتاج واقع له شروطه وخصائصه الإنسانية والاجتماعية القاسية والخاصة؟

وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ هذه النتائج، قد أثبتت مدى الفاعلية التي فرضها الأسير في تجربة العزل، ويمكن قراءتها عبر جانبين، أمّا الأول؛ فهو فرض طريقة من (التعايش)، وهو جزء مما ذكرته الدارسة عن الواقع الذي الناتج عن هذه الأداة، وأمّا الجانب الآخر؛ فمرتبط باستعادة المواجهة؛ لكسر هذه الأداة، بل يمكن القول إنَّ (التعايش) المؤقت قد صنع قدرة هائلة على المواجهة، وراكم عوامل مكثفة وقوة مضاعفة؛ لاستعادة المواجهة، وهذا ما جرى عام 2012م؛ حينما استعاد الأسرى المواجهة، وشكَّل إنهاء العزل مطلباً أساسياً للمعركة؛ ففي عام 2012م، وصلت سنوات العزل لبعض الأسرى أكثر من عشر سنوات، وفرضت نوعية الأسرى المعزولين وتركيبتهم، ثقلاً كبيراً على الجماعة؛ بوصفهم القادة، وفي نظرهم هم صمام الآمان؛ فغياب المواجهة النسبي في المرحلة التي سبقت عام 2012م،

---

[397] أحمد سعدات. مصدر سبق ذكره. ص 47 .

[398] مروان البرغوثي. 2011م. مصدر سبق ذكره. ص 89 .

يعود جزء منها إلى استهداف قيادة الأسرى بالعزل عن محيطهم؛ في محاولة سلبهم دورهم القيادي داخل السجون، وهكذا، فإنَّ هذا المطلب لم يكن خياراً، بل كان واجباً على الأسرى، وبخاصة أن بعضهم قد لجأ إلى الإضراب الذاتي لإنهاء عزله، وفي مقدمتهم الأسير عبد الله البرغوثي، أحد قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في السجون.

ولعلَّ الإشارات المهمة، التي تركها الأسير عبد الله البرغوثي في مواجهته العزل الانفرادي، تتمثَّل في شروعه بالمواجهة، قبل الإعلان الجماعي للأسرى عن خوض الإضراب عام 2012م؛ ما يُعيد المتلقي إلى تلك العلاقة، التي حكمتها بنية السجن بين القائد في ميدان المواجهة خارج السجن، والقائد في السجن، وعلاقته مع الجماعة، أو التنظيم، وما أصابها من تحولات هائلة، والكيفية التي جعلت السّجن يحوّل القائد في الميدان إلى وقود للمواجهة في السجن.

العزل في رواية الأسرى

أوجد معنى الزمن روايات مختلفة للأسرى عن تجربة العزل، مع بقاء كثير من الأمور المشتركة في تبيان فاعلية الأسير، وقدرته على مواجهة عملية السلب، وقد اختلف تعبير الأسير عن العزل والزمن وفق مدته، ومستواه؛ فالسجن بوصفه مكان العزل الكبير، يتضمن هندسة معينة للعزل، عبر بنائه، الذي تتوزع فيه الأقسام والزنازين، التي تعطي تصوراً مهماً عن مستويات العزل،[399] تقول عائشة عودة عن تجربتها في العزل الانفرادي: *"يجردونك من كل شيء، فتدخلين في صميم حريتك."* [400]

[399] انظر أيضا: مروان البرغوثي (ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي) ، وأحمد سعدات (صدى القيد)، وعائشة عودة (ثمناً للشمس)، ووليد الهودلي. (ستائر العتمة). المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي. رام الله. 2015م.

[400] عائشة عودة. مصدر سبق ذكره. ص 109.

وهكذا، يعكس الوصف الذي قدمته عائشة عودة عن العزل الانفرادي، معنىً خاصاً واستثنائياً عن العزل، من جهة، وفاعلية الأسير، من جهة أخرى؛ إذ يحوله إلى حرية داخلية، فالعزل قوة ينتجها المستعمَر، كما أشار إليها فانون، تتناسب طردياً مع مقدار عنف المستعمِر، فضلاً عن تبيان التناقض الذي تنتجه بنية السجن وأدواتها العنيفة، ولكن الأهم من ذلك، يتمثَّل في فاعلية الأسير وقدرته على خلق حرية ذات نوع خاص في زمن العزل الانفرادي،.وعلى الرغم من ذلك كله، فقد شكَّلت عملية العزل دافعاً أساسياً لفرض المواجهة على السّجّان؛ في سبيل إنهائها، كما حدث مع الأسير عبد الله البرغوثي في إضرابه، الذي سبق إضراب عام 2012م؛ فقد قال في رسالة وجهها مع شروعه في الإضراب المفتوح عن الطعام: *"إما أن أذهب من القبر إلى القبر، أو أن يتم إنهاء عزلي"*.[401]

وبكلمات أخرى، فقد بدا العزل للأسير البرغوثي قبراً؛ مكوِّناً بذلك أقسى معنى مجازياً لمعنى الموت اليومي داخل زنزانة انفرادية، يُحتجز فيها منذ سنوات، في محاولة سعي السَّجّان إلى سلب إنسانية الأسير في أضيق حدودها، والأمر اللافت للانتباه، أنَّ مدة العزل تمثِّل عاملاً أساسياً في قدرة الأسير على مواجهة العزل، وفرض رواية خاصة عنه، فكيف يتحول العزل، الذي قد يكون في نظر الأسير، في لحظته الأولى، حالة من التحرر؛ ليصبح مع الوقت قبراً؟ وهنا، لا بدَّ من الرجوع إلى الزمن، وفاعلية الأسير؛ فهما المسؤولان عن معنى العزل وتحولاته.

وبالعودة إلى ما كتبه الأسير أحمد سعدات عن العزل الانفرادي، فإنَّ المتلقي يقف على جملة من العوامل، التي تفرض مستوى ما يمكن أن يتركه العزل على ذات الأسير، يقول: *"إن هذه السياسة تهدف إلى إغراق الأسير في تفاصيل حياته الشخصية، وهمومه المملة والقاتلة، وبالتالي حجب اهتمامه بالأمور العامة والجوهرية المرتبطة بالهم الاعتقالي والقضية الوطنية، هذا هدف السجان وهو جزء من مجموعة أهداف، في أساسها إلغاء الوجود الإنساني*

[401] بيان صادر عن الأسير عبد الله البرغوثي نشره نادي الأسير في 18 نيسان 2012م.

للأسير"،[402] ومقابل ذلك، يبدو العزل أداة عنف، كشفت عن فاعلية عالية لدى الأسير، كيف لا، وهي المحاولة الدائمة والمستمرة للوجود الإنساني؟

ويقول الأسير محمود عيسى عن العزل، الذي استمر 13 عاماً في رسالة له: *"إن موضوع العزل الهدف منه بالدرجة الأولى، الإذلال، والانتقام من الأسرى، وذلك أكثر مما يسموه بالاحتياطات والدواعي الأمنية، وما يؤكد ذلك، تلك الظروف التي يعيش بها الأسير، وخلق شعور لدى الأسير أن الأيام متشابهة، وأنهم منذ سنوات تجد الإدارة تسير في اتجاه منهجي مبرمج؛ للنيل من الأسير، ولم تتمكن من ذلك، وبدأ العزل معي بعزل تحت الأرض في سجن الرملة القديم، وكان سيئاً جداً، لا أحد يستطيع نسيانه، فالشباك عكس المنطق؛ فهو بأسفل الغرفة، وليس أعلاها، ودائما يرى الجرذان والقوارض تسير بالقرب منه، وكذلك تدفق مياه المجاري لداخل الغرفة، لكن، الحمد الله، استطعت مقاومة العزل وتصديه."*[403]

وهكذا، فقد أشار محمود عيسى إلى الزمن، المتمثل في محاولة السّجّان جعل الأيام متشابهة، وهذا هو المعنى الأساسي لإلغاء الوجود؛ عبر إلغاء الشعور بالزمن أو المحيط، ووضع هذا الوجود موضع تساؤل، غير أنَّ مجرد بقاء هذا التساؤل، يعطي مؤشراً عن مدى احتمالية قرب المواجهة وانفجارها لدى الأسير؛ ما يعيد المتلقي إلى بنية العنف داخل السجن، التي تُشكِّل المحرك الأول للمواجهة، فإذا ما كان هدف عنف السّجّان إلغاء الوجود؛ فإنَّ العنف في رواية الأسرى، قد شكَّل الدافع الأساسي للمواجهة.

وهذا ما أشار إليه وليد دقة: *"إن السجن الحديث بصورة عامة، ليس فقط سيطرة وحجز للجسد، وإنما سيطرة على زمن الأسير؛ فلم يعد زمن الأسير ملكه، ولا يمكنه تنظيم ساعات النهار وفقا لبرنامج يحدده بذاته، إنه لا*

---

[402] أحمد سعدات. مصدر سبق ذكره. ص48.

[403] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) للأسير محمود عيسى في 14 أيار/ مايو 2012م.

يمضي وقته داخل الزنزانة حرا بزمنه، بل إن زمنه خاضع للسّجّان"،[404]والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الزمن يُصبح أكثر قسوة داخل العزل الانفرادي؛ فهو مفقود،[405]كما أشار إليه الأسير محمود عيسى، ومع ذلك، فإنَّ روايات الأسرى المعزولين تكشف عن تلك المحاولة الدائمة والسعي نحو خلق زمن آخر، يفرضه الأسير، *يقول علي جرادات: "إنه زمن السجن: زمن أن تكون أو لا تكون، والمقاومة سر الوجود..إنه زمن نضال الحرية، التي هي كـ(وعي للضرورة)."* [406]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ إدارة السجون الصهيونية، تتعمَّد استخدام العزل لمجرد إعلان الأسرى عن الإضراب؛ بوصفه أداة أولى لكسر إضرابهم، وبخاصة عبر استهداف القيادة، في محاولة للالتفاف عليها وكسر المعركة؛ ما يفسِّر وجود قيادة الظلّ في منهج الأسرى في الإضراب وأدواتهم، فهي جزء من أدوات مواجهة عملية عزل القيادة في أول أيام الإضراب، وهذا ما حدث فعلياً في إضرابات سابقة، وإضراب عام 2012م، على وجه الخصوص؛ فقد خاض الأسرى هذا الإضراب بسبب العزل، الذي كان بمثابة أداة العنف الأولى المستخدمة في حقهم؛ ما يعيد المتلقي إلى بنية السجن، والتساؤل عن العزل؛ بوصفه جزءاً منها، كيف لا، وعملية العزل تُنفَّذ في واقع مستويات، تقدم أبعاداً عن مدى التحكم بأداة العنف نفسها؟

يقول (ع.ة) عن إضراب 2012: *"قبل يومين من الإضراب، قمت بإلقاء خطبة صلاة الجمعة، وأعطيت تعليمات عن الإضراب للأسرى، كونا إنه إحنا ذاهبين إلى معركة إضراب عن الطعام، فكانت الخطبة واضحة وموجهة بشكل مباشر عن الإضراب، وكنا عارفين أنه راح ينقلونا للعزل بعدها، وبالفعل، نقلتني الإدارة إلى العزل الانفرادي، وما كان عندي قلق على الشباب؛ لأنهم عارفين أنه وين ما نقلوهم إلهم ممثل يحكي باسمهم، وبالتالي موضوع العزل المفروض ما يأثر، وبقيت في العزل الانفرادي ليلة الإضراب، وبعد أيام، نقلوني على عزل، في شباب من معتقل (إيشل)*

---

[404]وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 71.

[405]انظر في: وليد دقة: (صهر الوعي) ، مروان البرغوثي: (ألف يوم في الزنزانة الانفرادية)، وأحمد سعدات: (صدى القيد).

[406]علي جرادات. مصدر سبق ذكره. ص1 .

ووقتها، ارتحت، لما شفت الشباب مضربين، والمعركة بدأت مثل ما كنا مخططين إلها، ولما شافوني كممثل ازدادوا همة وعزيمة." [407]

وتتجاوز فكرة العزل في السجن مستوى ممارسة السّجّان لها، وتمتد؛ بوصفها أداة عنف، إلى المعزول نفسه، لتفرض تساؤلاً عنه، فهل فعلياً الأسير وحده المعزول؟ إنَّ الناظر إلى السجن؛ بوصفه بنية تجمع الأسير والسّجّان معاً، يجد أنَّ السّجّان الذي يراقب الأسير المعزول في زنزانته على مدار الوقت، يشاركه العزل أيضاً، ولعلَّ هذه الفكرة ذاتها التي قدمها وليد دقة في محاولة إعادة تعريف التعذيب؛ ما يجعل السجن بتركيبته المعقدة يفرض أسئلة ثنائية، انطلاقاً من واقع العلاقة المفروضة بين الأسير والسّجّان.

وبكلمات أخرى، فإنَّ مفهوم العزل واسع، بل إنه يمتد إلى واقع العلاقة بين الأسير والتنظيم أيضاً؛ فقد استخدم العزل أداة تنظيمية بأساليب تتجاوز فكرة الزنزانة، وفيما يتصل بالإضراب، فقد كشفت تجربة العزل أثناءه عن كثير من محاولات الالتفاف على دور قيادة الإضراب، عبر عزلها عن الأسرى أنفسهم، وتشكيل قنوات حوار أخرى؛ ما يثير تساؤلاً عن الكيفية التي تؤديها بنية السّجن في فرض أدوات معينة، لا تقتصر على السّجّان؛ ما يعيد المتلقي إلى هذه البنية وأدواتها، التي أصبحت جزءاً من أدوات السّجّان وأدوات الأسرى أنفسهم.

فالعزل لا يؤدي معنىً واضحاً هنا؛ لأنَّ السجن ببنيته كلها عزل، عزل الأسير عن المحيط وفصله عن الواقع؛ ما يجعل محاولة الوصول إلى معناه، تبدو أكثر تعقيداً مما يمكن تصورها، و"هذا *مرتبط في حالة فقدان اللغة المرتبطة أساساً في شكل العنف الحداثوي، الذي يضعنا في حالة عجز لتفسير الواقع في مواجهة تعذيباً، ليس بمقدور الأسير*

[407] مقابلة مع (ع.ة) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت في رام الله. 2019م.

تفسيره"،[408] وبخاصة أنَّ الأسير المعزول، قد واجه الاستعمار، فعلياً، في عزله الكبير قبل الأسر، إلى أن زُج به في عزل أصغر فأصغر؛ ليبدو هذا العزل في عالم الاستعمار طبقياً ومقسماً.

وهكذا، يتحول مستوى العزل ليصبح أساساً مهماً في فهم بنية العنف، عبر فهم تركيبته، واستخدام السّجّان له؛ بوصفه أداة عقاب، لها وقعها على الصراعات الداخلية للأسير، وارتباطها بمستوى العزل ومدته، وهذا ما يندرج في إطار فكرة التصنيف والتقسيم الاستعمارية الصهيونية الاستيطانية على الأرض؛ إذ لا تخرج أي من أدوات العنف، عن عملية التصنيف والتقسيم، ومنها العزل، ويشير دقة[409] في (صهر الوعي) إلى أن جزءاً من عملية (صهر الوعي)، التي أعلنها الاستعمار الصهيوني، هو استخدام التقسيم والتمييز في الظروف من سجن إلى آخر، وهذا يبدأ فعلياً من تقسيم الأرض إلى معازل؛ لتصل إلى تفاصيل أدوات العنف في بنية السجن الصغير.

التخطيط لمعركة (العهد والوفاء)

"صعب نحكي أنه في حركة أسيرة." [410]

أظهرت النقاشات التي سبقت المعركة، خلافات عميقة بين الأسرى، حول جدوى هذه الخطوة، التي بدأ الأسرى فعلياً بالحديث عنها، والتخطيط لها منذ عام 2010م؛ إذ كان الحديث حول تأجيل الخطوة لأسباب أسندها الأسرى أولاً إلى اختطاف الجندي الصهيوني (جلعاد شاليط)، وثانياً انطلاق الثورات العربية وتركيز الإعلام عليها؛ فكان جلّ الحديث منصباً على ضرورة تأجيل الخطوة، ووبرز تياران، الأول: يحمل موقفاً جازماً بضرورة تنفيذ الخطوة

---

[408] وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره. ص 19 -21 .

[409] وليد دقة.نفس المصدر. ص 26- 27.

[410] مقابلة مع (ع.ة). مصدر سبق ذكره.

مهما كانت النتائج، وأمّا التيار الآخر؛ فقد كانت وجهته نحو ضرورة التأجيل، وانتهى النقاش آنذاك بتأجيل الخطوة.[411]

وتلا هذا التأجيل، قرار من أسرى الجبهة الشعبية، بتنفيذ إضراب عن الطعام، استمر (22) يوماً، وانتهى بعد أن تلقى الأسرى في حركة حماس إشارات أكيدة على إتمام صفقة تبادل (وفاء الأحرار)، التي أدخلت الأسرى القائمين على إعداد الإضراب في حالة ترقب وانتظار، ودفع الأسرى مجدداً إلى تأجيل تنفيذ الخطوة، [412] ومع ذلك، فقد شكَّل إضراب الشعبية عام 2011م، محطة أولى ،كما أشارت الدارسة سابقاً، في محاولة الاستعادة.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه في أواخر عام 2011م، وبعد إتمام صفقة (وفاء الأحرار)، بدأت الإضرابات الذاتية تفرض ذاتها على مشهد المواجهة، وشكَّل إضراب الأسير خضر عدنان، الذي تناولته الدارسة سابقاً، محطة مهمة في تاريخ هذا النوع من الإضرابات، التي سمّاها الأسرى إضراب النخبة، وقد استمر إضرابه (66) يوماً،[413] أعاد فيها الأسير خضر عدنان أسئلة كثيفة عن تجربة الإضراب عن الطعام، على مستوى الأسرى أنفسهم داخل السجون، وكذلك، على مستوى واقع قضية الأسرى في الخارج، والأهم من ذلك، ما تركته صفقة (وفاء الأحرار)، كما أشارت الدارسة من قبل، من حالة الخذلان والغضب لدى مئات الأسرى، وبخاصة من هم قادة في حركة المقاومة الإسلامية (حماس).[414]

يقول (ع.م) في حديثه عن إضراب عام 2012م: *"إن إضراب 2012م، من الإضرابات المميزة، وله خصوصية، وسبقه عدة عوامل مهدت له، نذكر منها، أن قضية عزل الأمين العام للجبهة الشعبية، أحمد سعدات،*

---

[411]علي شواهنه. مصدر سبق ذكره. ص36 .

[412]علي شواهنه. مصدر سبق ذكره. ص35-37 .

[413]علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص 37.

[414]مجموعة من تقارير زيارة لأسرى حركة حماس. أرشيف نادي الأسير. 2011م، و2012م.

وإضراب الأسرى المعزولين، وسبقه إضراب خاص للجبهة الشعبية، وكان شعاره إخراج الأمين العام من العزل، إضافة إلى استمرار منع الزيارات لأهل أسرى غزة، وقضايا أخرى شكلت ضغط كبير على الأسرى، منها فشل جميع الحوارات مع الإدارة." [415]

وهكذا، فإنَّ تتبع تلك المجريات، يكشف عن صدور قرار المعركة، على الرغم مما أصابه من تحولات، وأنه جاء قراراً تراكمياً مدروساً، وإن كان في ظل الخلافات التي أحاطت به من التنظيمات؛ إذ بات واضحاً أنَّ الحركة الأسيرة؛ بوصفها جسداً واحداً، قد انتهت في هذه التجربة، ولعل هذا النتاج نابع من إضراب عام 2004م، ولكن، من المهم الإشارة إلى أن بعض التنظيمات، قد ظهرت فيها الخلافات بصورة غير مسبوقة، كشفت عن انشقاقات داخلية، وصراعات أجيال عميقة حيال قرار المواجهة، وبخاصة فيما يتصل بحركة التحرير الوطني (فتح)؛ ما جعل مفهوم الجماعة (الحركة الأسيرة) يتخذ مساراً مختلفاً عن الجماعة سابقاً، ويقود بدوره إلى شيء أساسي في معركة الإضراب عن الطعام بعد عام 2004م؛ فكل إضراب سيكشف عن مسار جديد لمفهوم الجماعة.

يُشير (ع.د): "إلى *أن إضراب عام 2012م، يختلف عن الإضرابات السابقة؛ لكونه مرتبط بتداعيات إضراب عام 2004م، ويتبع هذا الموضوع حالة الفصل الفصائلي بعد الانقسام بين فتح وحماس خارج السجون، وسقطت تقريباً حالة التواصل والتنسيق داخل وخارج أقسام السجن، ولم يعد هناك وحدة تمثيل ولا في أي سجن، ولا على مستوى السجون، فصار صعب نحكي أنه في حركة أسيرة"*،[416] ويقول (ب.ك): "*كل إضراب بفرض أسلوبه بذاته، وفكرة أنه يكون كل الأسرى في الإضراب، هذا مش صحيح، بالعكس، ممكن هاد يتحول لعبء، وممكن يتحول لنقاط ضعف."* [417]

---

[415] مقابلة مع المحرر (ع. م). مصدر سبق ذكره.

[416] مقابلة مع المحرر (ع.ة). مصدر سبق ذكره.

[417] مقابلة مع المحرر (ب.ك). مصدر سبق ذكره.

وبكلمات أخرى، فإنَّ طبيعة تجربة الإضراب عن الطعام؛ بوصفها مواجهة، قد فرضت نفسها كاشفاً عن التحولات، التي أصابت التنظيمات وواقع الأسرى، أكثر من أية أداة أخرى، وهذا ما يمكن قراءته عبر الإضرابات السابقة؛ ففي كل تجربة إضراب كانت الحركة الأسيرة توضع تحت المجهر؛ لتكشف عن تغيرات وتحولات، لا يمكن التحقق منها إلا عبر المواجهة، وبخاصة الإضراب عن الطعام، كيف لا، وهو الاختبار الذي يعطي في كل مرة نتائج مغايرة، تمكِّن المتلقي من محاولة فهم المرحلة والبناء عليها، وتمكِّن الأسرى أنفسهم من فهم مسار تجربتهم، ومصيرهم؟

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ معركة (العهد والوفاء) قد سبقها برنامج تصاعدي، تمثَّل في إرسال رسائل لإدارة السجون الصهيونية، تتضمن مطالب الأسرى، ورسائل أخرى للخارج، وإضراب يومين من كل أسبوع، تصاعد لاحقا؛ ليشمل ثلاثة أيام، فضلاً عن إعلان حالة الفوضى المنظمة في الأقسام كلها، بما فيها من احتكاك أثناء الخروج إلى الساحات والفحص الأمني اليومي، إضافة إلى تقديم طلبات نقل، وشكاوي بأعداد كبيرة، وصولاً إلى الخطوة الاستراتيجية، وتصاعد حدة المواجهة في الفترة ما بين 12 نيسان/ أبريل 2012م- 27 نيسان/ أبريل 2012م. [418]

كما أعلن الأسرى عن وثيقة عرفت بوثيقة (العهد والميثاق)، وفيها أكدوا على حق كل فصيل في المشاركة بهذه المعركة، أمّا بنودها؛ فقد كانت تتصل بقيادة الإضراب، التي تمثِّل أهم عامل في مصيره، وآلية اتخاذ القرار، وتشكيل مجلس استشاري لكل فصيل وتنظيم، بالإضافة إلى بند خاص بالمطالب وتدرجها، وآخر مرتبط بالعقوبات، وآليات خوض المعركة ومسارها، التي تستند إلى الإرادة والعزيمة والتحدي، وفيما يتصل بالخامة، فقد انتهت هذه الوثيقة بالعهد والقسم.[419]

---

[418]علي شواهنة. مصدر سبق ذكره. ص50 –ص 51.

[419]"أقسم بالله العلي العظيم، وأشهد الله، ومن ثم الشعب، وبعهد الله، ومن ثم الوطن والشعب، وبعهد الأحرار المخلصين لكل أسير فلسطيني يقبع في سجون الاحتلال الغاشم، قام بالترشيح لقيادة المعركة، أن أكون مخلصا وفيا ماضيا في ثبات وعزيمة، حتى نزع حقوقنا المسلوبة، وإعادة كرامتنا المتمثلة بخلق ظروف معيشية وإنسانية، تليق بالإنسان الأسير، وتنهي آلام الكثيرين من عزل وحرمان وقهر، والله على ما أقول شهيد."

وبالفعل، أعلن نحو (1600)[420] أسير في سجون الاستعمار الصهيوني نيتهم خوض معركة الإضراب، في إطار مطالب متعددة محددة، كما ذكرت الدارسة سابقاً، كان أبرزها إنهاء عزل (20) قيادي من التنظيمات، والسماح لعائلات أسرى غزة بالزيارة، وقد أشار الأسرى، ممن خاضوا الإضراب، إلى أن اللجنة التنظيمية المخولة عن الأسرى في الإضراب، قد أضافت مطالب حياتية أخرى؛ لضمان مشاركة أوسع في الإضراب؛ ما يعني أنَّ الانقسام، قد فرض قراءته، ومحاولة رأبه، وبخاصة أنَّ مواجهة إدارة السجون أصبحت بحاجة إلى جهد وعوامل مقنعة أكثر من أية تجربة مضت؛ فالذاتية المطلبية أصبحت تؤخذ بعين الاعتبار؛ لضمان المشاركة في المواجهة، وهذا ما أشار إليه (ع.د): "*حتى أنه الإضراب يستقطب مشاركين أكثر على صعيد السجون أو الصعيد الفصائلي، اقترح هذا الإضراب بعض القضايا التي تتصل بالحياة الاعتقالية؛ لكسب مشاركة أكثر.*" [421]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الإضرابات التاريخية كلها، قد عرفت نمطاً مكرراً من السلوك، إذ كانت التنظيمات تباشر قبل أية مواجهة بحوارات، تستمر عدة شهور، قبل البدء في تنفيذ خطوة الإضراب عن الطعام، تمثِّل جزءاً من مرحلة الاستعداد للمعركة، وفيها تكشف فعلياً الصراعات، التي لا يمكن أن تكشفها أية فترة سابقة؛ فالمواجهة وبخاصة الإضراب عن الطعام، يضع القرار التنظيمي تحت المجهر من جديد؛ ففي إضراب عام 2012م، عادت الصراعات التنظيمية حول القرار والقيادة مجدداً، وبخاصة أن جملة من العوامل والتحولات أصابت واقع الأسرى أثناء فترة من الزمن، كانت بدايتها مع التحول الذي أصاب تركيب الأسرى بعد انتفاضة عام 2000م، والمحطة الأهم إضراب عام 2004م، الذي فرض تحولات هائلة، شكَّلت نتائجها أحد أهم الدوافع لإضراب عام 2012م.

وقد كان من الواضح، أنَّ حركة حماس، والجهاد، والجبهة الشعبية، وبعض التنظيمات الصغيرة، في السجون قد حسمت قراراها بالذهاب إلى الإضراب في 17 نيسان/ أبريل عام 2012م، وهو التاريخ الذي يُصادف يوم

---

[420] علي شواهنة. مصدر سابق. ص149.

[421] مقابلة مع المحرر (ع.ة). مصدر سبق ذكره.

الأسير الفلسطيني،[422] بينما كان قرار حركة فتح عدم المشاركة، على الرغم من أن الرسائل التي وجهها ممثلوها كانت متناقضة، وتكشف عن مستوى حالة الانقسام الذي وصلت إليه الحركة، فبعد أن كانت تسهم تاريخياً في قيادة الإضرابات، أصبحت اليوم تعكس مجمل الخلاصات التي عاشتها الحركة منذ أوسلو، ولعلَّ الأمر اللافت، أنَّ أغلب ممثلي السجون هم من الأسرى الذين اعتقلوا على خلفية مشاركتهم في انتفاضة الأقصى عام 2000، (جيل انتفاضة الأقصى)؛ ما يفسِّر عودة صراع الأجيال مجدداً في هذه التجربة وبقوة؛ فقد كان أغلب أسرى فتح، الذين قرروا المشاركة في الإضراب عن الطعام، من (جيل انتفاضة الأقصى)؛ ليكون هذا الإضراب بمثابة التجربة الثانية لهم، منذ عام 2004م.

ولعلَّ قرار الأسرى خوض معركة (العهد والوفاء) يمثِّل المحطة الأهم في الكشف عن كثير من التحولات، التي فرضت نفسها على مدار السنوات، التي تراجعت فيها المواجهة بالإضراب عن الطعام، والشرخ الكبير الذي تركه (صراع الإخوة)، بين حركة التحرير الوطني (فتح)، وحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، إضافة إلى جملة من العوامل، التي ذكرتها الدارسة سابقاً، وفيما يتصل بحركة التحرير الوطني (فتح)؛ فقد شكَّل الصراع المعنى الأساسي في قرار المعركة، كيف لا، وحجم الصراعات التي حكمتها كبيرة، ولم يسبق أن عاشتها بهذا المستوى في معارك الإضراب عن الطعام؟ ما كشف عن انقسامات داخلية حادة في الحركة، تجلَّت في قرار المشاركة بالإضراب؛ فعلى الرغم من أنَّ قرار التنظيم قضى بعدم المشاركة، إلا أن بعض القيادات التنظيمية، وبعض الأسرى ممن هم خارج القيادة في السجون، قد أعلنوا المشاركة بقرار ذاتي، يقول (ب. ك): *"بعد عام 2012م، أصبح لدي أكثر قناعة أنه الإضراب الجماعي فاشل إذا كان بأي ثمن، لازم يكون إله محددات إذا بده ينجح"*، *وبكلمات أخرى، فإنَّ* جزءاً من التساؤلات، التي فرضتها معركة الإضراب عام 2012م، هو التساؤل عن قيادة الإضراب: فمن القيادة في ظل التحولات التي أصابت تركيبة الأسرى، و(صراع الأخوة)، والعدد، الذي شكَّل أساساً في تعريف القيادة على مدار سنوات سابقة؟

[422] يوم الأسير الفلسطيني هو اليوم الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته عام 1974م؛ ليكون يوماً خاص بالأسير الفلسطيني.

واقع قرار وقيادة

"أصبح هناك إعادة صياغة لمفهوم القيادة، أنه فتح مش أتوماتيكياً القيادة." [423]

"القيادة ثمن بدك تدفعه." [424]

شكَّلت حركة التحرير الوطني (فتح) التنظيم الأبرز في السجون الصهيونية، وفرض هذا الأمر واقعاً خاصاً على مصير المواجهة، الذي ارتبط فعلياً بواقع الحركة تنظيماً في الخارج، واستمر ذلك حتى سنوات ما قبل أوسلو، التي أحدثت تحولاً هائلاً في مسار المواجهة، كما ذكرت الدارسة سابقاً؛ ما يجعل التحول في معركة (العهد والوفاء)، وبخاصة نوع القيادة وتعريفها، مرتبطاً بعوامل تاريخية تراكمية، لم تنتج من واقع مرحلة معينة فحسب، ولا من واقع عوامل آنية؛ ما يجعل أية محاولة للتساؤل عن القيادة في معركة الإضراب هو تساؤل مرهون بتاريخ المواجهة.

وهكذا، فإنَّ حديث (ب.ك)[425] يشير إلى إعادة صياغة مفهوم القيادة، وأنَّ حركة فتح ليست القيادة الأتوماتيكية؛ ما يفرض تساؤلاً عن الكيفية التي وصل بها الأسير إلى هذه النتيجة، فيما يتصل بضرورة إعادة مفهوم القيادة، وبخاصة في ربط هذه الإعادة بحركة التحرير الوطني (فتح)، وهنا لا بدَّ من التأكيد مجدداً على أنّ التساؤل عن خلاصات أية تجربة في السجن، مرهونة، كما ذكرت الدارسة، بالتاريخ؛ إذ لا يمكن الإجابة عنها إلا عبر النتائج التراكمية للتجربة، إضافة إلى عامل حاسم آخر، يتمثَّل في نوع القيادة في الخارج؛ إذ لا يمكن قراءة قيادة الأسرى، دون قراءة القيادة في (الخارج)، ومسار المواجهة التي تفرضها، ومن زاوية تاريخية، كانت حركة فتح، وفي أغلب الإضرابات عن الطعام، هي من تقود المعركة؛ بوصفها الأكثر عدداً.

---

[423] مقابلة مع (ب.ك).مصدر سبق ذكره.

[424] المصدر السابق.

[425] المصدر السابق .

وفي الحقيقة، كانت مشاركة الفصائل في إضراب عام 2012م، جماعية نسبية، من حيث العدد، على الرغم من أنَّ الفصائل جميعها، عدا حركة التحرير الوطني (فتح)، قد اتخذت قراراً تنظيمياً بالمشاركة، وهذا هو الجانب الأهم في قراءة قرار المواجهة، لا العدد فحسب؛ إذ يشكِّل العمود الأساسي في الإجابة عن مفهوم القيادة؛ ففي واقع الأمر، من يتسلم قرار المواجهة في بنية السجن هو القائد، وهذا هو التحول الرئيس، الذي كشفت عنه هذه التجربة، قياساً إلى تجارب الإضراب السابقة، ولعلَّ قرار فتح التنظيمي وإعلانها عدم المشاركة في المواجهة، هو من أوجد هذا التحول؛ فقد كانت فتح تاريخياً، بمثابة القيادة التلقائية لأية مواجهة بالإضراب عن الطعام، مع أنه في كل إضراب قيادة عليا تشارك فيها الفصائل كلها، لكنَّ أساس هذه القيادة مرتبط مع التنظيم الأكثر عدداً، وكل هذا لم يكن بمعزل عما مرت به التنظيمات خلال السنوات التي تلت مرحلة أوسلو، التي أضعفت الواقع التنظيمي، وفرضت مظاهر جديدة، كان أكثرها خطورة التكتلات العشائرية والقبلية، أو المناطقية، كما أشارت إليها الدارسة في فصول سابقة، فبفعل التكتلات غابت القدرة على المحاسبة نسبياً، وكذلك القدرة على تطبيق اللوائح التنظيمية، الخاصة بكل تنظيم. [426]

[426] إياد الرياحي. مصدر سبق ذكره. ص 22- 24.

حركة فتح، صراع وقرار

"لا أريد أن أعطي دروساً في التاريخ، لكن أقول بعض السطور: إنه وفي وقت الحرب العالمية الثانية، أنشأ النازيون معسكرات اعتقال، وقد عينوا ممثلين عن الأسرى، أطلقوا عليهم اسم الكابو، وهؤلاء اقتادوا أبناء جلدتهم إلى المحارق، واليوم.... السجون مليئة بالكابو .. تعلمهم جيداً، وكفى إعطاؤهم غطاء." [427]

ما هذه الكلمات إلا رسالة، وجهها أحد أسرى حركة فتح، رداً على قرار فتح التنظيمي عدم المشاركة في إضراب عام 2012م، وهي جزء من مجموعة المراسلات التي وجهها أسرى من حركة فتح، كشفت عن واقع ما وصلت إليه من تفكك وضعف واضحين، وهذا لا يعني أنَّ التنظيمات الأخرى، لم تكن تعاني من صراعات داخلية، لا فرق في ذلك بين الحركات الإسلامية واليسار، ولكن، تبقى حدتها ومستواها مختلفين من تنظيم إلى آخر.

وهنا، تود الدارسة التركيز على حركة فتح؛ بوصفها المحور الأساسي في أي قرار للمواجهة تاريخياً، وواقع ما شكَّلته من حركة قيادية، تعرضت لجملة من التحولات التاريخية المعقدة والمركبة، جعلتها على محك الوجود؛ بوصفها تنظيماً؛ فحالة الترهل والتشظي التنظيمي التي وصلت إليها حركة فتح، أنتج لكل سجن (فتح) الخاصة به؛ ما أدى إلى تعدد في القيادات وشكلها، وهنا، لا بدَّ من الإشارة إلى أنه لا يمكن فصل ما وصلت إليه حركة فتح من حالة، عن أدوات عنف السّجّان الممتدة من الخارج إلى الداخل، التي عملت على تحويل السجون إلى مملكات بفعل أدوات العنف الحديثة، وهنا، توضح مجموعة من المراسلات التي جرت في إضراب عام 2012م، حدة الانقسامات، التي وصلت إليها حركة التحرير الوطني (فتح) في ضوء قرار المواجهة.

[427] رسالة وجهها أحد أسرى حركة فتح في السجون. نادي الأسير الفلسطيني. أرشيف 2012م.

ففي 3 نيسان/ أبريل عام 2012م، أي قبل الشروع في الإضراب عن الطعام، تقول واحدة من الرسائل، التي وجهها ممثل التنظيم في سجن (عسقلان)، وهو من حركة فتح: *"بأنه وبناء على توجهات باقي السجون، سوف يتم التوجه إلى الإضراب العام المفتوح بكافة السجون؛ وذلك من أجل الضغط على الإدارة، بالوفاء بما تعهدت به بعد صفقة (شاليط)، والتي ضربت بعرض الحائط كافة الاتفاقيات، التي تم الاتفاق عليها، وذكر ممثل الأسرى بأنهم يطالبوا بإعادة كافة المكتسبات، التي كانت منذ عام 2004م، والسماح للأسرى باستكمال تعليمهم الجامعي، والسماح لأهالي غزة بالزيارة".*[428]

تترجم هذه الرسالة، بصورة واضحة، موقف أسرى حركة التحرير الوطني (فتح)، في سجن (عسقلان)، من نيتهم خوض الإضراب عن الطعام، دون أن يقتصر قرار فتح في (عسقلان) على المشاركة؛ إذ أعلن أسرى فتح في سجون أخرى قرارهم الإضراب عن الطعام، ولكن، ماذا يعني ذلك؟ إنَّ الصراع بين قرار فتح تنظيمياً عدم المشاركة في الإضراب، وقرار فتح الذاتي، الذي اتخذته بعض قيادات فتح في السجون، يضع المتلقي أمام التساؤل الأهم: من قيادة حركة فتح؟ وماذا يعني قرار حركة فتح التنظيمي؟

وتحمل رسالة أخرى، وجهها الموجه العام لسجن (إيشل)، وهو أيضاً من حركة فتح، يوضح فيها بعض التفصيلات الخاصة بقرارهم خوض الإضراب: *"إن موقف الأسرى في سجن (إيشل)، يتمثل بدعم أي خطوة تقوم على قاعدة القرار العام (الموحد لكل السجون)، وأضاف الموجه أن خطوة سجن (نفحة)، المتعلقة بزيارات أهالي غزة، والخوف منها إذا تم الذهاب بها معهم، أن هذه الإشكالية ستحل، وسيخسر الأسرى العديد من المسائل الأخرى، وقد خاطب أسرى غزة في سجن (نفحة) (11) أسيراً من غزة، متواجدين في سجن (إيشل)، وطالبوا بالانضمام لهم، وبعد جلسة تنظيمية في (إيشل)، مع أسرى غزة، أبدوا التزامهم بالقرار التنظيمي في سجن (إيشل)، وأنهم لن يخرجوا عنه،*

[428] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة لسجن عسقلان في 3 نيسان/ أبريل 2012م.

باختصار، الوضع الحالي في السجون، يعاني من بلبلة؛ بسبب الانقسام أولاً، وبسبب الإقدام على الخطوات الفردية، خاصة بعض الردود كانت محبطة من سجن (هداريم). [429]

وهكذا، فإنَّ واحدة من أهم نتائج الحوارات في حركة فتح قبل الإضراب، تتمثَّل في الصراع بين الأجيال، الذي فرضه قبل ذلك إضراب عام 2004م، ومن هنا، فإنَّ ما وصلت إليه حركة فتح من شك بجدوى الإضراب الجماعي بعد سنوات، مرتبط بصورة وثيقة بنتائج ذلك الإضراب، وجملة من العوامل التاريخية، كما ذكرت الدارسة سابقاً، وومن الواضح للجميع، أن الأسرى الذين تجاوزوا قرار فتح بعدم المشاركة، هم أسرى انتفاضة الأقصى، الجيل الجديد من الأسرى؛ ما أعاد صورة الصراع بين الأجيال مجدداً إلى واجهة المعركة، وبخاصة أنَّ أغلب ممثلي الأسرى في السجون في عام 2012م، كانوا من أسرى انتفاضة الأقصى، ممن يختلفون مع ما أبداه الأسرى القدامى من فتح، حول عدم التوجه للإضراب.

وقد راهنت إدارة السجون الصهيونية على الانقسامات، التي شهدها قرار الإضراب، ونظرت إليها على أنها سبب لكسر الإضراب، وبخاصة بعد قرار فتح التنظيمي بعدم المشاركة فيه؛ ما جعل قرار بعض ممثلي فتح في السجون خوض الإضراب، يمثِّل تحدياً يحمل طابعاً ذا مواجهتين، أمّا الأولى؛ فمع إدارة السجون الصهيونية، وأمّا الأخرى؛ فمع التنظيم، ولعلَّ الدافع الأبرز لعدم مشاركة أسرى حركة فتح في الإضراب، يتمثَّل في كون هذا الإضراب مبادرة من حماس؛ ما جعل إضراب عام 2012م، أول تجربة تُضرب بسيف الانقسام بصورة علنية، نتج عنها انقسامات جديدة وتفصيلات، لم تكن قائمة من قبل، كترسيخ المناطقية بين أسرى الضفة وغزة بصورة أعمق، وسقوط جسد الحركة الأسيرة .[430]

---

[429] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (إيشل) 2012م.

[430] من مجموعة من المقابلات حول إضراب عام 2012م، (ع.ب) (ع.م)، و(ب.ك)

وعلى الرغم من ذلك كله، فإنّ الانقسام بالقرار عام 2012م، لا يعني أنه حالة استثنائية في تاريخ الحركة الأسيرة؛ فقد شكَّلت الصراعات التنظيمية، حول التوجه للمواجهة بالإضراب عن الطعام،[431] محطة لابدَّ من عبورها قبل أية معركة، لكن، الطابع الخاص في هذا الإضراب، هو الصراع البارز بين حركتي فتح وحماس، من جهة، وبين أفراد حركة فتح نفسها، من جهة أخرى، وما نتج عن الأخير، في نهاية المطاف، من قرار فتحاوي، عليه كثير من التساؤلات، ممثلاً في عدم المشاركة.

ففي سجن (نفحة)، قرر أسرى فتح غزة الدخول في الإضراب مجموعات، وليس بالكامل، بمشاركة كاملة، تشمل حماس، والجهاد، والجبهة الشعبية والديمقراطية، وفي مراسلات 16 نيسان / أبريل، أعلن ممثل الأسرى عن حركة فتح في (عسقلان) أن الإدارة اجتمعت معهم؛ لتأجيل إعلان الإضراب، وهذا ما رفضه الأسرى، كما تضمنت الرسالة أعداد الأسرى المشاركين في الإضراب؛ إذ كانوا أكثر من (1600) أسير، بينهم 280 أسير من حركة فتح في (إيشل) و(100) في سجن عسقلان، و(240) في (نفحة)، و(200) في ريمون، فيما ستشارك الفصائلكافة، وعلى رأسها حماس، بصورة كاملة في الإضراب. [432]

وهكذا، فقد عادت لغة الغضب تسيطر على مراسلات أسرى حركة فتح من ممثليهم، وبخاصة أسرى انتفاضة الأقصى؛ ففي رسالة وجهها أسير آخر، وهو من الجيل نفسه، يقول: *"إنكم تستشهدون ببعض القيادات والأشخاص، على أنهم يخوضون الإضراب، ولكن، للأسف هذه العناوين لم تدخل الإضراب، والتاريخ سيشهد بأنهم دائما من يعطل أي إضراب، ونحن نخوض معركة حاسمة، وأن إدارة السجون تحاول أن تحاربنا بالسجون التي لم يعلنوا إضرابهم عن*

[431]انظر أيضاً: حافظ أبو عباية الشمس: (منتصف الليل) ، وأبو علي شاهين: (الهواء المقنع)، وعلي شواهنة: (إضراب الكرامة 2012م)، حول الانقسامات على قرار الإضرابات التاريخية، ومنها إضراب 2012م.

[432]نادي الأسير الفلسطيني. زيارة لسجن (عسقلان) في 16 نيسان/ أبريل 2012م.

الطعام"؛[433]فقد عمل مشهد الصراع والقرار في رواية أسرى حركة فتح، على إعادة تعريف الصراع مجدداً، وكذلك القرار؛ فالصراع هنا، هو صراع فتحاوي فتحاوي، تحاول إدارة السجون الصهيونية تعزيزه؛ لإبقاء التنظيم الأكثر عدداً، في حالة ضعف وتفكك، عبر منظومة من الأدوات، التي فرضتها على مدار سنوات، وصولاً إلى تلك اللحظة، وبخاصة عبر فرض حالة من التباين من سجن إلى آخر، وتعزيز حالة التصنيف والتقسيم والمناطقية، والإغراق المالي، وخلق قيادات بديلة، عبر عزل القيادات المؤثرة في السجون.

وكان من الطبيعي، أن ينعكس واقع ما وصلت إليه حركة التحرير الوطني (فتح) على قرار المواجهة، ولكن التساؤل الأهم هنا: كيف وصل الأمر بأسرى يوصفون بأنهم قادة في حركة فتح، إلى اتخاذ قرار بعدم المشاركة؟ ففي رسالة وجهها أحد قادة فتح، من القدامى، يقول: *"إن أكبر الانتصارات، متى يتم تحقيق كل المطالب، دون معاناة، هو الخيار الأمثل للحركة الأسيرة، ولكن اليوم، نحن أمام وضع قائم، حيث أن مئات من الأسرى، ومن كافة الفصائل، دخلوا الإضراب عن الطعام منذ 17 نيسان، بينما لا زال الآلاف يدقون طبول المعركة، ولم يدخلوها بعد .. قد يكون هذا الوضع مثالي لتحقيق الإنجاز والمطالب خلال فترة وجيزة، وتقصير من عمر الإضراب، إذا ما تم استغلاله جيداً... لذلك، سيكون للأخوة المضربين عن الطعام دور هام، وهام جداً، من خلال الضغط على مصلحة السجون، ودور أهم، بل وحاسم للأخوة، الذين لم يدخلوا في الإضراب..إذا ما أجادوا لعب هذا الدور بحكمة وتكتيك."* [434]

والسؤال الذي يفرض ذاته هنا: كيف وصل الأسير، وهو من قادة حركة فتح، إلى هذا الاستنتاج؟ وهل فعلاً،كانت هناك إمكانية لتحقيق الأسرى مطالبهم، دون مواجهة؟ والإجابة هنا مبنية على مسار الإضراب، فهو وحده القادر على التفسير والتحليل، ولكن، مع الأخذ بعين الاعتبار، أنَّ وصول الأسير إلى هذا الاستنتاج، لم يكن بفعل مرحلة عام 2012م فحسب، وإنما هو خلاصة نتائج تاريخية وصلت إليها حركة فتح.

---

[433] نادي الأسير الفلسطيني. زيارة لسجن (عسقلان) في 22 نيسان/ أبريل 2012م.

[434] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة لسجن (هداريم) في 24 نيسان / أبريل 2012م.

سجن (بئر السبع إيشل) نموذجاً

"لقد تحولنا في(إيشل) إلى مجموعة خارجة عن الصف الفتحاوي." [435]

شكَّل أسرى سجن (إيشل) نموذجاً استثنائياً في إضراب عام 2012م؛ عبر قرارهم خوض الإضراب عن الطعام، وبخاصة أنّ تمثيل السجن كان فتحاوياً، وذلك على الرغم من قرار فتح التنظيمي بعدم المشاركة، يقول (ع.د)، وهو الموجه العام آنذاك: *"لقد أخذنا قرار بالذهاب إلى الإضراب، بتاريخ 1 أيار/ مايو 2012م، واكتشفنا بعد البدء بأن لا أحد معنا، وكان عنا التزام من سجون(النقب)، و(عوفر)، وقسم من (شطة)، و (مجدو)، والباقين قالوا: إما نلتحق، أو نتضامن، وكان الاتفاق مع الجميع، من دخل ولم يدخل، أنهم جزء لا يتجزأ من لجنة الحوار .. وقد باركت اللجنة المركزية لحركة فتح في الخارج هذه الخطوة .. لنكتشف لاحقاً أننا لوحدنا."* [436]

فرض قرار سجن (إيشل) معنى للمصير، ليس فقط من واقع القرار الذاتي بالشروع في الإضراب، بل من نوع المواجهة المفروضة عليهم، وبخاصة بعد أن أصبح هؤلاء الأسرى *"مجموعة خارجة عن الصف الفتحاوي"*؛[437] فالمواجهة لم تقتصر على مواجهة إدارة السجون الصهيونية فحسب، وما استخدمته في حق أسرى (إيشل)، من مستوى عالٍ من العنف؛ ما جعل هؤلاء الأسرى في مواجهة مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، من جهة، وأخرى حتمية مع التنظيم.

وقد استغلت إدارة السجون الصهيونية الصراع التنظيمي، حتى وصل الأمر، كما يشير (ع.د) في واحدة من المراسلات: *"إلى أن مدير السجن، جمع الشباب في الساحة، وهم مكبلين، وراكعين، وخطب بهم، أنه فتح زعلانة منكو، وأنكم ستعاقبون تنظيمياً؛ لإقدامكم على هذه الخطوة"*، غير أنَّ ما حصل في واقع الأمر، أنَّ التمثيل التنظيمي

---

[435] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (إيشل) في 20 أيار/ مايو 2012م.

[436] مقابلة مع (ع.ة).مصدر سبق ذكره.

[437] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (إيشل) في 20 أيار/ مايو 2012م.

للأسرى الذين قرروا الإضراب في (إيشل)، قد خُرق عبر فتح من السجون الأخرى؛ بعزل قيادة الإضراب في السجن، والضغط عليها عبر التواصل مع أسرى حركة فتح غير المنخرطين في الإضراب؛"[438] لتعود لغة الغضب إلى (جيل انتفاضة الأقصى) مجدداً، ممن وصفوا قرار فتح بالمذل والمخزي.[439]

ولعلَّ الخطورة في قرار حركة فتح هنا، تتمثَّل في حالة (التجانس) بين موقف حركة فتح، التي قررت عدم خوض الإضراب، وإدارة السجون الصهيونية، التي سعت إلى استغلال الانقسام بين حركتي فتح وحماس، عبر خلق قيادات بديلة من فتح، كانت على استعداد تام لمحاورة إدارة السجون الصهيونية،؛ لسبب واحد يتبلور في أن قرار المواجهة كان نابعاً منحركة حماس، ليثير هنا تساؤلاً عن معنى المصير الفتحاوي، ونظيره الحمساوي، في بنية واحدة هي السجن.

وعلى الرغم مما أحاط إضراب عام 2012م، وبخاصة واقع أسرى حركة فتح، إلا أن نتائجه قد شكَّلت محطة مهمة، لها أبعادها التاريخية في المواجهة بالإضراب عن الطعام، وذلك بفعل مجموعة من العوامل، أهمها الصراعات التنظيمية ،التي أسقطت جسد الحركة الأسيرة بوصفه جسداً في المواجهة، وفي محاولة السيادةوتقرير المصير، وممارستهما.

استعادة الانتصار... نهاية معركة إضراب عام 2012م

يخضع مفهوم الانتصار والهزيمة في السجن دوماً للنقاش والجدل، وغالباً ما يقرن الأسرى نتيجة أي إضراب بمدى تحقيقه المطالب، إلا أنَّ هذا لا يعني أنّها تنحصر بهذه القائمة، وهذا ما أشارت إليه الدارسة سابقاً، عبر حديثها عن إضرابات تاريخية، خاضتها الحركة الأسيرة؛ فنتاج المواجهة تراكمي أكثر من كونه آنياً، ومع ذلك أثبت إضراب

[438] نادي الأسير، أرشيف إضراب عام 2012م.
[439] نادي الأسير، أرشيف إضراب عام 2012م.

2012م مجدداً، مفهوم الانتصار لدى الأسرى، عبر ما حققوه بعد 28 يوماً، فكان إنهاء عزل نحو 20 أسيراً من قيادات الأسرى، إجابة شافية لمعنى الانتصار، كيف لا، وقدكان ذلك المطلب الأول للأسرى آنذاك؟

ومن الجدير ذكره، أنَّ الدارسة، ستعرض الانتصار هنا، عبر رواية الأسرى المعزولين، بعد أن خرجوا من الزنازين الانفرادية، فقد كانت أولى رسائل الأسير محمود عيسى، الذي عُزِل عشرة أعوام، يقول فيها: *"لم أصدق في البداية أنه سيتم إنهاء عزلي، وعرفت النبأ بعد أن نشر نادي الأسير ليلا الخبر، ونقله له بعض الأسرى الجنائيين، إلى أن جاء إليه مدير السجن في الصباح، وأبلغه بقرب نقله .. وتم نقله إلى (هداريم)، وهو ينتظر زيارة عائلته التي حرم منها عشر سنوات"*،[440] *وفي رسالة أخرى، للأسير محمد عرمان، أحد قادة حركة حماس، يقول المحامي الذي تمكن من زيارته أول مرة بعد العزل: "كنا نزور الأسير عدة مرات في السابق أثناء تواجده في عزل (ريمون)، ولكن، كأنني أقابله لأول مرة. فهو شخصية لا علاقة لها بالأولى، شخص تعلو الابتسامة على وجهه، ولم تفارقه، طوال الزيارة."* [441]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ اللغة التي فرضتها هذه الرسائل، تنبع من قوة العنف الذي فرضه المستعمِر على المستعمَر (الأسير)، التي أعطت معنىً خاصاً، تتوقف أمامه محاولة التفسير؛ لتكون كافية لإعطاء معنى آخر للحركة داخل بنية السجن؛ فالحرية من العزل الانفرادي، سبقت معنى الحرية الكبيرة من السجن، وهذا له دلالته الكبيرة في وصف بنية السجن، وكأنها طبقات وتقسيمات حتى في معنى الحرية، وهذا ما يُشير إليه الأسير محمد عرمان، بعد خروجه من العزل: *"الشعور عند الدخول، شعرت بأني مفقود، وعند الخروج، شعرت بأنني مولود، حتى وإن كان من ضيق السجن إلى ضيق أوسع بقليل في السجن، رأيت الوجوه التي غيبت عنها من فترة، وأعتبرها قصيرة بالنسبة لغيري، أمثال محمود عيسى، وحسن سلامة، وعبد الله البرغوثي، وإبراهيم حامد، وجمال أبو الهيجا، يوم الخروج، كان الخميس، واليوم الثاني، كان الجمعة، وهذه الجمعة الأولى، التي أصلي بها جماعة بعد فترة، كان شعورا أكثر من رائع.. واليوم،*

[440] نادي الأسير الفلسطيني. زيارة سجن (هداريم) في 14 أيار/ مايو 2012م.

[441] نادي الأسير الفلسطيني. زيارة سجن للأسير محمد عرمان. 2012م.

جئت إلى المحامي، بدون قيود في القدمين؛ مما جعلني ألوح برجلي التي تعودوا أن يروها مكبلة طوال فترة الزيارة"،[442] أمّا الأسير إبراهيم حامد؛ فقد وجه رسالة، بعد إنهاء عزله، قال فيها: *" بالنسبة لأمثالنا الذين كنا نعيش في عزل مفتوح وخارج حدود الزمن، وكنا نتلمس أي فرصة لكسر هذا القيد الثقيل، وأرجو أن تكون الدروس والعبر مما حدث مليئة ومؤثرة، خاصة بعد أن أعاد الاعتبار للفعل النضالي للحركة الأسيرة، الذي لطالما شكونا من غيابه، طلية السنوات الماضية."* [443]

ولعلَّ قوة المعنى في تلك الرسائل، نابعة من قوة المواجهة؛ ما يجعلها تترك تحولاً مهماً في واقع الأسرى، وبخاصة حركة حماس، والجبهة الشعبية، التي شكَّلت داعماً أساسياً للمواجهة، كونها أول من تمكَّن من تحريك المياه الراكدة، ودفع نحو المواجهة بالإضراب عام 2011م، بعد سنوات من انحدارها؛ ما ترك أثراً مهماً على قيادة الجبهة الشعبية في السجون، ومنح معنى جديداً لمفهوم القيادة، التي شكَّل فيها قرار المواجهة المعنى الأساسي لها.

أمّا حركة فتح؛ فقد غرقت في الاتهامات، والتبرير، ومحاولة استعادة ما تبقى من ماء الوجه؛ ففي رسالة من أحد قيادات حركة فتح في سجن (هداريم)، يقول: *" يود أن يؤكد أنه ليس هو شخصيا من رفض الدخول بشكل جماعي، وليس لأحد أن يتهمهم في (هداريم)، وأن الفئة التي لم تضرب فاوضت ونجحت، وكان الحديث بالبداية عن إخراج ستة أسرى من العزل، وحسب تقييمهم؛ فقد وجدوا أن لديهم قناعة أن موقفهم كان موضوعي."* [444]

وستكتفي الدارسة هنا، برسالة أخرى، من أسرى حركة فتح، وجهها أحدهم عقب انتهاء الإضراب، قال فيها: *"الموضوع تجاوز الخطوط الحمر؛ فلم تعد هذه هيئة تنظيمية، وإنما عصابة تعدت الحدود، ولم يعد بالإمكان أن*

---

[442] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (رِيمون). في 20 أيار/ مايو 2012م.

[443] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 23 أيار/ مايو 2012م.

[444] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 23 أيار/ مايو 2012م.

نقف ونتفرج، فهل يعقل بظروف في غاية الصعوبة وحاسمة أن يتم طردي و5 أسرى فتحاويين من القسم؛ بسبب أخذنا موقف الدخول في الإضراب؟" [445]

وهنا، لا بدَّ من الإشارة إلى الواقع في الخارج كله كان داعماً للمعركة والإضراب، على مستويات متعددة، وبخاصة تدخل مصر آنذاك؛ إذ كان للقيادة المصرية دور واضح في دعم مطالب الأسرى، وارتبط ذلك بالتحول الذي أصاب تلك القيادة حينها، وهذا ما أكده الأسرى ممن خاضوا الإضراب؛[446] فقد تمكنوا من استعادة زيارات عائلات أسرى غزة، وإخراج أغلب القيادات المعزولة منذ سنوات، فضلاً عن استعادة الروح الجمعية في المواجهة، ولعلها المكسب الأبرز في هذه المعركة، وبخاصة بعد الضربة التي تلقتها الحركة الأسيرة في إضراب عام 2004م، إضافة إلى مجموعة من المطالب الحياتية، التي تمكنوا من تحقيقها بنسب متفاوتة من سجن إلى آخر.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ هذا الإضراب قد شهد تجربة خمسة أسرى إداريين، كانوا قد شرعوا في الإضراب قبل الإضراب الجماعي، وصل بعضهم فيه أكثر من 70 يوماً، ومنهم: الأسير ثائر حلاحلة، وبلال ذياب،[447]وقد انتهى الأمر بإنهاء إضرابهم، بعد التعهد بالإفراج عنهم، وفعلياً، شكَّلت المعارك الذاتية آنذاك، انطلاقاً من إضراب خضر عدنان، ومن لحقه، زخماً وقوة ودعماً للمواجهة بالإضراب؛ فعودة الإضرابات على اختلافها، أوجدت معنىً جديداً لحضور المواجهة بعد الغياب، وولدت بهذا الانتصار نوعاً جديداً (للحرية)داخل الأسر.

كما ترك إضراب عام 2012م أثراً واضحاً على المؤسسات التي تُمثل الأسرى، في الخارج، وبخاصة الفتحاوية التي جوبهت بمقاطعة من أسرى حركة فتح في بعض السجون، ومنها نادي الأسير الفلسطيني، الذي اعتمدت الدارسة على أرشيفه ومراسلاته في البحث، وقد جاء ذلك بصورة علنية من عدد من السجون، أبرزها أسرى سجن

---

[445]نادي الأسير الفلسطيني. أرشيف 2012م.

[446]ورد ذلك في مجموعة من المقابلات للأسرى المحررين الذين خاضوا الإضراب، (ع.ة)، (ع.م)، (ب.ك).

[447]توثيق جمعية نادي الأسير الفلسطيني. شهر أيار 2012م.

(ريمون)،[448] وهكذا، فقد فرضت هذه المعركة تحولاً تاريخياً مهماً على صعيد المواجهة بالإضراب عن الطعام، وبخاصة في معنى القرار وأثره على مصير التنظيمات، والأهم، معنى السيادة داخل بينة السجن، حينما يتولى الأسير قرار المواجهة.

إضراب عام 2014م ما قبل معركة

تمهيداً للوصول إلى تجربة إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م، لابد من التوقف عند قضية مركزية، تتمثَّل في قضية الإفراج عن الأسرى القدامى،[449] التي جرت بين السلطة الفلسطينية، والاستعمار الصهيوني في إطار ما تسمى عملية المفاوضات عام 2013م؛ ففي ذلك العام، أفرجت سلطات الاستعمار الصهيوني عن (87) أسيراً، ممن اعتقلتهم قبل توقيع اتفاقية أوسلو، ورفضت الإفراج عنهم سابقاً في إطار المفاوضات، أو ما تلاها من صفقات تبادل، وقد بلغ عددهم مع بداية عام 2013م (108) أسير، تحرر منهم (87) أسيراً في دفعات ثلاثة، في كل منها (26)،[450] وفي شهر آذار من عام 2014، كان من المفترض أن يُفرج عن بقية الأسرى القدامى، وعددهم (30) أسيراً، إلا أنَّ سلطات الاستعمار الصهيوني، كعادتها، نكثت بالاتفاق، ورفضت الإفراج عنهم، وأقدمهم الأسيران كريم يونس،[451] وماهر يونس. [452]

وقد أعادت قضية الأسرى القدامى كثافة التساؤلات عن مصير الأسرى في سجون الاستعمار الصهيوني، ومسار المواجهة اللازم لتحريرهم، والدور الذي تؤديه السلطة الفلسطينية بعد أوسلو،[453] وما نتج عنه من واقع في

[448] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 30 أيار/ مايو 2012م.

[449] الأسرى القدامى: هم الأسرى المعتقلون قبل توقيع اتفاقية أوسلو، وعددهم حتى إعداد هذا البحث وفق توثيق مؤسسات الأسرى، (26) أسيراً.

[450] توثيق نادي الأسير الفلسطيني أرشيف عام، 2013م.

[451] كريم يونس: أقدم أسير فلسطيني في سجون الاحتلال معتقل منذ عام 1983م.

[452] ماهر يونس: ثاني أقدم أسير فلسطيني في سجون الاحتلال معتقل منذ عام 1983م.

[453] انظر أيضا: قدورة فارس وآخرون. هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام، وعيسى قراقع. الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو.

الخارج والداخل، لتشكل بذلك أسئلة تاريخية عن مصير (30) أسيراً وبقائهم قيد الاعتقال، على الرغم من (38) عاماً، على اعتقال بعضهم،[454] حتى إعداد هذا البحث، واستشهاد آخرون داخل السجون.[455]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ قضية الأسرى القدامى، قد أعادت لغة الخذلان والغضب إلى رواية الأسرى، التي حضرت بقوة في مراسلاتهم، وهذا جزء منها: *"قررنا أن لا نسمح بأن يحدث هذا، لم يبق في أعمارنا وأعمار أهالينا ما يكفي للانتظار... لقد قررنا أن نخوض إضراب حرية أو استشهاد، سيكون هذا الإضراب قريباً، وسنختار التوقيت المناسب، نريد أن نضع القيادة الفلسطينية أمام أخطائها؛ لأننا إن لم نفعل، ولن نتحرك؛ فإننا سنكون قد أجرمنا بحق أنفسنا، وحق قضية الأسرى."* [456]

ورسالة أخرى من ممثل المعتقل في سجن (هداريم)، يصف فيها حال خمسة من الأسرى القدامى، وهم: (كريم يونس، وماهر يونس، ووليد دقة، وناصر أبو سرور، ومحمود أبو سرور) بقوله: *"يدور نقاش جدي بين هؤلاء الإخوة، وأود إطلاعكم أن لديهم نية جادة على أن يقوموا بالخطوة النضالية الأخيرة في مسيرتهم؛ فهم لن يعطوا أي فرصة أخرى للإجرام بحقهم، وتركهم لسنوات طويلة أخرى، فلم يبقى في أعمارهم ولا في أعمار أهلهم الكثير ليصبروا مزيدا من الوقت، ومزيدا من المعاناة."* [457]

ولعلَّ أهم ما في هذه المراسلات، هو ما تضمنته من رسائل واضحة للسلطة الفلسطينية أولاً، والاستعمار الصهيوني ثانياً؛ فقد فرض أغلب هذه المراسلات، وبخاصة الصادرة بعد عام 2004م، رواية مزدوجة في مضامينها، منها ما هو للسلطة الفلسطينية، ومنها ما هو للاستعمار الصهيوني.

---

[454] الأسيران: كريم يونس وماهر يونس دخلا عامهما الـ(38) في سجون الاستعمار الصهيوني.

[455] أستشهد خلال عام 2019م، الأسير فارس بارود من غزة، وهو معتقل منذ عام 1992م، نتيجة سياسة الإهمال الطبي المتعمد (القتل البطيء) التي تعرض لها طوال سنوات اعتقاله، إضافة إلى سياسة العزل الانفرادي التي تعرض لها.

[456] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 11 أيار/ مايو 2014م.

[457] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 11 أيار/ مايو 2014م.

وظلَّت قضية الأسرى القدامى في تصاعد، وصولاً إلى عام 2014م؛ لتصبح هذه اللغة بمثابة المشترك الأهم بين جيل الأسرى القدامى، و(جيل انتفاضة الأقصى)، ولعلَّ تصاعد الرواية الموجهة للسلطة والاستعمار، هو الوجه الحقيقي لما أصاب مصير الأسرى بعد أوسلو؛ ليُكرر هنا؛ بوصفه امتداداً لها، فالتاريخ يعيد نفسه؛ ما يعني أنَّ لغة الغضب، لم تكن محصورة بالجيل الجديد من انتفاضة الأقصى فحسب، بل شكَّلت امتداداً للغة تاريخية بين الأجيال، كانت نتاجاً تراكمياً لمراحل تاريخية.

ومع ذلك، تبقى لغة الأسرى القدامى، (المعتقلين قبل توقيع أوسلو)، تحمل طابعاً ثورياً خاصاً، وهذا ما توضحه المراسلات، التي تشير واحدة منها إلى الأسير ماهر يونس: *"من بعد 32 عاماً، ممكن أن ينتظر أيام أو أسابيع، ولكنه متيقن أنه سيطلق سراحه، فهو إنسان يؤمن بعدالة قضيته، وكمال قال: الثائر لا ييأس، فإذا وصل إلى مرحلة اليأس؛ فقد الهدف، فالأسير بعد 32 عاماً، لن يكون أناني، ويفكر بإطلاق سراحه فقط، وينسى القدس والاستيطان واللاجئين... فهو إنسان حر لا يفكر بأنانية"*،[458] غير أنَّ هذا لا يعني افتقار رواية الجيل الجديد إلى تلك اللغة، بل إنها اتخذت تساؤلات ذاتية بصورة أكبر، وهذا ما أشارت إليه الدارسة، عبر الحديث عن تجربة الإضرابات الذاتية، وروايتها الخاصة.

وقد ظلَّت قضية الأسرى القدامى مسيطرة على المشهد في السجون، حتى آخر أيار/ مايو 2014م، وبرزت قضايا أخرى إلى جانبها، منها إعادة بعض قيادات حركة حماس إلى العزل، بعد خروجها منه في إضراب عام 2012م، ولعل الأمر اللافت للانتباه، أنه في خضم كثافة الهجمة التي بدأتها إدارة السجون الصهيونية، مع نهاية 2013م، وبداية عام 2014م، وتصاعد سياسة الاعتقال الإداري، واستمرار الإضرابات الذاتية لدى أسرى (حماس)، والجهاد الإسلامي، أعلن الأسرى الإداريون، في نهاية عام 2013م، عن سلسلة خطوات؛ لمواجهة اعتقالهم الإداري، كان من

[458] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 10 نيسان/ أبريل 2014م.

بينها مقاطعة المحاكم العسكرية الصهيونية، والإضراب الاحتجاجي الأسبوعي؛ لتشكل هذه العوامل كلها محركات تراكمية لاستعادة لغة المواجهة وخياراتها، التي فرضت إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م.[459]

إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م

إنَّ أهم استنتاج، يمكن فهمه عبر سياقات قرارات الإضرابات، هو وجود محركات وعوامل تراكمية، أسهمت في بلورتها، مباشرة أو غير مباشرة؛ أمّا الأولى؛ فتتمثَّل في الدفع المباشر إلى الإضراب، كالعنف البنيوي في منظومة السجن، وأمّا الأخرى؛ فتعني فرض حالة لضرورة وجود مواجهة في السياق العام لواقع الأسرى، ومن ذلك، ما تلا إضراب عام 2012م، الذي نجح في إنهاء العزل الانفرادي لمجموعة من قيادات الأسرى، فقد انقضَّت إدارة السجون الصهيونية مجدداً على إنجازاته، وأعادت عزل مجموعة من قيادات أسرى حركتي حماس، والجهاد الإسلامي، منهم: إبراهيم حامد،[460] ومراد نمر،[461] ونهار السعدي،[462] وضرار أبو السيسي،[463] الذي استثنته السلطات الصهيونية من الحوار عام 2012م، وأصرت على استمرار عزله؛[464] لتُشكل قضية العزل مجدداً؛ بوصفها جزءاً من بنية العنف، محركاً أساسياً لاستعادة خيار المواجهة وفرضها.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ الحديث عن ضرورة استعادة المواجهة قد لازم الأسرى؛ فمنذ بداية عام 2014م، خاضت قيادات من حركة حماس إضرابات ذاتية عن الطعام؛ لإنهاء عزلها، منهم الأسيران إبراهيم حامد، وعباس

---

[459] أرشيف جمعية نادي الأسير الفلسطيني لعام 2014م.

[460] الأسير إبراهيم حامد: أحد قادة أسرى حركة حماس، محكوم بالسجن 54 مؤبداً، خاض إضراباً ذاتياً بداية عام 2014م، ولحق به مجموعة من الأسرى رفضاً، لإعادة عزله، تقرير زيارة – نادي الأسير الفلسطيني، في 21 كانون الثاني/ يناير 2014م سجن أوهليكدار.

[461] الأسير مراد نمر: محكوم بالسجن المؤبد، وقد تعرض للعزل الانفرادي سنوات، بيان صادر عن نادي الأسير في 1من كانون الأول/ ديسمبر 2013م.

[462] الأسير نهار السعدي: من أسرى حركة الجهاد الإسلامي، تعرض للعزل سنوات، محكوم بالسجن 4 مؤبدات و20 عاماً، أرشيف نادي الأسير الفلسطيني.

[463] الأسير ضرار أبو السيسي: من أسرى حركة حماس، اعتقل عام 2011 م، في عملية خاصة لقوات الاستعمار الصهيوني، وجرى عزله سنوات، وخاض إضراباً عن الطعام نهاية عام 2013م، وبداية عام 2014، واستمر 13 يوماً؛ رفضاً لاستمرار عزله، تقرير زيارة – نادي الأسير الفلسطيني في 2 كانون الثاني/ يناير 2014م، سجن (إيشل – بئر السبع).

[464] نادي الأسير الفلسطيني. أرشيف عام 2012م.

السيد؛[465] ففي 22 كانون الثاني/ يناير 2014م، وجه الأسير إبراهيم حامد رسالة قال فيها: "*سيكون التاسع من نيسان، وهو التاريخ الذي من المفترض أن ينتهي فيه عزلي، يوماً تاريخياً لخطوة نضالية أخوضها في حالة إذا استمرت المخابرات الصهيونية بعزلي*"،[466] فها هي منجزات الأسرى التي تحققت عبر الإضراب الجماعي، عادت لتتخذ شكلاً آخر من المواجهة، التي انحدرت نحو المواجهة الذاتية؛ حفاظاً على تلك المنجزات؛ ما دفع الأسرى، الذين أُستهدفوا لاحقاً، بسياسة العزل أو الحرمان من الزيارة أو العلاج، إلى اللجوء إلى الإضراب الذاتي؛ ما يعني أنَّ التحول في مسار المواجهة، يفرض تساؤلاً من جديد، حول المواجهة الجماعية، والمواجهة الذاتية والعلاقة بينهما، والأهم من ذلك، علاقة المد والجزر بين الأسرى وإدارة السجون الصهيونية في بنية السجن، وفضلاً عن معنى الانتصار، الذي تُثار حوله أسئلة متعددة.

ولا يخفى على أحد، أنَّ مجمل التعقيدات والتناقضات المركبة، التي يعيشها الأسير في السجن، غالباً ما كانت تؤدي إلى انفجار، تنتهي قمته وصولاً إلى تجربة الإضراب عن الطعام، بعيداً عن التفكير في مسارها ومصيرها في كل مرة، وبات واضحاً أنَّ العنف وسلب منجزات الأسرى مجدداً، في عامي 2013م، و2014م، قد أدى إلى مواجهة جديدة، حتى وإن لم تكن في حينها جماعية، وهذا ما ستعرضه الدارسة لاحقاً، في إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م؛ بوصفه إضراباً خاضته فئة محددة منهم؛ إذ تشير البيانات الصادرة عن نادي الأسير في نهاية عام 2013م، إلى أن معركة الأسرى الإداريين، كانت قد بدأت قبل الإعلان عن خوض الإضراب المفتوح عن الطعام، وأن عدد الأسرى الإداريين آنذاك قد بلغ 200، [467] وأنه في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2013م، صدر بيان عن الأسرى الإداريين حول إجراءات إدارة السجون الصهيونية في حقهم؛ نتيجة استمرارهم في خطواتهم النضالية، قالوا فيه: "*إن مصلحة سجون الاحتلال، فرضت عليهم عقوبات تعسفية؛ ردًا على استمرارهم في خطواتهم النضالية؛ لوقف سياسة*

[465] عباس السيد: أحد قادة أسرى حركة حماس، وقد تعرض للعزل الانفرادي سنوات، وهو محكوم بالسجن 35 مؤبداً و50 عاماً.

[466] بيان صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 22 كانون الثاني/ يناير 2014م.

[467] مجموعة تقارير صادرة عن نادي الأسير الفلسطيني عام 2013م.

الاعتقال الإداري، وأن حالة من الارتباك تسيطر على ردود مصلحة السجون بخصوص قضيتهم. وأوضح البيان أبرز هذه العقوبات، التي فرضتها، كانت حرمانهم من زيارة الأهل والفورة عدا ساعة واحدة في اليوم، إضافة إلى نقل عدد منهم إلى غرف العزل الانفرادي، وتحديدا في سجن (النقب الصحراوي)، وأن مصلحة السجون تهدد بنقل وتشتيت الأسرى الإداريين؛ في محاولة للضغط عليهم وإفشال خطواتهم، وبذلك نعلن بأنه سيكون هناك إضراب عن الطعام ليوم واحد من كل أسبوع." [468]

وهكذا، فقد بدأ الأسرى الإداريون، وأغلبهم من حماس، والجهاد، والجبهة الشعبية، بحوار من أجل الإعلان عن نيتهم خوض معركة الإضراب عن الطعام، وأعلنت حركة فتح مجدداً، عدم مشاركتها في الإضراب؛ لأسباب ستذكرها الدارسة لاحقاً، ويشير (س.ب)، وهو واحد من الأسرى الإداريين، الذين قادوا الإضراب عن الجبهة الشعبية: *"أنا كنت بحوار مع شباب حماس تحديدا، رغم أنه مش مقتنعين بالمرحلة وبالطريقة، وكنا بدنا خطوات من ضمنها مقاطعة المحاكم ومقاطعة العيادة.. وآخر ليلة، قررنا نروح من زاوية (فزعة عرب)، وثاني يوم، إطلعنا لا حضرنا نفسياً ولا بلغنا أهلينا، ودخلنا في المعركة، وطبعاً المخابرات والاستخبارات أجوا حكوا إللي في الليل هذا إضراب لحماس، وإذا إنت رايح راح تروح الجبهة، وإحنا بنحملك المسؤولية."* [469]

ولا يخفى على أحد، أنَّ قرار الإضراب يشكِّل المرحلة الأساسية لتحديد مصيره؛ وبقراءة ما أشار إليه (س.ب)، وما ورد في مراسلات ممثلي التنظيمات في السجون، يمكن ملاحظة الاعتراض الواضح على خطوة الإضراب في حد ذاتها، أو توقيتها، فضلاً عن أسباب أخرى للاعتراض، كما أعلن أسرى فتح الذين يُشكلون الأقلية، قياساً الأسرى الإداريين، ومن هنا، فإنَّ توافق الجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية مع حماس، يمثِّل دافعاً أكبر، كيف لا، وأعداد

[468] بيان صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2013.م

[469] مقابلة مع (س.ب) مصدر سبق ذكره.

الأسرى الإداريين من هذه التنظيمات أعلى؟[470] وعلى الرغم من الاختلاف الأيديولوجي الكبير بين التنظيمين، إلا أنه وللمرة الثانية، منذ عام 2012م، تُشارك الجبهة الشعبية في إضراب، تقوده حركة حماس، وتؤدي فيه دوراً مهماً ومصيرياً؛ لتشكَّل المواجهة صيغة الطريق الواحد أمام السّجّان، ومع ذلك، وبالعودة إلى ما أشار إليه (س.ب) *(بفزعة عرب)* التي تؤكد أن الذهاب إلى المعركة في هذا الإضراب، لم يكن مدروساً بما يكفي.

ويقول (س.ب): *"إن الاعتراض الذي صدر عن الجبهة الشعبية حيال الإضراب، لم يكن ضد فكرة الإضراب، وإنما كان هناك اختلاف على توقيت الإضراب، ومع ذلك، دخلت الجبهة الشعبية الإضراب؛ لقناعتها أنه لا يمكن ترك الأسرى بمفردهم".*[471]

وأمّا على صعيد حركة فتح؛ فتوضح واحدة من المراسلات، التي جاءت من موجه عام حركة فتح في سجن (عوفر): *"أنه لم يكن لديهم أي علم بموضوع القيادة المركزية في السجون الخاصة في الإضراب، حيث لم يتم التنسيق معهم مطلقاً، وقد تم تعيين ممثلين عن سجن (عوفر) في القيادة دون علمهم أصلاً، وعلى ذلك، فإن قرارهم أنهم لن يكونوا جزء من هذه اللجنة؛ لعدم إشعارهم والتنسيق معهم."*[472]

وفي 24 نيسان/ أبريل عام 2014م، أعلن أسرى الإداريون، وعددهم أكثر من (130) أسيراً،[473] من أصل (200) أسير إداري، إضرابهم المفتوح عن الطعام، وحملت المعركة عنوان (ثورة حرية كرامة)؛ من أجل إنهاء سياسة الاعتقال الإداري، وكان أغلب الأسرى الإداريين يقبعون في ثلاثة سجون، هي: (النقب، وعوفر، ومجدو).[474]

---

[470] أعداد الأسرى الإداريين في عام 2014م، بلغ قرابة 200 أسير، أغلبهم من حركة حماس والجهاد والجبهة الشعبية، بناءً على معطيات جمعية نادي الأسير الفلسطيني، أرشيف عام 2014م.

[471] مقابلة مع (س.ب). مصدر سبق ذكره.

[472] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (عوفر) في 29 نيسان/ أبريل 2014م.

[473] تقرير الانتهاكات لحقوق الأسرى والأسيرات لعام 2014م. مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، نقلا عن: https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_2014_0.pdf.

[474] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير توثيقي. في 25 نيسان/ أبريل 2014م.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه أثناء هذه المعركة الخاصة بالأسرى الإداريين، نتجت جملة من الإفرازات عكستها رواية الأسرى، وفي مقدمتها أدوات عنف السّجّان، التي شكَّلت امتداداً لعنفه السابق والمستمر، وعلى الرغم من كثرة التفاصيل التي يمكن الحديث عنها، في إضراب عام 2014م، إلا أنَّ الدارسة هنا، ستكتفي بالحديث عن أدوات عنف السّجّان التي ظهرت في رواية الأسرى، ممن خاضوا الإضراب؛ بوصفه مستوى آخر من سياسة العزل والسلب في بنية، السجن، وما تفرضه وتكشف عنه في كل تجربة

مستشفيات الاستعمار الصهيوني بوصفها أداة عنف

تشكِّل محطة نقل الأسرى إلى المستشفيات جزءاً كبيراً من روايتهم أثناء الإضراب، وفيها، يرى المتلقي معركة جديدة تفرض نفسها داخل معركة الإضراب، وهذا جزء مما أشار إليه (س.ب)، فكيف استخدمت السلطات الصهيونية مستشفياتها أداة عنف؟ وكيف أسهمت عملية نقلهم إلى المستشفيات عملية عزل إضافية بمستوى مختلف؟

توضح مراسلات الأسرى، ممن خاضوا الإضراب أثناء زيارتهم المستشفيات، جملة من أدوات العنف وتفاصيله، التي استخدمتها إدارة السجون الصهيونية في حقهم: فقد جاء في رسالة وجهها الأسرى من مستشفى (العفولة): *"أنه وطوال فترة وجودهم في المستشفى، مكبلين؛ ففي أثناء النهار يتم ربط قدم الأسير في السرير ، أما أثناء فترة الليل؛ يتم ربط إحدى يدي الأسير بالسرير، وإحدى قدمي الأسير بالسرير؛* فتجد الأسير يخوض معركة من أجل قضاء حاجته، أو من أجل الاستحمام، وقص أظافره، أو حلق لحيته."[475]

فهنا، حوَّل السّجّان سرير المستشفى إلى زنزانة بمواصفات أشد قسوة، تماماً كما وصفه وليد دقة بالتعذيب الحداثوي، ويمتد ذلك إلى تفاصيل التحكم بجسده واحتياجاته الإنسانية، انطلاقاً من عمليات السيطرة، والتحكم في

[475] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة المضربين. مصدر سابق.

جسد الأسير في بنية السجن، والمحاولة الدائمة على مدار الساعة،[476] وهكذا، فقد تحول الموضوع الأساسي في بنية السجن، مع الزمن، ومع التغيرات الهائلة في مشهد التعذيب وأدواته؛[477]فأصبح مفهوم الزنزانة يحتاج إلى إعادة تعريف في بنية العنف، التي يمكن أن تكون المستشفى، وهذا ما كشفته رواية الأسرى في إضراب عام 2014م.

كما تشكِّل قضية المدعمات، أداة مهمة في تحديد مصير الإضراب، وتحويلها إلى أداة لإدارة المعارك الجانبية في الإضراب عن الطعام، وبخاصة في مرحلة المفاوضات، وقد برزت هذه القضية تاريخياً في تجارب الإضراب، مع تغيير الأداة المستخدمة لتزويد الأسير بالمدعمات، وفي واقع الأمر، فإن التغذية القسرية[478] التي استخدمت سابقاً، وأدت إلى قتل أسرى، كما حدث في إضراب عام 1980م، قد أصبحت تدار بطريقة جديدة، عبر حقن الأسير بالمدعمات، واستخدام مصطلح آخر، هو العلاج القسري،[479] وتصاعد الحديث عن المدعمات في الإضرابات الذاتية، التي فرضت إدارة جديدة للإضراب، إدارة ذاتية تابعة لمستوى وعي الأسير وفهمه الخاص لإدارة المعركة.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ رواية الأسرى توضح الكيفية التي تحولت فيها المدعمات إلى وسيلة في يد السّجّان تساعده على احتواء الإضراب والتحكم فيه، بل إنها تحولت إلى سلاح بيد الأسير المضرب، وهذا عكس ما يدعيه أغلب الأسرى ممن وقفوا ضد الإضرابات الذاتية، *يقول (س.ب) :"في القانون، هاي المدعمات ماخدة الناس عنها فكرة غلط، وهي عبارة عن حبة فيتامين، على أساس ما يصيب الأحشاء الداخلية ضرر، وهي بالزبط، بتتحول لأداة في إيديك بتستخدمها، وصرنا نستخدمها، مثلا إذا بدنا محامي، وهم مش راضيين، بنرفض ناخدها، وبتتحول*

---

[476]انظر أيضاً: تقرير الانتهاكات لحقوق الأسرى والأسيرات لعام 2014م. مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، نقلا عن: https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_2014_0.pdf.

[477]انظر أيضاً: وليد دقة. 2010م. مصدر سبق ذكره.

[478]انظر أيضاً: قانون التغذية القسرية تصريح بقتل المضربين عن الطعام. مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، نقلا عن: https://bit.ly/2T0kL0p.

[479]مصطلح العلاج القسري، برز مع بدء الإضرابات الذاتية بعد عام 2012م، وبرزت بشكل أساس في إضراب عام 2014م، وكذلك في إضراب الأسير محمد علان عام 2015. أنظر أيضاً: بيان صادر عن مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، نقلا عن: https://bit.ly/2SYJwtM.

لسلاح بس إذا أخدناها ما بنفك الإضراب، ولكن ممكن إتطول من عمر الإضراب"،[480] ويوضح (س.ب) رأيه في المدعمات، بقوله: *"زمان ليش مكانش في مدعمات؛ لأنه أكبر إضراب مفتوح عن الطعام، قديش كان يقعد، فالمدعمات ما كانت من أول يوم."* [481]

وقد أثارت فكرة أخذ الأسرى المدعمات، جدلاً كبيراً بين الأسرى، وبخاصة أنها أسهمت في إطالة فترة الإضراب، ومساعدة السّجّان ومنظومته على احتواء الإضراب، والتحكم في مصير الإضراب ومساره، عبر المدعمات، وقياساً إلى الإضرابات التاريخية؛ فقد كانت مسألة المدعمات موجودة، إلا أنها لم تأخذ حيزاً في رواية الأسرى، وبخاصة أن أخذها كان يخضع لقرار الجماعة، ولذلك؛ كان دورها في تحديد مصير الإضراب مختلفاً عن الدور الذي اتخذته في الإضرابات الذاتية، وبخاصة بعد عام 2012م.

نهاية المعركة بعد أكثر من 60 يوماً

وجه الأسرى في اليوم (60) من الإضراب رسالة، قالوا فيها: *"نطالب بوقفة جادة معهم، فبعد مضي (60) يوماً على عذابهم، وجوعهم، وصبرهم، وآلامهم، وهم يرجون أن يتم تقدير سوء حالتهم وتعب أجسادهم وصعوبة وضعهم، والعمل الجاد عن طريق الضغط على المؤسسات الرسمية والحقوقية والدولية المختصة بأمرهم، حتى حل هذا الموضوع المعلق"*،[482]

---

[480] مقابلة مع (س.ب). مصدر سبق ذكره.

[481] مقابلة مع (س.ب). مصدر سبق ذكره.

[482] تقرير زيارة الأسرى الإداريين في مستشفى (برزلاي). نادي الأسير الفلسطيني. في 22 حزيران/ يونيو 2014م.

تكشف هذه الرسالة، في واقع الأمر، ما وصل إليه الإضراب، من قضية معلقة، يواجه فيها عشرات الأسرى مصيراً معلقاً بعد (60) يوماً، وهنا، تحضر كثافة الأسئلة، التي يمكن أن تضم قرار الإضراب، وما رافقه من أحداث ومجريات، ولكن، تبقى تساؤلات حول العوامل التي أسهمت في تشكل هذا المصير لإضراب عام 2014م.

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الإضرابات كلها،كانت تنظر إلى مصادر الدعم الخارجية بمنظار الأهمية للأسرى، كيف لا، وهي تشكِّل أحياناً عاملاً مهماً في حسم الإضراب؟ فضلاً عن إرادة الأسرى واستمرارهم في المواجهة؛ فجاءت رسائلهم مركزة ببصورة أساسية على جهود المؤسسات؛ ما يجعل الفارق واضحاً بين رسائل الأسرى في الإضرابات الجماعية التاريخية، وبخاصة التي خاضوها قبل مرحلة أوسلو، ورسائل الأسرى في الإضرابات بعد عام 2000م؛ ما يفرض تساؤلاً عن نهاية معركة إضراب عام 2014م، وبخاصة ما تركه من أثر.

فقد فرضت مجموعة العوامل الخارجية التي حدثت أثناء الإضراب، مصيراً واضحاً آنذاك، فقد قامت حماس بخطف ثلاثة صهاينة من المستوطنين في الخليل؛ ما قلب معادلة الشارع وأولويات الإعلام، وأحدث تحولاً في مصير الإضراب، وبخاصة بعد حملات اعتقال طالت عشرات الأسرى المحررين، كان من بينهم أكثر من (50) أسيراً من محرري صفقة (وفاء الأحرار)، التي جرت عام 2011م،[483] وكان أبرز المعتقلين المحرر نائل البرغوثي، الذي خرج من السجن بعد (34) عاماً، ولا يزال حتى كتابة تاريخ هذا البحث، أسيراً،[484]وفي 25 حزيران/ يونيو 2014م، وبعد 63 يوماً على الإضراب، أعلن الأسرى المضربون عن الطعام، تعليقه، دون أي من النتائج التي يمكن ذكرها، ولم يصدر عنهم أي توضيح في ذلك اليوم، إلى أن نشروا بياناً رسمياً لهم، في 7 تموز/ يونيو 2014م، قالوا فيه:

[483]في عام 2014، وبعد اختطاف ثلاثة مستوطنين في الخليل، وقتلهم، اعتقلت قوات الاستعمار الصهيوني العشرات من أسرى محرري صفقة (وفاء الأحرار)، انظر أيضاً: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان تقرير انتهاكات عام 2014م. مصدر سابق، من أرشيف جمعية نادي الأسير لعام 2014م.

[484]الأسير نائل البرغوثي: أحد الأسرى الذين أُفرج عنهم عام 2011م في صفقة وفاء الأحرار بعد أن قضى (34) عاماً، وأُعيد اعتقاله عام 2014م، حيث أعادت له سلطات الاستعمار الصهيوني بحقه حكمه السابق ومدته مؤبد و18 عاماً – من أرشيف نادي الأسير الفلسطيني.

"لقد أخذنا قراراً بتعليق إضرابنا الأطول في تاريخ الحركة الأسيرة، بعد التطورات الأخيرة في أرضنا المحتلة، وذلك وفق قراءة واعية ومسؤولة للمشهد، ورفعاً للحرج عن المتضامنين معنا، الذين أصبحوا عرضة لانتقام هذا المحتل المجرم، ورحمة لأهلنا الذين اتخذوا من خيم الاعتصام مسكناً لهم قبل الشهر المبارك. ولقد كان قرارنا بتعليق الإضراب لظروف صعّد فيها المحتل غريزته الانتقامية إلى أعلى الشجرة، مستخدماً ما حدث من تطورات ذريعة للانتقام من شعبنا، وأسرانا بمرحلة من أكثر المراحل خطورة وحساسية. وإن تعليق إضرابنا جاء في سياق إعطاء فرصة لهذا الجلاد ليعيد حساباته، وخاصة بعد أن شكل لجنة لتراجع أدوات الجريمة ووسائلها ونتائجها الكارثية، لعله يستعيد وعيه ويستفيق من حالة الهوس والإغماء الأمني، وخاصة بعد أن رأى هذا التيار الشعبي الهائج، يجتاح كل شوارع وطننا المحتل، صارخاً ضد جريمة الاعتقال الإداري على إيقاع جوعنا وصمود فرسان هذه المرحلة." [485]

وبكلمات أخرى، فإنَّ محصلة مجموعة من العوامل المتصلة بالمعركة نفسها، بدءاً من مرحلة القرار، إضافة إلى جملة أدوات العنف التي مارستها إدارة السجون الصهيونية، وبخاصة عزل الأسرى المضربين ونقلهم بصورة مستمرة، فضلاً عن اعتماد الأسرى على المدعمات، التي أسهمت في إطالة عمر الإضراب، والأهم من ذلك، ما فرضته الحالة في الخارج، التي تعيد المتلقي إلى أهمية العلاقة بين الداخل (السجن الصغير) والخارج (السجن الكبير)، تلك العلاقة التي تظهر مواجهة بين جدران الزنازين، لا يمكن أن تكون مجردة عن المواجهة الخارجية.

وفي المقابل؛ فإنَّ المواجهة في الخارج، ما هي إلا امتداد لأية مواجهة في الداخل؛ ما يفسِّر العلاقة بين تلك المواجهات والمعارك الجماعية، التي نفذها الأسرى، وانتهت دون نتائج، من جهة، وما ترتَّب عليها من مستوى تفاعل الخارج مع المواجهة، من جهة أخرى، ويمكن قراءة ذلك، بصورة واضحة في معارك الإضراب كافة، وبخاصةبعد تراجع المواجهة في الخارج، وأكثر بعد أوسلو، وبعد إضراب عام 2004م، الذي كان آخر الإضرابات الجماعية، بما تحمله

[485] نادي الأسير الفلسطيني. بيان صادر عن الأسرى الإداريين المضربين في 7تموز/ يوليو 2014م.

من معنى؛ ما جعل الأسرى الإداريين يوجهون رسالة في أيلول/ سبتمبر من العام نفسه، بعد مرور نحو شهرين على تعليق الإضراب، في مراجعة معركتهم: قالوا فيها:

"إن الأسرى كانوا يعولون على أن يكون لهم إسناد كبير من داخل السجون، وأن يلتحق بهم عدد كبير من الأسرى، على رأسهم قيادات الفصائل، وأن يستمروا بإضرابهم، معهم حتى الرمق الأخير، وبذلك تعج المستشفيات بالأسرى المضربين، ولكن، للأسف فوجئ الأسرى بمعرفة أنه ليس هناك دعم مساند لهم من قبل الأسرى، وأن الأسرى المتضامنين إما كان بإرجاع وجبات داخل السجون، وإما بإضرابات تضامنية فردية لعدة أيام، كما ويعتقدون، أنه لم يكن هناك تنسيق جيد مع الأسرى قبل الخوض في الإضراب، كما أن الأوضاع في الخارج، وبعد اختطاف المستوطنين، تغيرت لهجة مصلحة السجون والضباط، فقبل الاختطاف كان هناك حديث عن مفاوضات، ولكن، شاهدت اللجنة تعنت كبير من قبل مصلحة السجون والشاباك، كما وصل للأسرى الإداريين أن الأجهزة الأمنية تعارض إقامة المظاهرات الداعمة للأسرى، وتقوم بقمعهم."

وهكذا، انتهى إضراب عام 2014م، بل إن أعداد الأسرى الإداريين قد ارتفع إلى ضعف ما كان عليه بعد الإضراب، ووصل حتى نهاية العام إلى نحو 500 أسير إداري،[486] وبدأت إدارة السجون الصهيونية، تنفذ عقوبات جماعية جديدة على الأسرى، وبخاصة بحق أسرى حركة حماس، ويبدو أنَّ الحرب التي شنتها القوات الصهيونية على غزة، قد زادت من تفاقم الوضع داخل السجون؛ إذ تكشف مجموعة رسائل للأسرى، وبخاصة السجون حيث يقبع أسرى غزة، عن تحول الأقسام إلى مآتم؛ لتقديم واجب العزاء لأسرى غزة، ممن فقدوا عائلاتهم في الحرب، التي أثرت بصورة جذرية على واقع المواجهة، ففي 22 تموز/ يونيو، أثناء زيارة للأسرى في سجن (نفحة)، الذي يضم أكبر عدد من أسرى غزة، يشير ممثل الأسرى إلى: *أن الوضع في سجن (نفحة) صعب للغاية، والأسرى في حالة ضغط كبير،*

[486] نادي الأسير الفلسطيني، التقرير السنوي لعام 2014م حول واقع الأسرى في سجون الاحتلال.

وقد قلب السجن؛ بسبب حالات الشهداء الكثيرة بين عائلات الأسرى، وتحويل الزنازين إلى بيوت عزاء، والكثير من الأسرى الذين فقدوا عائلاتهم في وضع نفسي صعب.[487]

خلاصة

لقد كشفت معارك الأسرى الجماعية في الإضراب عن الطعام، مستوى المواجهة وواقع كل تجربة على حدة، ومدى تأثير نوع المواجهة في الخارج على المواجهة في الداخل، فضلاً عن مجموعة التحولات، التي أصابت النضال داخل الأسر، وبخاصة فيما يتصل بعلاقة التنظيمات مع بعضها بعضاً، ودور التنظيمات في تحديد نوع العلاقة مع السّجّان، وحجم الترهل والتفكك الذي بينته تلك المعارك، وسقوط المفهوم الجماعي، عبر ما عكسته نتائج الإضرابات، ومع ذلك، فإنَّ بقاء المحاولة في استعادة المواجهة وممارستها هو الأهم؛ لأنها الاستمرارية في الحفاظ على معنى الوجود في بنية استعمار استيطاني، والسعي نحو معنى خاص للسيادة وتقرير المصير.

فأبعاد أية معركة لا يمكن قراءتها عبر نتائجها فحسب؛ فبقاء المحاولة في فرض المواجهة هو المعنى المحوري في بنية الاستعمار الاستيطاني، وهذه القراءة هي الخلاصة الأساسية في إمكانية مواجهة الاستعمار الاستيطاني، وإن الانتصار والهزيمة مثيرين للجدل، فبقاء المحاولة انتصار، وحامٍ للوجود.

وبذلك كله، تبقى تجربة الإضراب المجهر الأساسي؛ للكشف عن كثير من التغييرات التي أصابت بنية السجن، والعلاقات المعقدة بين الأسرى، وتنظيماتهم، وكذلك، العلاقة مع السّجّان، والتغيير الذي أصاب أدوات السّجّان في قمعه الأسير، وكذلك أدوات المواجهة التي فرضها الأسير في معاركه المستمرة.

[487] نادي الأسير زيارة لأسرى سجن "نفحة" أرشيف عام 2014م.

الفصل الخامس

إضراب الكرامة عام 2017م نتاج تراكمي لمصير المحاولة والممارسة في تجربة الإضراب عن الطعام

شهدت المواجهة في الإضراب عن الطعام تراجعاً، في السنوات التي تلت إضراب الأسرى الإداريين عام 2014م، وسيطرت الإضرابات الذاتية على مشهد المواجهة مجدداً، وأبقت التساؤلات التي فرضتها منذ عام 2012م حاضرة، وبخاصة فيما يتصل بمصير المواجهة الجماعية، وما هي في واقع الأمر إلا تساؤلات مستمرة، رافقتها في المرحل التاريخية السابقة كلها، وفي كل مرحلة، كانت تضيف أسئلة جديدة مركبة وتراكمية، مرتبطة بصورة مباشرة بما أفرزه السجن الكبير (الخارج) من سياسة (التسليم بالواقع)، وبالعودة إلى شريط المواجهة في (الخارج)، فإن ثمة محطات متعددة، استعادت ممارسة الاشتباك والمواجهة، وبخاصة عام 2015م، مع اندلاع (الهبة الشعبية)، أو ما تعرف بـ(انتفاضة السكاكين)، وما رافق هذه المرحلة من تساؤلات ممتدة ومتجددة عن واقع المواجهة مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وفعالية الأداة التي تخرج من رحم المجتمع وتشكلاته، التي تمكنت من فرض خلخلة داخل البنية الصهيونية، والتغلب على عمليات (كي الوعي)، التي عدَّتها المؤسسة الصهيونية هدفاً أساسياً لعملياتها العسكرية، في محاولة لإقناع الفلسطيني بعدم جدوى المقاومة.[488]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ السجون الصهيونية قد ظلَّت واحدة من أهم الأدوات لقمع أية مواجهة، وهذا حالها في المراحل كلها؛ ففي الثلاثة أشهر الأخيرة من عام 2015م، تصاعدت عمليات اعتقال الفلسطينيين، ووصل عدد حالات الاعتقال إلى (3000)، منهم (1000) طفل،[489] واستمرت بالكثافة نفسها، حتى نهاية عام

[488] دائرة سليمان الحلبي. الفعل والفاعلية في الهبة الشعبية. 2015م. ص 1- ص 3. https://bit.ly/3lVSKno

[489] نادي الأسير الفلسطيني. التقرير السنوي لعام 2015م.

2016م، التي شهدت أعلى نسبة اعتقالات، منذ سنوات انتفاضة الأقصى، وعلى الرغم من أنَّ اعتقالات عامي 2015م، و2016م، لم تحدث تحولاً كبيراً في واقع الأسرى، قياساً إلى التحول الذي تركته انتفاضة الأقصى عام 2000م، من أثر؛ لصعوبة المقارنة بين الحدثين، وأسباب مركزية تتصل بحالة الاشتباك ونوعه، والمواجهة التي فرضتها، ووصفتها جلّ الأدبيات بأنها (عفوية وفردية)، بعيداً عن الارتباط بقرار جماعي أو تنظيمي،[490]وهنا، تفضِّل الدارسة عدم الدخول في النقاشات التي طالت (الهبة الشعبية) عام 2015م؛ لأنها ليست هدف الدراسة، بينما، كان من الضروري التوقف عند مشهد محاولة استعادة الاشتباك والمواجهة في (الخارج)؛ لما له من انعكاس على واقع المواجهة لدى الأسرى في المراحل التاريخية كافة، والعكس صحيح.

فقد فرضت عودة مشهد الاشتباك إلى جانب كثافة عمليات الاعتقال، حركةً ما على واقع الأسرى، وزُجَّ المعتقلون في السجون، وكان أغلبهم جيلاً جديداً، من مواليد أعوام الـ2000م، ذلك الجيل الذي تشكَّل وعيه على مشاهد الاغتيالات والاعتقالات والاقتحامات اليومية في انتفاضة الأقصى، وكأنَّ التاريخ هنا، يعيد المتلقي إلى تشكل الوعي الأول لـ(جيل انتفاضة الأقصى)، في سنوات انتفاضة الحجارة، إنها الصيرورة التي يستمدها الأجيال من مرحلة المواجهة، ولا يمكن فصل تلك الأسباب التي أنتجت الإضرابات الذاتية عن العمليات التي أفرزتها (الهبة الشعبية)؛ فالحدثان وجهاً واحداً للمرحلة، وفيها، تجاوز الفلسطيني الفاعل ارتباطه بالتنظيم، لأسباب لا يتسع المقام للخوض فيها، غير أنَّ هذه المقاربة مهمة للسياق الذي يعالجه البحث؛ فقد شكَّ الإضراب الذاتي أداة مهمة لإثارة التساؤل عن المواجهة الجماعية، وهذا ما فرضه نمط المقاومة في (الهبة الشعبية)، ولعل الإضراب الذاتي قد سبقها بسنوات، مانحاً قراءة واضحة تكشف عن مصير المواجهة في ظل غياب المواجهة التنظيمية الجماعية.

[490]سليمان الحلبي. مصدر سبق ذكره. ص 3

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ المواجهة الذاتية على اختلاف أشكالها في السجن الكبير والسجن الصغير، قد أعادت التساؤل عن مسار المواجهة ومصيرها، والجدوى من المواجهة الذاتية، التي حاولت المنظومة الصهيونية أن تخلق نحوها آراء بديلة مثل "التنظيرات الساعية نحو تدمير الأداة المقاومة في الوجدان والوعي الفلسطيني من خلال خطاب اللاعنف"،[491] وتركت صدىً في كثير من التفاصيل التي تتصل بواقع المواجهة، ومصيرها، ومنها الإضراب عن الطعام، الذي خضع لكثير من النقاشات حول جدواه، تماماً كما خضعت أداة السكين لنقاشات حول الجدوى،[492] وبدأ مساراً ما يتشكل حول مصير المواجهة، قد لا تكون (الهبة الشعبية) الدافع الأساسي له، لكنها، شكلت مشهد المواجهة الأهم الذي سبق إضراب الأسرى عن الطعام عام 2017م، كيف لا، وقد كان جيل (الهبة الشعبية) من الفاعلين فيه؛ بوصفه أول تجربة إضراب عن الطعام لهم في سجون الاستعمار الصهيوني؟ ما يعيد المتلقي إلى مشهد إضراب عام 2004م، حينما خاض أسرى انتفاضة الأقصى أول إضراب لهم.

وقبل نهاية عام 2016م، صعدت بعض القضايا الأساسية، التي تمس الحياة الاعتقالية في سجون الاستعمار الصهيوني، واجتمعت لتُشكل عوامل محفزة لضرورة استعادة المواجهة الجماعية، وأخذت هذه العوامل وجهتين، الأولى، تتصل بأدوات عنف السّجّان، والأخرى، تتصل بواقع الانحدار التنظيمي، الذي وصل إليه الأسرى، وبخاصة على صعيد أسرى حركة فتح، ونظام المنفعة في السجون، وهنا، ستكتفي الدارسة بالإشارة إليهما بصورة عامة، ولاحقاً ستستعرضهما عبر موضوع استعادة قرار المواجهة بالإضراب عن الطعام؛ بوصفها محاولة وممارسة فلسطينية مستمرة، كما في تجارب الإضراب كلها، التي سبقت المعنى الفلسطيني لممارسة السيادة، مع الوقوف على هذا الإضراب، الذي شكَّل نتاجاً تراكمياً لتجارب الإضراب، بما فيها من تفاصيل وتناقضات وتحولات، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الخلاصة لم تنته.

---

[491] سليمان الحلبي. مصدر سبق ذكره. ص 7

[492] سليمان الحلبي. مصدر سبق ذكره. ص 8

استعادة المحاولة والممارسة، زنزانة رقم (28)

رسخت الإضرابات السابقة المعنى الفلسطيني لمحاولة السيادة وتقرير المصير، وممارستهما، عبر استمرارية المواجهة واستعادتها، على الرغم من تباين النتائج في كثير من الأحيان، التي عكست في واقع الأمر أبعاد مرحلة المواجهة، بما فيها من عوامل ومركبات متعددة؛ فمنذ عام 2004م، وما أحدثه من تحولات جذرية في واقع المواجهة بالإضراب عن الطعام، لم تتوقف هذه المواجهة، بل ظلَّت تمارس محاولاتها المستمرة، وهذا ما عكسته الفصول السابقة، وعلى مدار السنوات التي سبقت قرار إضراب عام 2017م، برزت بعض المحاولات لممارسة المواجهة بأشكال مختلفة، ولم تقتصر على الإضرابات الذاتية، فقد غابت فتح عن مشهد المواجهة الجماعية في إضراب كل من عام 2012م و2014م؛ بوصفها تنظيماً، كما شكَّلت بعض المبادرات محاولات جديدة للمواجهة، ارتبطت بما فرضته سلطة (أوسلو) من توجهات مرتبطة أساساً بتوجهات المنظومة الدولية، كما في معركة (الانبعاث الوطني) التي صدرت مبادرة من الأسرى العسكريين المنتمين للأجهزة الأمنية الفلسطينية؛ للاعتراف بهم أسرى حرب،[493]، وهي مواجهة تمثلت في حالة عصيان ورفض بعض القوانين، والأنظمة في منظومة السجن الصهيوني، ولكن، سرعان ما انتهت هذه المبادرة، ولم تكتمل، ومع ذلك، لم يتوقف النقاش حول ضرورة العودة إلى قرار المواجهة الجماعية، بل كان أهم عامل لبقائه، ما فرضته الإضرابات الذاتية من حالة جدل، وما تركته من آثار على مصير المواجهة بالإضراب عن الطعام، وواقعها.

---

[493] مجموعة من البيانات صادرة عن نادي الأسير الفلسطيني عن (معركة الانبعاث الوطني). حزيران عام 2013م. "كشف نادي الأسير اليوم الاثنين أن اللجنة التحضيرية (لمعركة الانبعاث الوطني) قررت البدء في أولى خطواتها في 5 حزيران عام 2013م، وذلك لإلزام دولة الاحتلال بقواعد القانون الدولي الإنساني في الاعتراف بالأسرى العسكريين الفلسطينيين كأسرى حرب ومنحهم كامل الحقوق والامتيازات التي تتعلق بذلك .

وأوضح النادي في بيان له الخطوات التي تقررت في هذا الشأن عدم الوقوف على العدد، وخلع الزي البني، وعدم الالتزام بدق الشبابيك، وعدم الالتزام بالتشخيص، وذلك بشكل تدريجي، على أن يتم البدء من قبل خمسة أسرى في كل قسم، وذلك بتسليم الزي البني للإدارة.

وبين الأسرى عبر رسائلهم أن الهدف من هذه الخطوات، تحقيق الحقوق التي تنص عليها الاتفاقيات، والهدف السياسي الذي يتمثل في الاعتراف بالأسير الفلسطيني أسير حرب، بناء على انخراطه بملحمة وطنية، والهدف الأخلاقي يتمثل في نقل الأسرى الفلسطينيين إلى مناطق الضفة الغربية، وتسليم إدارة (مصلحة السجون) إلى إدارة عسكرية.وطالب الأسرى بضرورة دعمهم ومساندتهم على المستويين الشعبي والرسمي؛ من أجل تحقيق حقوقهم.

وبكلمات أخرى، فإنَّ عودة الأسرى إلى مشهد المواجهة مجدداً عام 2017م، هو في واقع الأمر محاولة فعلية لاستعادة قرار جيل الأسرى القدامى (جيل انتفاضة الأقصى)، الذي يُشكل النسبة الأكبر من تركيبة الأسرى في السجون الصهيونية؛ ما يجعل مصير المواجهة محكوماً بقراره، فكيف شكلت محاولة استعادة المواجهة في إضراب عام 2017م (إضراب الكرامة)، محاولة لاستعادة (جيل انتفاضة الأقصى)؟ وكيف يمكن قراءة إضراب عام 2017م؛ بوصفه نتيجة تراكمية تحبكها المحاولة والاستمرارية؟

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ قرار المواجهة أهم المحطات، التي يمكن عبرها، التنبؤ بمصير المعركة، أو محاولة فهم المصير الذي وصلت إليه؛ ففي الإضرابات السابقة كلها، شغلت مسألة القرار، وكيفية تبلوره حيزاً مهماً في فهم مسار المواجهة، وتجاوز ذلك إلى قراءة المرحلة التاريخية، وبالكشف عن أبعاد مركبة في (العلاقاتية) القائمة في منظومة السجن، التي تتضح عبر الخلاصات التي فرضها مسار الإضراب ومصيره.

"كانت فكرة الإضراب عن الطعام، هي مقترح من الأسير مروان البرغوثي، في سجن (هداريم)، بمشاركة كافة الفصائل، ومع وجود بعض قيادات الأسرى من كافة الفصائل، والذي تزامن وجودهم مصادفة في حينه، ساهم في إحداث نقاش حول خطوة الإضراب عن الطعام، وفعلياً كان في كتيب تضمن تفاصيل عن خطوة الإضراب، أعده أبو القسام." [494]

وفي آب عام 2016م، وفي سجن (هداريم)، في زنزانة رقم (28)، على وجه الخصوص، حيث يُحتجز الأسير مروان البرغوثي،[495] بدأت فكرة الإضراب عن الطعام تتدحرج تدريجياً نحو نقاش فصائلي، في تلك المرحلة كانت مجموعة من القضايا، قد فرضت نفسها على واقع الأسرى، وشكَّلت محركات صغيرة لطرح خيار المواجهة من

[494] مقابلة مع (ض.أ) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت المقابلة في نادي الأسير 2020م.

[495] المصدر السابق.

جديد، وفي مقدمتها إلغاء الزيارة الثانية لعائلات الأسرى من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وإغلاق قسم أسرى حركة حماس في أحد سجون الجنوب، وتزامن ذلك مع إضراب أحد أسرى الجبهة الشعبية، الأسير بلال كايد،[496] وشروع مجموعة من الأسرى في سجن (هداريم) في الإضراب عن الطعام؛ احتجاجاً على قرار منع الزيارة الثانية لعائلاتهم،[497] واجتمعت تلك القضايا مرة واحدة في وجه الأسرى، وأعطت كثافة معينة، أجبرتهم في واقع الأمر، على استعادة الأسئلة عن خيار المواجهة، ومع ذلك، لا يمكن البت بأنَّ عملية عودة فكرة الاستعادة تلك، كانت تشغل الأسرى كافة في السجون، بل إنَّ مستواها ووقعها وجديتها كانت تختلف من سجن إلى آخر، وربما قد أزعجت كثيراً منهم، وهذا بطبيعة الحال، مرتبط بتركيبة الأسرى في كل سجن، مع التأكيد على انعكاس الواقع، الذي أفرزته سلطة أوسلو في (الخارج)، وواقع الظروف الحياتية المتفاوتة في السجون، ونظام المنفعة السائد، وتحول السجون إلى ممالك بواقع العلاقة، التي نسجها بعض الأسرى مع السّجّان ونوعها، وبخاصة أنها استمدت تحولاتها بعد أوسلو، وتجذر المال وهيمنته على نوع (العلاقاتية) في منظومة السجن؛ فحالة التفاوت في مستوى الحياة الاعتقالية، ليست حالة عبثية، بل هي مرتبطة بواحدة من أهم أدوات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني المندرجة تحت سياسة التصنيف،[498] التي طالت الأرض والإنسان، ونُفذت عبر أدوات مختلفة؛ بهدف إبقاء السيطرة على الأسير، والتحكم في مسار المواجهة، التي قد يفرضها، فقد وضع هذا التفاوت خيار المواجهة تحت التقييم والتمحيص والفحص أكثر من أي وقت مضى لدى الأسرى.

---

[496] الأسير بلال كايد أحد أسرى الجبهة الشعبية، كان من المقرر الإفراج عنه عام 2016م، بعد (15) عاماً، إلا أنها حولته إلى الاعتقال الإداري، وعلى ذلك شرع الأسير كايد في إضراب عن الطعام، وسانده عشرات من قيادات الجبهة الشعبية وأسراها، إلى أن انتهى إضرابه بعد 70 يوماً؛ رفضاً لاعتقاله الإداري.

[497] نادي الأسير الفلسطيني، بيان صحفي صادر في 20 تموز 2016م:" أعلن أربعة أسرى في سجن (هداريم) الإضراب المفتوح عن الطعام؛ احتجاجاً على قرار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بالتوقف عن تنظيم زيارتين شهرياً للأسرى، والاكتفاء بزيارة واحدة فقط. وأوضح نادي الأسير الفلسطيني، اليوم الأربعاء، أن الأسرى الأربعة يخوضون الإضراب لليوم الثالث على التوالي، وهم: محمود سراحنة من بيت لحم، وزياد زهران البزار من رام الله، وأمين كميل من جنين، وقد تمّ نقلهم من سجن (هداريم) إلى سجون أخرى، علاوة على الأسير أحمد البرغوثي (الفرنسي)، الذي نُقل إلى الزنازين في السّجن نفسه، وقد ودعت الحركة الأسيرة في سجون الاحتلال عائلات الأسرى إلى الاحتجاج أمام مقرّات الصليب الأحمر في 28 تمّوز الجاري، الذي ستشرع فيه الحركة الأسيرة في إضراب؛ احتجاجاً على هذا القرار."

[498] وعلى سبيل سياسة التصنيف القائمة التصنيف المناطقي، هناك أسرى القدس، وأسرى فلسطين التاريخية عام 1948م، وأسرى الضفة، وأسرى غزة، الذين يقبعون في سجون معينة، ووصل هذا التصنيف ليس فقط على مستوى السجن، وإنما وصل إلى الأقسام والغرفة الواحدة.

وعلى عكس الإضرابات التاريخية السابقة، التي ارتكزت على وجود قيادة سرّية متمثلة في اللجنة العليا للإضراب؛ فإن قيادة إضراب الكرامة كانت معلنة متمثلة في شخص الأسير مروان البرغوثي، وإلى جانبه عميد الأسرى الفلسطينيين كريم يونس، وهذا لا يعني أن قيادات الفصائل الأخرى، التي لم تشارك بقرار تنظيمي في الإضراب؛ لم يكن لها دور، بل يكشف مسار الإضراب كيف أسهمت التنظيمات بدعمه بوصفها إسناداً، وهذا ما سستعرضه الدارسة لاحقاً.[499]

ويبقى التساؤل الأهم هنا: كيف شكَّل اقتراح الأسير مروان البرغوثي محاولة لاستعادة المواجهة مع السّجّان؟ وهل كان كافياً ليتشكل معنىً لقرار تنظيمي من حركة فتح بوصف الأسير مروان البرغوثي أحد قادتها وأبرز رموزها؟

"الإضراب ما تنظمش، أو كان في نوع من التنظيم بس ما كان زي ما لازم"،[500] *فمن المعروف* تاريخياً، أنَّ مرحلة التعبئة والتنظيم لأي إضراب، قد شكَّلت مرحلة طويلة ومهمة وحاسمة لمصير المعركة، وأخذت حيزاً كبيراً في رواية الأسرى عن تجربة الإضراب، بما يتضمنه من حالة تنظيمية خاصة تفرضها عبر الجلسات والحوارات، والتحشيد للخطوة، والتخطيط لإدارتها ومواجهة سياسات السّجّان، إلا أنَّ هذه المرحلة في إضراب عام 2017م، قد أخذت مشهداً أكثر تعقيداً، كيف لا، والإضراب في واقع الأمر، قد أنتج معارك قبل أن يكون هو نفسه المعركة؟ وكيف كانت مرحلة التعبئة والتنظيم في إضراب عام 2017م؟

في واقع الأمر، لقد تجسدت مرحلة التعبئة والتنظيم؛ بوصفها اجتهادات من بعض أسرى حركة فتح، الفاعلين الراغبين والمؤيدين ضرورة تغيير الواقع في السجون، وبخاصة على صعيدهم التنظيمي (الفتحاوي)، تمكنوا بما لديهم من قدرات وعلاقات وتأثير بمستوى معين، من أن يحشدوا للإضراب، غير أنَّ حجم الصراعات، التي حدثت في

[499]أحمد عزم. إضراب الأسرى 2017م. القدرة على الفعل الشعبي والافتقاد للإطار التنظيمي. المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجة – مسارات. 2017م. ص 4

[500]مقابلة مع (ض. أ) مصدر سبق ذكره.

كل سجن على حدة، تشير إلى أن قرار الإضراب قد واجه معارك ضارية قبل تنفيذه، كان أساسها بين أسرى حركة فتح، مع ضرورة إبقاء التساؤل: من أسرى فتح؟ *يقول الأسير (ض.أ): "الحرب كانت قوية، ومع هيك، كان بالنسبة إلي حتى لو كان إضراب مروان مثل ما بحكوا، فلازم يصير إضراب فتح، في ناس راحت على الإضراب على خجل، في ناس عشان ما تخسر أبو القسام، رغم أنهم مش مقتنعين، وفي ناس راحت إحراج من ناس، والأغلبية إلى دفعتهم للإضراب الحمية والنخوة، ولكن، جزء كبير من القيادات والفصائل كان عندها حسابات ثانية".*[501]

وهكذا، فإنَّ محاولة فهم تشكل قرار الإضراب عن الطعام، تحتاج إلى رسم خارطة للقرار في كل سجن، ولا يمكن حصره بموقف الأسرى في سجن (هداريم)، الذي ولدت فيه الفكرة؛ فكل سجن ومعركته الخاصة قبل الإضراب، وهذا لا يعني أنَّ هذا المشهد لم يحصل تاريخياً، بل ظهر في تجارب الإضراب الجماعية كلها، حين صعدت حالة من الاختلاف بين الفصائل والتنظيمات حول قرار الإضراب، وتوقيته، وأهدافه، وقيادته، إلا أنَّ ما جرى في إضراب عام 2017م، قد تجاوز حالة الاختلاف هذه، كيف لا، وقد كان خلافاً أساسياً على جدوى المواجهة وضرورتها؟ وهنا، ليس اختلافاً، بل محاولة إسقاط معنى الوجود في السجن، والعلاقة بينهما وثيقة؛ فالمواجهة تشكِّل معنى الوجود للأسير؛ ما يعيد المتلقي إلى ما أشار له الأسير وليد دقة في (صهر الوعي)،[502] على أنه ضرب الوعي، عبر فرض تساؤلات عن جدوى المواجهة، كما أشارت الدارسة أعلاه، في النقاشات التي فرضتها (الهبة الشعبية) حول جدوى أداة السكين.[503]

ولعلّ الأمر الأشد خطورة في قرار الإضراب، هو الحالة التي كشف عنها أسرى فتح في السجون، التي تجاوزت وصف الأزمة؛ فقد وصلت إلى مرحلة مزمنة من الصراعات التراكمية الممتدة تاريخياً، وكانت نتاجاً عن خياراتها

[501] مقابلة مع (ض.أ) مصدر سبق ذكره

[502] وليد دقة. مصدر سبق ذكره. 2010م.

[503] سليمان الحلبي. مصدر سبق ذكره.

التاريخية التي عاشتها، ووفي مقدمتها، التحول من (خيار الثورة إلى خيار الدولة)، والتحول الأساسي من منظمة التحرير الفلسطينية بما تحمله، إلى سلطة تحتكر شرعية (العنف) الداخلي، وصناعة القرار السياسي؛[504] ما انعكس تلقائياً على واقع أسرى فتح، التي شكلت تاريخياً، وحتى مرحلة ما قبل أوسلو، التنظيم المسيطر على واقع السجون ومسار المواجهة، وعاد هذا المشهد مع اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م، غير أنَّ الواقع الذي أوجده الجيل الجديد من الأسرى بعد عام 2000م، يحفل بكثير من مخلفات الواقع في (الخارج)، كان أساسها التحول الذي اصطدم به هذا الجيل، المتمثل في أوسلو؛ ما لم يمكنه في واقع الأمر من لملمة خياراته، أو محاولة فرض خياراته في المواجهة بطريقة منظمة، بل كانت فوضى القرار واحدة من أهم السمات، التي كشفت عنها رواية هذا الجيل، وذلك منذ تشكل وعيه في انتفاضة الحجارة، إلى صدمة أوسلو، وفرصة انتفاضة الأقصى مجدداً، فكيف كان إضراب عام 2017م فرصة جديدة لـ(جيل انتفاضة الأقصى)؟

خارطة قرار الإضراب

"أنا أخذت قرار أنه أنزل في الإضراب، وحكيت، ما راح أرجع إلا لما أشوف مروان، وكان الهدف بالنسبة إلي أنه نسحب البساط، من تحت الناس إللى مستقوية بالإدارة، وكانت الناس إللى مستقوية في الإدارة فاهمة أنه الإضراب، كان جزء من أهدافه هم، لهيك، حاولوا يحاربوه بكل قوتهم." [505]

ومن الجدير ذكره، أنَّ قرار الإضراب لم يكن في أية مرحلة تاريخية إلا محط خلاف بين التنظيمات، كما ذكرت الدارسة سابقاً، ومع ذلك، فقد خرجت الإضرابات التي سبقت عام 2004م، عن هذه القاعدة؛ إذ لم تمثِّل ضرورة المواجهة وخياراها ضد السّجّان مبدأ الخلاف، بل كان الخلاف في أغلبه من يقرر؟ ومتى؟، وهذا جزء من

[504] جميل هلال. النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو. دراسة تحليلية نقدية. مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2006م. ص 77

[505] مقابلة مع (ر.ق) أسير محرر من أسرى جيل انتفاضة الأقصى. جرت المقابلة في نادي الأسير. 2020م.

التحول الكبير الذي تركه إضراب عام 2004م، والواقع الأهم الذي أحدثه (صراع الإخوة) بين حركتي فتح وحماس، منذ عام 2007م، الذي رسخ هذا الخلاف، لتتجاوز أبعاده حد ظهور معارك مضادة للإضراب، ومحاولة الالتفاف على القرار، وهذا ما عكسته رواية إضراب عام 2004م، على وجه الخصوص، وعادت لتتجسد خلاصة في إضراب عام 2017م، وبخاصة في الصراعات الداخلية لأسرى حركة فتح، مع ضرورة بقاء التساؤل: من أسرى فتح؟ والأمر اللافت للانتباه، أنَّ المراسلات التي سبقت الإضراب، وبخاصة مراسلات سجن (هداريم)، قد عكست توافقاً فصائلياً جرى حول قرار الإضراب، وأظهرت مشهداً مختلفاً ومغايراً ومتناقضاً في كثير من الأحيان، أظهره مسار الإضراب لاحقاً، وهذا الأمر لا يقتصر على صعيد موقف الفصائل، بل يمتد إلى صعيد (أسرى فتح)؛ ففي 9نيسان/ أبريل 2017م، أرسل ممثل الأسرى في سجن (هداريم) رسالة قال فيها: *" إنه تم إعلام إدارة السجون، بأن الأسرى، ومن جميع الفصائل، سوف يخوضون الإضراب المفتوح عن الطعام، وقاموا بتقديم لائحة طلبات لإدارة السجون قبل فترة؛ للعمل على حل هذه الأمور، التي تم إيرادها باللائحة، إلا أن إدارة السجون حتى اليوم، لم تقم بتنفيذ أي مطلب من مطالب الأسرى، التي تم تقديمها لهم، كما أن إدارة السجون لم تقم بالتفاوض مع الأسرى نهائياً بخصوصها، والعمل على إيجاد حلول لها، وإذا لم يتم التحدث مع الأسرى قبل 17 نيسان/ أبريل 2017، سوف يبدأ الأسرى بجميع الفصائل في الإضراب."* [506]

وجدد ممثل الأسرى في سجن (هداريم) التأكيد على إجماع الفصائل وحركة فتح على الإضراب، في مراسلات لاحقة؛ ففي 16 نيسان/ أبريل 2017م، أي قبل موعد الإضراب بيوم، أرسل رسالة قال فيها: *"إن أسرى (سجن هداريم)، ماضون بكافة الفصائل الوطنية والإسلامية في الإضراب عن الطعام، ونحن نحيي كل أبناء شعبنا الداعم لنا ولحقوقنا، وندعو جماهيرنا لنصرة قضيتنا، ونحمل إدارة سجون الاحتلال المسؤولية عن حياة جميع الأسرى، ونحمل الصليب الأحمر المسؤولية الكاملة عن تعنته وعن إجراءاته، التي قادتنا إلى هذا اليوم، ونؤكد أننا لن نستقبل أي*

[506] نادي الأسير الفلسطيني، تقرير زيارة سجن (هداريم) في 9 نيسان 2017م.

مندوب من الصليب الأحمر طوال فترة الإضراب وما بعدها، وندعو إلى اعتصامات حاشدة أمام مقراته ومكاتبه"، وأورد في نهاية الرسالة: "*كما أود أن أبلغك أن من لم يدخل بالإضراب، وخاصة من حماس، أبلغوا الإدارة أنه وبعد عشرة أيام من الإضراب، إذا لم تتحقق المطالب، سوف يدخلوا في الإضراب.*"[507]

وبكلمات أخرى، يمكن ملاحظة أن الرسالة التي وجهت من سجن (هداريم)، كانت، في واقع الأمر، تعكس قرار هذا السجن، وليس عموم الأسرى في السجون، وهذا الأمر ليس على صعيد حركة فتح فحسب، بل يمتد إلى الفصائل الأخرى، وعلى رأسها حماس، التي لم تتخذ قراراً تنظيمياً بالمشاركة في الإضراب، وكذلك، أسرى الشعبية والديمقراطية، والجهاد؛ ففي واحدة من المراسلات، بيان لموقف الجبهة الشعبية، عبر أمينها العام أحمد سعدات: "*أكد فيها أن الجبهة الشعبية، لن تقصر في إسناد الأسرى المضربين والمساعدة في إنجاح الإضراب*"،[508] فيما تظهر مراسلة أخرى موقف حركة حماس، عبر الأسير محمد عرمان، وهو مسؤول أسرى حركة حماس في السجون، *قال فيها: "إن موقف حماس من الإضرابات واضح من السابق، وأنهم لن يدخلوا فيه، ولكنهم سيساندوا الخطوة، وبالنسبة لأسرى حماس في (هداريم)، طلبوا الدخول في الإضراب، وتم الموافقة.*[509]

ومن هنا، فإن موقف حركتي حماس والجبهة الشعبية، على وجه الخصوص كان واضحاً، ويتمثَّل في عدم المشاركة، والاكتفاء بمساندة الإضراب، باستثناء سجن (هداريم)، الذي تمكن من تشكيل مشهد بالإجماع، وربما هنا يفرض تساؤلاً: لماذا هذه الخصوصية التي تمكن أسرى سجن (هداريم) من فرضها؟ وهذا يعود بالمتلقي إلى وثيقة الأسرى حول إنهاء (صراع الإخوة)، التي جاءت من أسرى سجن (هداريم)؛ ما يمثِّل تأكيداً واضحاً على أن تركيبة الأسرى، على اختلاف انتمائهم التنظيمي، لها الدور الأهم في تشكيل مصير القرار، حتى على صعيد السجن الواحد.

---

[507] نادي الأسير الفلسطيني، تقرير زيارة سجن (هداريم) في 16 نيسان 2017م.

[508] نادي الأسير الفلسطيني، تقرير زيارة سجن (ريمون) في 23 نيسان 2017م.

[509] نادي الأسير الفلسطيني، تقرير زيارة سجن (ريمون) في 23 نيسان 2017م.

أمّا على صعيد حركة فتح في السجون الأخرى؛ فقد عكست المراسلات وحل الصراعات الذي غرق فيه القرار، حالة التباين الحاد في تشكل (القرار الفتحاوي) من سجن إلى آخر، وعمّق هذا الاختلاف رواية الأسرى المضربين، التي كشفت عن خارطة معقدة مر فيها القرار، الذي تشظّى فعلياً قبل الشروع في المعركة، وترك تساؤلاً كبيراً عن معنى (القرار الفتحاوي).

ولعلَّ أحد أهم الأهداف غير المعلنة للإضراب، هي محاولة توحيد حركة فتح، وهذا لن يحدث إلا بالمعنى الجمعي للقرار، الذي يمكن عبره استعادة المواجهة الجماعية، التي تستعيد بدورها هدفاً، يتمثل في (جيل انتفاضة الأقصى)، إلا أن هذا الهدف قد ضاع في الجولات الأولى للمعركة؛ فالرواية هنا، لا تتحدث عن (قرار فتحاوي)، بل عن قرارات تحتها مظلة من القرارات الذاتية والصراعات في كل سجن على حدة؛ ليبدو مشهد القرار، أقرب ما يكون إلى خارطة، لا تختلف في تشكلاتها المعقدة عن مثيلتها، التي فرضتها أوسلو على الأرض، حتى باتت محاولة فهم هذا التقسيم محاولة بائسة، لا تفضي إلا إلى مزيد من الغرق في بنية من التناقضات، والتساؤلات والصراعات، ومع ذلك كله، تظلّ محاولة فهم مسار القرار أمراً مهماً لفهم (العلاقاتية)، التي فرضتها تشكلات العلاقة مع السّجّان، من جهة، ومع السجن الكبير (الخارج)، من جهة أخرى.

"فما يجري داخل السجون، هو صورة مصغرة لما يجري في فلسطين كلها، كلها في الأسر اليوم، وما الحرية الشكلية التي يتمتع بها من هم خارج السجن سوى وهم." [510]

فقد خاض الأسرى في سجن (ريمون) معركة قبل معركة الإضراب، بين من هم معه ومن هم ضده، وعلى الرغم من أن تأكيداً ما، قد وصل من ممثل الأسرى، على أنهم مع الخطوة قبل الشروع في الإضراب، إلا أن مفردة (مع الخطوة)، كانت تحمل معاني معاكسة تماماً، أو لربما (نحن مع ولكن)، وقد بدا هذا الأمر جلياً في الروايات والمراسلات،

[510] الياس خوري. الأسرى والقرار الوطني المستقل. جريدة القدس العربي. نشرت المقال في تاريخ الثاني من أيار 2017. https://bit.ly/2GZiikG.

التي وردت عقب الإعلان عن الإضراب؛ ففي رسالة وجهها الموجه العام لحركة فتح في (ريمون)، بعد الشروع في الإضراب، تضمنت ما يأتي: *" أي إضراب يجب أن تكون هناك قاعدة سليمة، وللأسف، هذه الخطوة بدأت بدون هذا الشرط، حيث لم يكن هناك إجماع وطني؛ فحماس اعتبرت الوقت غير ملائم، وهكذا، تم إرسال رسالة لأبي القسام، وأن الظرف غير مناسب للإضراب، ولم يحصل على إجماع وطني، ومع ذلك، كان موقف أسرى سجن (هداريم) واضح ومصمم على الإضراب، وتم إبلاغ الجميع أنه وفي حال دخولهم للإضراب، ستكون هناك خطوات مساندة."* [511]

وفي الحقيقة، لقد تجاوزت هذه القضية مبرر عدم وجود إجماع وطني من الفصائل كافة، فقد كان الإجماع الفتحاوي غائباً، وفيما يتصل بموقف الفصائل الأخرى، كان واضحاً، على الرغم من تفاوته من سجن إلى آخر، فضلاً عن قرار عشرات الأسرى الدخول في الإضراب ذاتياً، بعيداً عن قرار التنظيم، الذي حضر في نهاية الأمر، بصدوره وإعلانه لدى بقية الفصائل، حتى وإن تمثَّل في عدم المشاركة، وعلى الصعيد الفتحاوي، كان القرار الجماعي قد سقط قبل الشروع في الإضراب، إلى جانب جملة من المعارك، التي فُرضت على الإضراب قبل أن يصبح معركة، فقد تعرض (أسرى فتح)، ممن قرروا خوضه لحرب كبيرة من فتح نفسها؛ ما يفرض ضرورة إبقاء التساؤل مجدداً: من (أسرى فتح)؟

وهكذا، كان من الواضح، أنَّ المواقف من الإضراب، قد تحولت إلى حرب؛ إذ يرى (ض.أ): *"أن الحرب كانت كبيرة، وكان الكثير من الأسرى يدافعوا بقوة عن موقفهم الرافض للإضراب، وكان موقفهم نابع من الخوف على المكتسبات الشخصية، والامتيازات إللي منحتها الإدارة لهم، وتحديداً بعض ممثلي الأسرى في بعض السجون"*،[512] *والأمر الافت للانتباه، أنَّ هذه المواقف* كانت متفاوتة من سجن إلى آخر؛ تبعاً لما فرضته الإدارة، عبر تشكيل علاقة معينة مع بعض ممثلي الأسرى، وبخاصة على صعيد ممثلي أسرى حركة فتح، التي أسهمت بصورة أساسية

[511] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في ت 23 من نيسان 2017م.

[512] مقابلة مع (ض.أ) مصدر سبق ذكره.

في نوعية القرار المعلن تجاه الإضراب؛ فهذا التفصيل يعود بالمتلقي إلى أداوت الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، ومنها أداة التصنيف، التي أحدثت تحولات كبيرة في واقع الحياة الاعتقالية؛ لتتحول من أداة استعمارية صهيونية إلى واقع يطالب به الأسرى؛ ما ترك أثراً كبيراً على قرار المواجهة، وجعل مقولة متكررة في رواية الأسرى تطفو على السطح: *"الحفاظ على الواقع الموجود؛"*[513] ما يفرض تساؤلاً كبيراً عن معنى الواقع القائم، فهو جملة من الامتيازات والظروف الحياتية، التي تفرضها إدارة السجن، التي تختلف من سجن إلى آخر، وهذه الامتيازات قد لا تكون مرتبطة بواقع الأسرى كافة في السجن نفسه، بل قد ترتبط بامتيازات مجموعة من الأسرى المتحكمين، أو على سبيل رواية الأسرى *"المستقوبين بالإدارة"*،[514] ومع ذلك، فإنَّ جملة من المصطلحات التي غزت المرحلة الراهنة، كمصطلح (الإبقاء على الوضع القائم) هي مرادفة لمصطلح "الحفاظ على الواقع الموجود."[515]

ولم يكن قرار الأسرى في سجن (النقب)، أقل حدة من سجن (ريمون)، على صعيد أسرى حركة فتح، بل كانت الحرب أشد ضراوة، ومع ذلك، كانت المفاجأة في أعداد الأسرى، الذين قرروا الدخول في الإضراب، بصورة ذاتية؛ ما فرض معركة كبيرة بين الأسرى وتنظيم أسرى حركة فتح في (النقب)، وحوَّل التنظيم إلى أداة في يد الإدارة، يقول (ر.ق): *"الإدارة ما تخيلت أنه ممكن في النقب ينزل عدد هيك؛ لأنه تركيبة الأسرى أحكام خفيفة، فهي توقعت أنه راح ينزل أعداد قليلة، ورجعت جلست مع التنظيم مرة ثانية، فكان ممثلي الأقسام في النقب، بدهم الناس ترجع عن خطوة الإضراب، وصاروا يحكوا أنه بدهم الناس ترجع عن خطوة الإضراب، وصاروا يحكوا أنه بدهم يحافظوا على*

[513] مقابلة مع (ض.أ) مصدر سبق ذكره.

[514] مقابلة مع (ر.ق) مصدر سبق ذكره.

[515] سليمان الحلبي. مصدر سبق ذكره. ص 2

الواقع، والمناطقية لعبت دور، وسببت ضعف كبير، فكل واحد بده يحافظ على جماعته، وامتيازاته، فرجعوا أخذوا قرار أنه بدهم ينزلوا عشر أيام فقط، ومش مسموح لحدا يرجع قبل العشر أيام." [516]

وبكلمات أخرى، فقد كشفت معركة الأسرى في سجن (النقب)، قبل الشروع في الإضراب، عن تفاصيل كثيفة عن نوع العلاقة المبنية فعلياً مع الإدارة بناءً تراكمياً، وبخاصة على مستوى الامتيازات، التي راكمها بعض ممثلي الأسرى، في ظل خصوصية سجن (النقب) الماثلة في ناحيتين، التاريخية، التي تتصل بالتحول الذي شهده من حيث إدارته، فقد كان معتقلاً تابعاً للجيش الصهيوني، سنوات طويلة، ولاحقاً، تحول إلى إدارة السجون، ولا يخفى على أحد، أنَّ نوع الحياة التي يفرضها الجيش في المعتقلات، مختلفة تماماً عما تفرضه الإدارة في بقية السجون، على الرغم من كونه سجناً في نهاية المطاف، ويرتبط هذا الاختلاف بمستوى الامتيازات التي تمنح للأسرى، ومستوى السيطرة والتحكم، فضلاً عن طبيعة عمل التنظيم، وما يمكنإدراجه في إطار أدوات سياسة التصنيف، التي طبقتها سلطات الاستعمار الصهيوني على الأسرى، سبق أن وضّحتها الدارسة مراراً في الفصول السابقة، وأما الخصوصية الثانية؛ فهي تركيبة الأسرى؛ إذ إنَّ أغلبهم من ذوي الأحكام الخفيفة، أو ممن بقي له سنوات قاربت على الانتهاء، أو من الموقوفين.

"الإدارة تتعمد تنويع السجون؛ فلما الأسير بده يفكر يعمل مواجهة، بده يصير يحكي، ويفكر، ليش أروح على سجن ثاني، وهو هيك، وهيك، زي التلفونات، وجود التلفونات صار يضعف المواجهة،" [517]وهكذا، فإنَّ الظروف المتفاوتة بين السجون، قد أثرت بصورة أساسية على خيار المواجهة بالإضراب، وبخاصة في رغبة بعض ممثلي الأسرى من فتح، الحفاظ على (الواقع الموجود)، كما ذكرت الدارسة سابقاً، ولا تتصل محاولة الحفاظ على الواقع الموجود بممثلي أسرى حركة فتح في السجون فحسب، بل تمتد إلى التنظيمات الأخرى، غير أنَّ الفرق بين الطرفين، أنَّ حركة فتح لم تعد تنظيماً يحمل قراراً واحداً، أو موقفاً واحداً؛ إذ أصبح كل تنظيم فتحاوي مختلفاً عن نظيره، في إدارته،

[516] مقابلة مع (ر.ق) مصدر سبق ذكره.

[517] مقابلة مع (ر.ق) مصدر سبق ذكره.

ومستوى علاقته مع الإدارة، من سجن إلى آخر، في ظلّ حالة التفاوت التي غرقت فيها، وكأنَّ الحديث قد بات عن تنظيمات متعددة لفتح، إن صح وصفها بالتنظيمات، لا تنظيماً واحداً فحسب، وهذا ما كشفه بصورة واضحة ما جرى في سجني (ريمون) و(النقب) على وجه الخصوص، فإذا ما عقدت موازنة بين حركة حماس مثلاً وحركة فتح؛ فإنها تبدو أشد تنظيماً وانضباطاً، ومع ذلك، فقد تأثرت بحالة التفاوت؛ لأنها في نهاية المطاف، واقعة تحت تأثير سياسية التصنيف الاستعمارية، كما الفصائل كلها.

وبكلمات أخرى، فإنَّ المشهد الذي شكلته المعركة في النقب قبل الإضراب، كان كفيلاً ليؤكد على حجم الحرب الكبيرة، التي وصفها الأسرى سابقاً، بحرب فرضها ممثلو الأسرى، وعلى الرغم من أن قرار فتح في (النقب)، كان يتمثل في عدم المشاركة في الإضراب، باستثناء قرابة 300 أسير، قرروا الإضراب؛ لدوافع مختلفة، أهمها مواجهة الإدارة، وإحداث صدع في العلاقة القائمة بين ممثلي الأسرى من فتح في السجن، والإدارة، يقول (ض.أ): *"الأسرى إللي قرروا الإضراب في النقب، دخلوا بدوافع مختلفة، منها أنهم من رام الله، وأنه القائم على الإضراب مروان البرغوثي، ولكن، هدول قلة، الأغلبية دخلت على قناعة تامة أنه لازم فتح تتوحد، ويتم إنهاء رجالات الإدارة؛ لأنه هدول فرضوا بالقوة، وهاي كانت قناعة 99% من الأسرى إللي قرروا يشاركوا في الإضراب، وفي ناس دخلت الإضراب عشان تطلع الناس من الإضراب."* [518]

ولعلَّ السؤال الأهم هنا: كيف يمكن أن تكون مشاركة بعض الأسرى في الإضراب جزءاً من أدوات محاربة الإضراب؟ فقد اتخذ التنظيم في (النقب) قراراً؛ بوصفه محاولة لإبقاء (سيطرتهم) على القرار، عبر دخول الأسرى في إضراب عشرة أيام فقط، ولكن، قبل ذلك يمنع الأسير من تعليق الإضراب؛ ما يشكِّل فعلياً، وقعاً أخطر من قرار عدم المشاركة في الإضراب؛ لأسباب متعددة، من أبرزها بث روح التراجع عن الإضراب؛ فالأسير المضرب يتسلح فترة إضرابه

[518] مقابلة مع (ر.ق) مصدر سبق ذكره.

بتفاصيل داعمة وأساسية، منها انخراط أعداد أخرى في الإضراب؛ ما ينقل المتلقي من سجن (النقب)، إلى سجن (جلبوع)، الذي قرر أن يخوض الإضراب منذ اليوم الأول، إلا أن مشاركته قد أحدثت ضربة للإضراب، بعد تشكّل خوف الأسرى فيه على فقدان (الواقع الموجود)؛ فسياسة التصنيف التي فرضتها سلطات الاستعمار الصهيوني، تحولت مع الوقت، كما ذكرت الدارسة أعلاه، إلى امتياز، يحاول الأسرى الدفاع عنه وإبقاءه، يقول (ض.أ): "طلعت من سجن (جلبوع)، وكانت في أصوات تحكي أنه مش لازم قسم القدس يضيع، وضاع القسم"؛[519] فقرابة 100 أسير من (جلبوع) علقوا الإضراب، بعد أن حقق الأسرى بعض المطالب الحياتية الخاصة بهم، وهذا ما أشارت إليه المراسلات بصورة واضحة بعد إضرابهم؛ إذ يقول أحد الأسرى في رسالة وجهها: *"إن الاتفاق النهائي، الذي توصل له الإضراب، غير مرضي لشباب في جلبوع، الذين لم يقصروا في الإضراب والتضحية... وإذا ما أجريت مقارنة بين بنود الاتفاق الذي تم في جلبوع، وبين الاتفاق النهائي، فهناك مقاربة كبيرة في النتيجة."*[520]

أمّا على صعيد سجن (مجدو)؛ فقد كان قرار التنظيم في عدم المشاركة في الإضراب، ومع ذلك، قرر قرابة (80) أسيراً[521] المشاركة في الإضراب بقرار ذاتي، وكان هذا القرار لا يقتصر على أسرى فتح فحسب، بل شارك أسرى من الفصائل الأخرى فيه.

وفي سجن (عوفر)، الذي يخضع لخصوصية شبيهة بخصوصية سجن (النقب)، على الصعيد التاريخي، من جهة، وما شهده من عملية انتقال وتحول على صعيد إدارته، من جهة أخرى، أو حتى على صعيد تركيبة الأسرى التي تتشكل في أغلبها من الأسرى الموقوفين؛ فقد أثرت هذه الخصوصية بصورة مباشرة على القرار، غير أنه مختلف عن قرار

[519] مقابلة مع (ض.أ). مصدر سبق ذكره.

[520] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (جلبوع) في 18 حزيران 2017م

[521] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (مجدو) في 18 نيسان 2017م.

الأسرى في (النقب)؛ إذ إنَّ التنظيم كان داعماً للإضراب، وفعلياً، دخل ممثلو الأسرى من فتح في الإضراب، ومن فصائل أخرى بقرار ذاتي.[522]

أمّا قرار فتح في سجن (نفحة)؛ فقد كان يتمثل في المشاركة في الإضراب، عدا جزء من أسرى فتح (غزة)؛ ليشكِّل هذا السجن حالة أساسية في دعم الإضراب، بل ثقلاً حاسماً في أعداد الأسرى المضربين؛ إذ شارك منه نحو 90 % من الأسرى.[523]

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ عرض قرارات فتح المتباينة في السجون، وسيلة لتقدير خارطة معقدة لمحاولة فهم مسار قرار الإضراب، وتفكيك المشهد في كل سجن؛ فالقرار كان قرارات متفاوتة ومختلفة، ولم يكن قراراً موحداً، كما ذكرت الدارسة سابقاً، كيف لا، وقد تشظى القرار الجماعي الفتحاوي؟ غير أنَّ هذا الأمر، قد طال التنظيمات الأخرى، التي قررت عدم المشاركة بصورة تنظيمية؛ فقد قرر عشرات من أسراها تجاوز قرار التنظيم، والإضراب بقرار ذاتي؛ ما يحمل دلالة عميقة على المستوى التنظيمي وقرار المواجهة، ويعيد المتلقي إلى إضراب عام 2012م، الذي قرر وقته، جزء من أسرى حركة فتح في بعض السجون الإضراب بصورة ذاتية، غير أنَّ مصير من قرر ذلك، كان قاسياً، وذا ثمن باهظ، ولعل الفرق هنا، أنَّ الأسرى الذين قرروا الإضراب كان قرارهم منسجماً ومتوافقاً مع التنظيم، كيف لا، والقرار الذاتي لابد أن يخضع لقرار التنظيم في الفصائل الأخرى؟ وهذا ما تؤكده المراسلات التي تحدثت بصورة خاصة عن أسرى الفصائل الأخرى في سجن (هداريم)، الذين قرروا المشاركة، فكيف كان مسار المعركة بعد معركة القرار؟

[522] نادي الأسير الفلسطيني. عدة مراسلات تمت خلال الفترة الواقعة من بداية نيسان 2017م – حزيران 2017م.
[523] نادي الأسير الفلسطيني. زيارة لأسرى سجن "نفحة" في 27 نيسان 2017م.

تحديات استعادة المحاولة والممارسة عام 2017م

يمثِّل مسار المعركة جزءاً من عملية الكشف، التي تعتمد في الأساس على تفكيك محطات معركة (إضراب الكرامة)، وأهمها القرار، فكيف كشف هذا المسار عن مستويات (العلاقاتية)، وتعقيداتها، على مستوى العلاقات في بنية السجن، ونظيرتها بين السجن والبنية التي شكلتها سلطة (أوسلو) السجن الكبير؟ والأمر اللافت للانتباه، أنَّ قوة عملية الكشف عن هذا النوع من (العلاقاتية)، نابعة من خصوصية تجربة الإضراب؛ ففي الأوقات التي لا تتزامن فيها وجود معركة أو أي نوع من المواجهة، لا يمكنها الكشف عنها بسهولة، وهذا الأمر متصل بأدوات المعركة، وأثر المصير الذي يمكن أن تشكله على مستوى الأسرى في السجون وتنظيماتهم، وحتى على من هم (خارجه).

يقول الأسير وليد دقة: "الحركة الوطنية الأسيرة هي امتداد وانعكاس للحركة الوطنية خارج السجون، وعندما تكون الحركة الوطنية متماسكة موحدة؛ فإن الأسرى بالتأكيد سيكونون موحدين... نعم صحّة وعافية الأسرى كجسم منتظم هي من صحّة وعافية الحركة الوطنية المنظمة. ولما كانت حركة التحرر قد غابت خطابها، وتحولنا من مقاومة إلى فصائل تتبنى ما يشبه خطاب المقاومة." [524]

وهكذا، فإنّ المعارك المتعددة، التي فرضها الأسرى تاريخياً، انتقلت إلى (الخارج)، ومهدت الطريق لمرحلة اشتباك جديدة مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني؛ ما يضع المتلقي في تساؤل دائم عن الخط الفاصل بين السجن الصغير والسجن الكبير، التي تتشكل فيه (الحرية) بنوع من الزيف محكم التصميم، وقد يحدث أن يُصبح الوصول إلى هذا الخط صعباً، وللمتلقي أن يتخيل المشهد من الأعلى؛ ليجد أن الفلسطيني في سجون متفاوتة المستويات، وفي السجن أيضاً مستويات من السجن، كما في أداة العزل، ومستوياتها التي تناولتها الدارسة في الفصل الخامس، وللوصول إلى فهم الصعوبة بين السجن و(خارجه)، لابد من الانتقال إلى مسار المعركة أو رحلة المعركة، بما فيها من كثافة عالية

[524] وليد دقة. مقابلة خاصة أجراها موقع عرب 48 نشرت في 22 نيسان 2016م. https://bit.ly/353SBY6

من مستويات مواجهة مختلفة، لم تقتصر على مواجهة السّجّان، بل الحرب الكبيرة التي واجهها الأسرى المضربون، التي اشتدت ذروتها، وعرت تفاصيل هي بمثابة وجه للمرحلة، على مستوى حركة فتح، أو موقف التنظيمات الأخرى، وكذلك الاشتباك الحاد الذي فرضته بنية سلطة (أوسلو)، وبخاصة دور الأجهزة الأمنية الفلسطينية.

وفي 17 نيسان/ أبريل، شرع أكثر من 1000 أسير، في الإضراب المفتوح عن الطعام، وكانت أبرز مطالبهم، استعادة الزيارات المقطوعة وانتظامها، وإنهاء سياسة الإهمال الطبي، وسياسة العزل، وسياسة الاعتقال الإداري، والسماح بإدخال الكتب والصحف والقنوات الفضائية، إضافة إلى مطالب حياتية أخرى،[525] وكما في الإضرابات السابقة كلها، نفذت إدارة السجون الصهيونية أدواتها الممنهجة لكسر الإضراب،[526] من أبرزها عزل الأسرى، وتجريدهم من مقتنياتهم، وتنفيذ عمليات قمع واعتداءات متكررة بحقهم، وحرمانهم من زيارة العائلة، ونقلهم المتكرر من سجن إلى آخر، ومنع المحامين من زيارتهم؛ بوصف ذلك جزءاً من إجراءات العزل، وبث الشائعات، ومساومتهم على تقديم العلاج لهم مقابل وقف الإضراب،[527] عدا عن استخدام الأسرى غير المضربين أداة؛ من أجل

[525] بيان صادر عن اللجنة الإعلامية لإضراب الكرامة في تاريخ 17 نيسان/ أبريل 2017.

[526] نادي الأسير الفلسطيني، تقرير زيارة سجن "هداريم" في تاريخ 20.4.2017: "منذ اليوم الأول للإضراب وبعد أن تم تسليم الإدارة بلاغ البدء بالإضراب وقائمة الطلبات من قبل الأسرى شرعت إدارة السجن مباشرة بعزل الأسيرين مروان البرغوثي وكريم يونس إلى معتقل "الجلمة" ونقلت الأسيرين محمود أبو سرور ووجدي جودة إلى سجن "نفحه"، بنفس اليوم قامت إدارة السجن بفصل الأسرى المضربين عن الطعام عن الأسرى الغير مضربين عن الطعام بغرف خاصة، وقاموا بإجراء تفتيش على جميع القسم، وأخذ جميع المحتويات المتعلقة بالأسرى المضربين عن الطعام وأبقوا فقط للأسرى المضرين عدة قطع من الملابس وحرام. باليوم التالي قامت بعملية نقل واسعة بين صفوف الأسرى المضربين، وبمجرد أن تم نقل الأسرى من السجن تم إغلاق جميع المرافق بالسجن من قبل الأسرى وخاصة الكنتين والمغسلة والمخزن لأن هذه المرافق تحتوي على كافة ممتلكات الأسرى وتم إبلاغ إدارة السجن بذلك بان هذه المرافق يجب أن تبقى مغلقة وأي محاولة لفتحها يعتبر خرق ومس بممتلكات خاصة للأسرى. ابلغني ممثل المعتقل انه كان هناك جولة من قبل ضابط الاستخبارات في المنطقة ومن كلامه يوحي للأسرى انه مصلحة السجون لن تستجيب لطلبات الأسرى بحجة أن الأسير مروان البرغوثي قاد الأسرى إلى إضراب سياسي وليس إلى إضراب مطلبي. تم منع الأسرى من اخذ الدخان والملح وجاهزة الراديو وانم هذه الأمور أمور ضرورية للأسير وان أي تشويه للأسرى في الإعلام بان الأسرى حاولوا اخذ طعام معهم منافي للصحة وهدفه ضرب الإضراب ، وخاصة انه بإضرابات سابقة كان يسمح للأسير بأخذ الملح والدخان.

[527] من مجموعة بيانات نشرتها اللجنة الإعلامية لإضراب الكرامة خلال فترة الإضراب. عام 2017م.

الضغط عليهم، وهذه النقطة، تُشكل الأساس في محاولة فهم (العلاقاتية)، بين ممثلي الأسرى في بعض السجون، وإدارة السجون الصهيونية.

"إحنا قعدنا شهر في النقب، عزولنا في قسمين، وكان ممثلين النقب إللي مش مضربين رايحين جاين علينا، ينقلوا معلومات لإفشال الإضراب"،[528]وكان من الواضح في المراسلات، التي نُقلت فترة الإضراب، وأغلبها من الأسرى غير المضربين، مع وجود منع زيارة للأسرى المضربين، أن الإضراب يواجه حرباً على مستويات كبيرة، وهنا، تستعرض الدارسة مجموعة من المراسلات، التي جرى نقلها من سجن (ريمون) حيث كان القرار التنظيمي لفتح بعدم المشاركة في الإضراب، وهنا، ستعتمد الدارسة على رواية أسرى في سجن (ريمون)، أعطت أبعاداً للموضوع المبحوث هنا، ألا وه (العلاقاتية)، *"صحيح أن ريمون أعلن موقفه مسبقاً بعدم الدخول في الإضراب، ولكن أعلموه أن سجن (ريمون) سيكون له موقف داعم ومساند، وردنا على إدارة السجون أنه لا حوار معنا، وأن يتوجهوا إلى عنوان الإضراب الأخ أبو القسام وكريم يونس."* [529]

"بالنسبة للإضراب، من الأساس كان الموقف أننا نحن في وضع مستقر، مقارنة مع السجون الأخرى، ووضعنا جيد، ودليل ذلك، أن من يأتوا من السجون الأخرى، وعندما يأتيهم قرار نقل من (ريمون)، يرفضون، ويحاولوا إلغاء نقلهم، كما أن موقف إدارة السجون واضح، بأنها لن تتعاطى مع مروان وقيادة الإضراب، كما أن الإضراب له هدفان: هو تحقيق مطالب حياتية، والهدف الأهم غير معلن ويتصل بوضع أبو القسام." [530]

---

[528]مقابلة مع (ر.ق) مصدر سبق ذكره.

[529]نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 23 نيسان/ أبريل 2017م.

[530]نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 23 نيسان/ أبريل 2017.

"الأسرى في سجن (ريمون) لا يستطيعوا أن يغامروا في الوضع الحالي، بما حققوه من إنجازات، وهي غير موجودة في سجون أخرى، إضافة إلى توقيت الإضراب الغير مناسب، في ظل الظروف الخارجية السياسية."[531]

ولعلَّ ما يستوقف المتلقي هنا، لا يتصل بالموقف المعلن بعدم الدخول في الإضراب فحسب، بل بسياقات المبررات لذلك أيضاً، وبخاصة تعبير (الوضع مستقر) في (ريمون)، وهذا يعيد المتلقي إلى ما ذكرته الدارسة أعلاه، عن النقاش حول أهمية خيار المواجهة، التي تُشكل معنىً للوجود، ومعنى (الاستقرار) في بنية العنف التي تفرضها إدارة السجون الصهيونية على الأسرى؛ فالتحول الحاصل حول خيار المواجهة، له أبعاده الكبيرة، التي بدأت فعلياً، بعد إضراب عام 2004م، وأسهم في ترسيخه قضية الانقسام؛ لذا عدّت نسبة كبيرة من الأسرى الإضراب مغامرة، ولعلَّ ما أشار إليه الأسرى في (ريمون)، عن عملية المساندة هي كذلك، تخضع لتساؤل عن معنى مساندة أسرى لأسرى يخوضون إضراباً عن الطعام ضد بنية السجن المشتركة بينهم، التي يواجهونها في واقع الأمر معاً؛ فعملية المساندة، التي جاءت تحت قرار عدم الدخول في الإضراب، ما هي إلا ضربة لخيار المواجهة الجماعية، وضربة للهدف الآخر للإضراب ، الذي يتمثَّل في توحيد حركة فتح، عبر المواجهة الجماعية.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ جزءاً من الرواية، فيما يتصل ببعض السجون، التي رفضت الدخول في الإضراب، يقول الأسير (م.ق): *"أنا التقيت بأحد الشباب خلال إضرابنا، إللي تعرض للضرب في أحد السجون من قبل التنظيم؛ لأنه قرر يشارك في الإضراب،"*[532] وهذا ما أكده (ض.أ): *"في أسرى تعرضوا لضغوط كبيرة؛ حتى ما تشارك في الإضراب"*،[533] وبكلمات أخرى، فإنَّ الحرب على الإضراب لم تتوقف، من الإدارة عبر أدواتها العنيفة، أو من بعض ممثلي أسرى فتح، الذين واجهوا الإضراب؛ لاعتبارات تتصل بمبرر (الحفاظ على الوضع القائم)، عبر العنف، ورافق

[531] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة لأسرى سجن (ريمون) في 23 نيسان/ أبريل 2017م.

[532] مقابلة مع (م.ق). مصدر سبق ذكره.

[533] مقابلة مع (ض.أ). مصدر سبق ذكره.

ذلك انسحاب بعض السجون من الإضراب، الذي عدَّه الأسرى ضربة قاضية للإضراب، وبخاصة ما جرى في سجن (جلبوع)، فقد انسحب قرابة 100 أسير من الإضراب، بعد التفاوض على مطالب حياتية مع الإدارة، تتصل بأسرى سجن (جلبوع) فقط، وكان ذلك بعد اليوم (13) للإضراب،[534] أي في وقت مبكر من الدخول في الخطوة، وهذا ما راهنت عليه إدارة السجون لمواجهة الإضراب، بفتح حوارات جانبية مع السجون، بعيداً عن قيادة الإضراب المعزولة فعلياً، منذ أن بدأ الإضراب، والتعامل مع السجون، على أساس أنَّ كلّاً منها جسم منفصل عن السجون الأخرى من حيث القرار.

ولم تكن الحرب الكبيرة من بعض ممثلي أسرى حركة فتح في السجون فحسب؛ فقد كانت في (الخارج)؛ فرواية الأسرى الذين قرروا عدم المشاركة في الإضراب، حملت رواية خاصة (للخارج)، وتضمنت اتهامات كبيرة للأسرى المضربين، وقيادة الإضراب، وأن هناك محاولة انقلاب، ومحاولة أخرى لخلق حالة فوضى، بمخطط مشترك مع جهات أخرى، وطالت هذه الاتهامات أشخاصاً وأطرافاً أخرى في (الخارج)، *يقول الأسير (ر.ق): "في ناس ما بدهم مروان ينتصر، لأنه أسهمه الشعبية راح تزيد، وفي ناس مش معنية فيه، والأسرى في الوقت الحالي كل مجموعة محسوبة على حدا، أهل نابلس على العلول، أهل الخليل على رجوب، وفي ناس محسوبة على الأجهزة الأمنية"*؛[535] ما يجعل قضية المناطقية، التي شكلت قضية مركزية تاريخياً، حتى في الإضرابات السابقة، عادت من جديد لتفرض ذاتها بصورة أعمق، وتتحول من مناطقية إلى ولاءات شخصية، فرضها واقع (العلاقاتية) في (الخارج)، وبخاصة على صعيد أسرى حركة فتح.

[534] نادي الأسير الفلسطيني. وردت هذه المعلومة في مجموعة من الزيارات التي جرت للأسرى خلال فترة الإضراب.

[535] مقابلة مع (م.ق). مصدر سبق ذكره.

"أنا اعتقدت أنه الإضراب راح يحدث انتفاضة حقيقية، ولكن ما واجهه الإضراب، وخاصة من الأجهزة الأمنية، كان لعبة كبيرة كتير، ومن تحت الطاولة، وساهم في ذلك ممثلي الأسرى في بعض السجون من فتح، إللي حكوا أنه إحنا راح نكون في الإضراب، ولما اقترب الإضراب أعلنوا العكس." [536]

وهكذا، فإنَّ مسار الإضراب، الذي استمر في مواجهة أدوات عنف إدارة السجون الصهيونية، وكذلك الحرب الكبيرة، وبخاصة بين أسرى حركة فتح، وضعت مصيره على المحك، بل كشف هذا المسار عن تحولات كبيرة، كانت واضحة بنسبة معينة قبل المواجهة، لكنها تعرت بصورة أكبر، وأثبتت أن هذه التحولات أخطر من أن تكون مجرد وجهة نظر حول خطوة الإضراب، بل هي تحول حول خيار المواجهة، وهذا الأمر مرتبط أساساً بتحولات جذرية فرضتها تحولات تاريخية، ومع ذلك، شكَّل مسار الإضراب للأسرى مشهداً جماعياً، وبخاصة لأسرى حركة فتح، الذين شاركوا في الإضراب بعد سنوات طويلة من تراجع مشهد المواجهة؛ فالاستعادة هنا ذات وقعه خاص على ذوات الأسرى، واللغة التي حملها الأسرى المضربون لغة محورية في فهم أبعاد استعادة المحاولة والممارسة، وضرورتهما، عبر المواجهة بالإضراب.

يقول أحد الأسرى المضربين عن الطعام، عبر زيارة له في 11 أيار/ مايو 2017م: *"إن معنوياته عالية، وجميع الأسرى، وهو لأول مرة يُشاهد الأسرى في إضراب جماعي، بهذه المعنويات، وهذا التحدي، على الرغم من أنه هو وغيره يخوض إضراب جماعي لهذه الفترة، وهم مستعدون للاستمرار حتى بعد اليوم الخمسين، وهم على استعداد أن يكونوا شهداء، ولن يعلقوا الإضراب، إلا باسترجاع كرامتهم، وتحقيق مطالبهم الإنسانية، مع كل ما تحاول فرضه إدارة السجون، فهو لأول مرة، يتعرض فيه الأسرى لهذا المستوى من عمليات القمع من الضرب، والاعتداءات الوحشية*

[536](ر.ق). أسير سابق شارك في إضراب عام 2017م.

والتفتيشات المستمرة على مدار الساعة". [537] ومع أن هذه الهمة، كما يقول عنها الأسرى، كانت حاضرة بقوة عند الأسرى المضربين، غير أنَّ جزءاً منهم، وليس الأغلبية، قد تراجع عن خطوة الإضراب، التي تعدُّ أخطر ما يمكن أن يحدث لمشهد الإضراب الجماعي، يقول الأسير (ض.أ): *"في شباب أخذوا صورة مروان إللي نشرها الاحتلال في الإضراب حجة؛ عشان ما يكملوا، وفي منهم تعرض للضغط كبير."* [538]

مصير الإضراب

كشف الإضراب عن وجود فجوة كبيرة بين الواقع الشعبي والرسمي، رغم ما أعلنه المستوى الرسمي الفلسطيني من دعمه الكامل للإضراب، ولكن، عند التدقيق في مجريات الحشد والدعم الشعبي، يظهر أنَّ أغلبها مبادرات وجود شخصية، أو من مؤسسات داعمة للأسرى، وقد تكشَّفت هذه الفجوة أكثر بعد نهاية الإضراب؛[539]ففي 11 أيار 2017م، صدر بيان عن اللجنة الإعلامية للإضراب، يفيد *"بأن اّللجنة المركزية لحركة فتح، ومن خلال مفوضية التعبئة والتنظيم أعلنت، عن قرارها بإصدار تعليماتها لكافّة أعضائها وكوادرها في سجون الاحتلال، بالانضمام للإضراب المفتوح عن الطعام فوراً، وتحت طائلة المسؤولية، ويستثنى من هذا القرار الأسرى المرضى والأسيرات والأسرى الأشبال"* ، ولعلَّ هذا القرار (المعلن) إلى جانب مسار القرار (الفتحاوي)، يثير التساؤل، وبخاصة في إطار مسار رحلة الإضراب، والحرب التي كانت تضرب به من كل جانب، ويضخِّم التساؤل عن (فتح)؛ فمن (فتح) في المشهد؟ ولعلّ رسم صورة للمشهد (الفتحاوي)، أصعب من محاولة تفكيك مشهد سريالي بالغ التعقيد، ومما زاد في تعقيده، تعرُّضه للنفي تارة، والتأكيد طوراً، ومما لا شكّ، أنَّ مئات أسرى فتح، ممن لم يقرروا الإضراب آنذاك، كان البيان في نظرهم تجاوزاً لقرارهم،

[537]نادي الأسير الفلسطيني. زيارة للأسرى المضربين. في 11 أيار 2017م.

[538]ض.أ. أسير سابق شارك في إضراب 2017م.

[539]أحمد عزم. مصدر سابق. ص 6

غير أن هذا الإعلان، في واقع الأمر، لم يلزم أحداً، ولم يكن سوى مجرد (إعلان)؛ إذ إنَّ أغلب من قرروا عدم خوض الإضراب، هم، كما جاءت به رواية الأسرى، يخضعون لولاءات (فلان وعلان)، ممن يقفون في مركزية حركة فتح.

وفي أول بيان صادر عن الأسير مروان البرغوثي، أثناء المعركة، في 14 أيار/ مايو 2017م ، قال::*"نحن وما زلنا في مرحلة التحرر الوطني والانعتاق من الاحتلال والاستعمار، على إطلاق أوسع حركة شعبية، وحركة عصيان مدني ووطني شامل، وإعادة الاعتبار لخطاب التحرير الوطني، في الذكرى الخمسون على الاستعمار، ومع اقتراب الذكرى السبعون للنكبة، أؤكد أخيرا، أن معركة الحرية والكرامة، هي جزء لا يتجزأ من الكفاح ضد الاحتلال، ومن أجل إسقاط نظام الأبارتهايد الظالم في فلسطين."* [540]

بدا واضحاً، أنَّ مصير ما دعا إليه الأسير البرغوثي قد ذهب أدراج الرياح، وفي المقابل،كانت السلطة آنذاك، تحاول استئناف العملية السياسة والمفاوضات،[541] أما على المستوى الشعبي؛ فقد جاءت الاستجابة بطريقة عفوية، وذلك عبر إغلاق مداخل المدن، في محاولة لهز مشهد الحياة الطبيعية، في ظل الإضراب. [542]

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ مرحلة المفاوضات قد شكَّلت المحطة الأكثر خطورة على مصير الإضراب، في الإضرابات التاريخية كافة، وبخاصة أن إدارة السجون الصهيونية، قد حاولت في الإضرابات السابقة كلها، خلق مسارات تفاوض، بعيداً عن القيادة التي أجمعت عليها الفصائل، التي مثلت في الإضرابات السابقة كلها، ممثلين من الفصائل كافة، غير أنَّ الخصوصية التي فرضت نفسها على إضراب عام 2017م، تتمثَّل في أنَّ قيادته، تمركزت في شخص الأسير مروان البرغوثي، وإلى جانبه الأسير كريم يونس، وطيلة فترة الإضراب، كانت إدارة السجون الصهيونية، تؤكد غياب إمكانية إجراء مفاوضات مع الأسير البرغوثي؛ ما دفعها إلى عزله منذ بداية الإضراب، ومنع أي من

[540]من أرشيف إضراب الكرامة. نادي الأسير الفلسطيني في 14 أيار 2017م.

[541]أحمد عزم. مصدر سبق ذكره. ص 8

[542]خليل شاهين. بعد إضراب الأسرى.حراك سياسي وصراع داخلي. مجلة الدراسات الفلسطينية (111). 2017م. ص 202.

المحامين من زيارته، وهذا ما جرى مع الأسرى المضربين كافة؛ فقد مثَّلت سياسة عزل الأسير المضرب، واحدة من أبرز أدوات إدارة السجون الصهيونية، التي لا تحاول عزل جسد الأسير المقاوم بضعفه، بل تريد عزل الفكرة ومصدرها؛ لذلك كانت قيادة الإضراب هدفاً أولياً لضربه، وفعلياً، فإنَّ المفاوضات لم تتوقف حتى في ذروة المعركة، غير أنَّ الأهم، مع من تجري المفاوضات؟

ففي 20 أيار/ مايو 2017م، أكدت اللجنة الإعلامية للإضراب، أنَّ "قيادة الإضراب تمسك بقوّة بمسار الإضراب والمفاوضات"، و"أن حيثيات إخراج المشهد النهائي لهذه المعركة تبقى رهن قرار قيادة الإضراب"،[543] وهكذا، فإنَّ المشهد النهائي، في واقع الأمر، قد خرج عن مسار قيادة الإضراب، بل سلك مساراً شكَّلته الحرب الكبيرة، التي قادتها إدارة السجون الصهيونية، وممثلو أسرى فتح في السجون، والأقسى من ذلك، هو دفع الأسير كريم يونس إلى أن يكون جزء من هذه المفاوضات؛ ليعود سجن (عسقلان) مجدداً إلى عناوين الإضرابات؛ بما شكَّله تاريخياً من دور في أغلبها، لا فرق إن كان هذا الدور محط إجماع أو محط خلاف، وبذلك، يشهد هذا السجن مجدداً، انتهاء معركة جديدة، هي إضراب الكرامة 2017م، فكيف انتهى؟ وهل انتهى؟

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه في 27 أيار/ مايو، وفي اليوم الـ(40) على الإضراب، نقلت إدارة السجون الصهيونية، عدداً من ممثلي أسرى حركة فتح، إلى سجن (عسقلان)، بالإضافة إلى الأسيرين مروان البرغوثي، وكريم يونس، وأبقت على الأسير البرغوثي بمعزل عن المفاوضات المباشرة، وتحاورت مع البقية بصورة مباشرة، واستمرت المفاوضات حتى فجر اليوم التالي، ولعلَّ تلك التفاصيل التي دارت في تلك الساعات، لا تزال حبيسة حتى اليوم، يحتفظ بها الأسرى المشاركون فيها، ولم تخرج منها، ولو رواية واحدة، بل صنعت عشرات الروايات عن تلك الساعات، والأقسى من ذلك أن جنود المعركة، حملوا سؤال النهاية حتى اليوم.

[543] بيان صادر عن اللجنة الإعلامية للإضراب في 20 أيار 2017م.

"من لحظة ما عرفت أن في اجتماع في (عسقلان)، بين ممثلين الأسرى والإدارة، عرفت أنه الهدف من الاجتماع هو الضغط على مروان، خاصة أنه الإدارة رفضت تجلس مع أبو القسام، وكان واضح أنه الممثلين لعبوا لعبة، وصاروا يعطوا معلومات للضغط عليه، وإحنا ما عرفنا كيف انتهى الإضراب، إلا بعد أسبوع أو أسبوعين، وصابني ضغط نفسي كبير، واكتشفت حجم التضليل الكبير إللي صار من الممثلين." [544]

و عادت لغة الغضب مجددا؛ لتسيطر على الحكاية، ودفعت بها نهاية إضراب الكرامة عام 2017م، إلى الواجهة؛ لتشكِّل امتداداً لحكاية جيل بأكمله، ليتحول هذا الغضب إلى محرك التاريخ ووقوده، فمعركة إضراب الكرامة عام 2017م، شكَّلت لهم الفرصة الأولى لاستعادة مواجهة، ظلَّت في وعيهم الأول في انتفاضة الحجارة، وظلَّ مسار الغضب الذي حملته حكاياتهم وقود المعركة وقراراها، وفرصتهم الجديدة، إلا أنَّ ما أبقته رواية (جيل انتفاضة الأقصى) بغضبها: هو التساؤل عن المصير، مصير الغضب وجيله، يقول الأسير (ر.ق): *"أنا بالنسبة إلي بطل في قيادات، والإضراب ترك ضعف من هون لعشر سنين، تيجي تحكي لأسير بدنا نضرب، ما حدا راح يضرب"*، *"وإلى جانب الغضب شقت رواية أخرى المشهد بما فيها من أمل لاستعادة ما تبقى، أو لتنبه على معنى الوجود."* [545]

"الشجاعة مش بس بالهجوم، مرات الشجاعة بالانسحاب، أو بأخذ القرار المناسب في الوقت المناسب، والوضع بدون إضراب ما كان أحسن، الإضراب أكد أنه إحنا لسه موجودين"،[546] وهكذا، فإنَّ بعضاً من الرواية قد منح أبعاداً أخرى لقراءة مشهد مسار المعركة والنهاية، غير أنها لم تنفجر في لحظة المواجهة في إضراب عام 2017م، بل كانت محاولة للتأكيد على الوجود بطرق وأشكال مختلفة وممتدة، وفعلياً لم تتوقف، حتى في قرار الانسحاب من المعركة، التي مثلت لبعضهم نهاية الإضراب أو معنى النهاية، وعدَّ بعضهم الإنجاز الأكبر لهذه المعركة، بما فيها من ثقل

[544] مقابلة مع (ر.ق) مصدر سبق ذكره.

[545] مقابلة مع (ر.ق). مصدر سبق ذكره.

[546] مقابلة مع (ض.أ). مصدر سبق ذكره.

كبير من التضحيات، وشواهد البطولة لـ(جيل انتفاضة الأقصى)، يكمن في أنَّ أغلب من قرر الإضراب، وشرع فعلياً فيه بصورة جماعية، قد استمر في المعركة حتى اليوم الأخير من الإضراب؛ لينهيه جماعياً، وهذه أبعاد لا تقرأ بالإنجاز المعدود بالمطالب، وعودة إلى ما أشار إليه أبو علي شاهين، الذي قدم قراءة خاصة بنتائج معركة الإضراب عن الطعام؛ فأبعاد النتيجة تتعدى لحظة انتهاء المعركة، فهي معركة الوجود أولاً، ثم التفاصيل التي خاض لأجلها الأسرى إضرابهم؛ لتحقيق معنى الوجود، وتأكيده، واستمراره، وهذا ما يثبت خلاصة المعنى الفلسطيني للسيادة وتقرير المصير، ببقاء الممارسة والمحاولة.

وبذلك، فقد كثفت هذه المعركة أبعاد محاولة السيادة وتقرير المصير والاستمرارية في هذه التجربة، وممارستها، ومع كل ما حملته من أبعاد أخرى، تمثلت في محاولة وضع التساؤلات الكبيرة على واقع (القرار والعلاقاتية)، التي شكلتها بنية السجن، والامتدادات التي ساقها السياسيون في (الخارج)، ومع ذلك، فإنَّ بقاء التساؤلات يعني بقاء المحاولة والاستمرارية، وفيما يتصل بهما، ستعرض الدارسة هنا، رسالة لقيادة من قيادات الجبهة الشعبية، قررت عدم المشاركة في الإضراب، وأعلنت مساندتها له، والتزامها بقيادته، وانضم بعض قياداتها لاحقاً، في خطوة مساندة يقول فيها: "*هذا الإضراب أثبت للجميع عدة أمور ومسائل، وقد يطول شرحها، وإن كان أحدها يكفي أن الكثيرين راهنوا أن فتح لن تصمد في وجه هذا الإضراب، وصمدوا بمبدأ وقناعة ملفتة، أثبتوا للجميع أن هناك حجر أساسي يبنى عليه الكثير والكثير، كانت خطوة ناجحة، وأنا أقولها، وأنا خضت العديد من الإضرابات سابقا، وبرأيي الشخصي أن هذه الخطوة نجحت بمجرد أن بدأت، ولعل هذه الخطوة كشفت الكثير والكثير، ولعلها تكون نقطة البداية؛ لإعادة اللحمة بين أبناء الفصيل الواحد من ناحية، وبين جميع أبناء الفصائل من ناحية ثانية*".[547]

[547]نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 18 حزيران 2017م.

الخلاصة

شكل إضراب عام 2017م، خلاصة المصير الراهن والمحتمل لتجارب الإضراب عن الطعام، بما فيها من إفرازات قاسية نضجت على نحو واضح، وبخاصة فيما يتصل بجملة الصراعات والتناقضات، التي عكستها (العلاقاتية) في منظومة السجن، وأبرزها علاقة مجموعة من يطلق عليهم (ممثلو الأسرى)، أو ما يسميهم الأسرى (بالكابو)، وبخاصة من حركة فتح، الذين أسهموا بصورة أساسية، في النتيجة التي وصل إليها الأسرى، بذريعة (الحفاظ على الوضع القائم)، فقد عرّى الإضراب مرحلة متقدمة من حالة التشظي، التي وصل إليها القرار الجمعي، وبخاصة (الفتحاوي)، وما فرضه من أبعاد على مصير المواجهة، فإن كانت إدارة سجون الاستعمار الصهيوني، قد عملت وتعمل على كسر أية محاولة لمواجهة جديدة، عبر بنيتها العنيفة، فقد باتت مجموعة من الأسرى المنتفعين، جزءاً من أدواتها الأساسية في كسر المواجهة، وقد بدا هذا الأمر جليّاً في هذا الإضراب، أكثر من أي إضراب سابق؛ بما كشفه من تراكمية تاريخية واضحة لمسار المواجهة، ولا يمكن إبعاد هذا الإفراز عن مسار المواجهة في السجن (الكبير) ومصيرها، وما آلت إليه من محاولات متشابهة في دحرها والقضاء عليها، بل ومواجهتها، وما قابلها من محاولات مستمرة لاستعاداتها.

وقد كشفت الرسائل المتعددة، التي وُجهت في الإضراب، عن خيانة أحاطت به، *"أما للمتخاذلين والمتآمرين والذين يبدلون مواقفهم، مثلما يبدلون نعالهم، بل نعالهم أفضل منهم؛ لأن النعال تصمد وتبقى أكثر وأطول فترة زمنية ممكنة، رغم الضغوط التي تمارس عليها، وأما الباحثين عن المصالح الضيقة، التي يوعدهم به عدو هذه الحركة الأسيرة متمثلة بالمدعو بينون، فلن ولم أقبل أن يكون لأي منهم دور في هذه المعركة القادمة علينا، والتي ما زالت مستمرة، وبالتحديد، أشجب، وأدين اللقاءات التي تحصل بالنقب، بين جميع من يحضرها تحت قيادة بينون، وأنني أؤكد أن المعركة التي خضناها، ولا زلنا نخوضها هي الطريقة الوحيدة، التي من شأنها أن تلملم شتات فتحنا، وتقوي واقعنا*

الاعتقالي، ولا مجال أن يكون عدونا الذي قاتلناه ببنادقنا وخناجرنا، هو الذي يشرف على ترتيب وضعنا التنظيمي الداخلي،[548]"

والأمر اللافت للانتباه، أنَّ الأمر قد وصل ببعض الرسائل، إلى وصف من وقف ضد الإضراب بالخيانة: "*هم ليسوا إلا متدربين ومتمرسين في الخيانة،*"[549] وعلى الرغم من كل ما واجهه الإضراب من تحديات وخيانة، كانت بمثابة خلاصة تاريخية، إلا أنه لا يزال مستمراً، ولم ينته؛ لجملة من التركيبات (العلاقاتية)، كما ذكرت الدارسة سابقاً، فالمعنى الأساسي، الذي تركته هذه التجربة، يتمثل في أهمية المحاولة والممارسة، وبقاء المواجهة؛ بوصفها معنىً أخر لوجود الأسير وسيادته وتقرير مصيره، ولولا هذه المحاولة لما كُشِف عن حجم التحولات، التي أصابت فعلياً المصير الفلسطيني بمعناه الخاص، الذي تحاول الدارسة الوصول إليه، عبر هذه الدراسة، وبذلك، فإنَّ الاستمرارية بالمواجهة والسعي إليها واستعادتها، هي ما تشكِّل أساساً لمعنى السيادة وتقرير المصير الفلسطيني.

[548] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (نفحة) في 13 تموز 2017م.

[549] نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (نفحة) مصدر سبق ذكره.

قائمة المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية

الأرشيف

بيان صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 3 أيلول 2004م.

نادي الأسير الفلسطيني تقرير زيارة سجن (نفحة) في 22 أيلول 2004م.

نادي الأسير الفلسطيني تقرير زيارة سجن (عسقلان) في 21 أيلول 2004م.

نادي الأسير الفلسطيني تقرير زيارة سجن (جلبوع) في 22 أيلول 2004م.

نادي الأسير الفلسطيني تقرير سجن (بئر السبع إيشل) في 25 أيلول 2004م.

تقرير زيارة لمحامي نادي الأسير لسجن (بئر السبع إيشل) في 21 أيلول 2004م.

أرشيف جريدة الحياة. مقابلة مع الأسير عثمان مصلح، الذي واصل إضرابه عن الطعام حتى بعد إعلان اسمه من ضمن من سيتم إطلاق سراحهم، نشرت المقابلة قبل تحرره بأيام في 15 أكتوبر/ تشرين الأول عام 2011م، ص1.

أرشيف جريدة الحياة الجديدة. العدد الصادر في 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2011م، تصريح لزوجة القيادي في حماس إبراهيم حامد، ومقابلة أخرى مع زوجة الأسير أحمد سعدات في العدد الصادر لجريدة الحياة الجديدة في 13 تشرين الأول/ أكتوبر 2011م.

أرشيف إضراب خضر عدنان. نادي الأسير الفلسطيني. 2012م.

بيان صادر عن الأسير عبد الله البرغوثي نشره نادي الأسير في 18 نيسان/ أبريل عام 2012م.

مجموعة من تقارير زيارة لأسرى حركة حماس. أرشيف نادي الأسير. 2011م، و2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن عسقلان في 3 نيسان/ أبريل 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (إيشل) 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (عسقلان) في 16 نيسان/ أبريل 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (عسقلان) في 22 نيسان/ أبريل 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة لسجن (هداريم) في 24 نيسان / أبريل 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (إيشل) في 20 أيار/ مايو 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 14 أيار/ مايو 2012م.

نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن للأسير محمد عرمان. 2012م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون). في 20 أيار/ مايو 2012م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 23 أيار/ مايو 2012م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 30 أيار/ مايو 2012م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 11 أيار/ مايو 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 11 أيار/ مايو 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 10 نيسان/ أبريل 2014م.
بيان صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 22 كانون الثاني/ يناير 2014م.
بيان صادر عن نادي الأسير الفلسطيني في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2013م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة لسجن (عوفر) في 29 نيسان/ أبريل 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير توثيقي صدر في 25 نيسان/ أبريل 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة الأسرى الإداريين في مستشفى (برزلاي). في 22 حزيران/ يونيو 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. بيان صادر عن الأسرى الإداريين المضربين في 7 تموز/ يوليو 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. التقرير السنوي لعام 2014م حول واقع الأسرى في سجون الاحتلال.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (نفحة) – نادي الأسير الفلسطيني أرشيف عام 2014م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 9 من نيسان 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (هداريم) في 16 نيسان 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 23 نيسان 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (جلبوع) في 18 حزيران 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (مجدو) في 18 نيسان 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. عدة مراسلات تمت خلال الفترة الواقعة من بداية شهر نيسان 2017م – حزيران 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة لأسرى سجن (نفحة) في 27 نيسان 2017م.
مجموعة بيانات نشرتها اللجنة الإعلامية لإضراب الكرامة خلال فترة الإضراب. عام 2017م.

نادي الأسير الفلسطيني. زيارة للأسرى المضربين. في 11 أيار 2017م.
بيان صادر عن اللجنة الإعلامية للإضراب في 20 أيار 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (ريمون) في 18 حزيران 2017م.
نادي الأسير الفلسطيني. تقرير زيارة سجن (نفحة) في 13 تموز 2017م.

أرشيف الصحف

أرشيف جريدة الأيام. إعلان مطالب الأسرى. 13 آب 2004م. ص 8.
أرشيف جريدة القدس. نداء من مروان البرغوثي نشر في 18 آب 2004م. ص 30.
أرشيف جريدة الحياة. المنشور في 28 آب 2004م. ص 1.
أرشيف جريدة القدس. المنشور في 30 آب 2004م. ص 1
أرشيف جريدة القدس، المنشور في 1 أيلول 2004م. ص 1.
أرشيف جريدة الحياة، المنشور في 2 أيلول 2004م. ص 1
أرشيف جريدة الحياة، المنشور في 2 أيلول 2004م. ص 1
أرشيف جريدة القدس. المنشور في 3 أيلول 2004م. ص 1

كتب باللغة العربية

أحمد سعدات. **صدى القيد**. بيروت: دار الفارابي. 2017م.
أحمد قطامش. **في التنظيم الثوري السري. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل أنموذجاً**. حزيران 1967م- أوسلو 1993م. 2011م.
أحمد قطامش. **لن ألبس طربوشكم**. صفحات من تجربتي في أقبية التحقيق. رام الله. مركز منيف البرغوثي الثقافي. لم يثق سنة النشر.

إدوارد سعيد. **أوسلو 2 "سلام بلا أرض"** بيروت: دار المستقبل العربي.1995م.

ادوارد سعيد. **تغطية الإسلام**. **القاهرة**: رؤية للنشر والتوزيع. 2005م.

أسعد غانم. **نحو مشروع وطني جديد الفلسطينيون وحق تقرير المصير**. رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية– مسارات. 2016م.

إميل توما. **جذور القضية الفلسطينية**. الناصرة: المكتبة الشعبية. 1972م.

إياد الرياحي. **الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة 1988م– 2004م دراسة مقارنة**. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. 2007م.

بركان أيلول خلف قضبان القهر. فلسطين: نادي الأسير الفلسطيني. 1992م.

بهجت أبو غربية. **مذكرات المناضل بهجت أبو غربية**. 1916م-1949م. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1993م.

توميثي ميتشل. **استعمار مصر**. ترجمة بشير السباعي. حسان أحمد. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر . 2013م.

تيسير نصر الله. **انتفاضة الجوع، الإضراب المفتوح عن الطعام في عام (1987)م**. مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. جامعة القدس. 2016م.

جبريل رجوب. **الزنزانة رقم 704 تجربة أسرى الثورة الفلسطينية بين نفحة وجنيد**. وكالة أبو عرفة للنشر. لم يوثق سنة النشر.

جميل هلال. **اليسار الفلسطيني إلى أين؟، اليسار الفلسطيني يحاور نفسه ويتأمل مصيره**، رام الله: مؤسسة روزا لوكسمبروغ. 2009م.

جيري سمبسن. **النظام العالمي الجديد– حالات تقرير المصير في عصر ما بعد الاستعمار**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م.

الحسن ابن طلال.**حق الفلسطينيين في تقرير المصير دراسة للضفة وقطاع غزة**. لندن: مطبوعات كورونيت. 1981م.

حلمي عنقاوي. **المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان**. رام الله: مطبعة الغد. 1995م.

حنا نقارة. **مذكرات محام فلسطيني حنا ديب نقارة محامي الأرض والشعب**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1985م.

راسم عبيدات. **من ذاكرة الأسر**. القدس: مطبعة الرسالة المقدسية. 2008م.

رأفت حمدونة. **الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية في الفترة ما بين 1985م– 2015م**. رام الله: سلسلة إصدارات وزارة الإعلام. 2018م.

رائف زريق. **القضية الفلسطينية وحل الدولة/ الدولتين**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2014م.

روبرت يانغ. **أساطير بيضاء. كتابة التاريخ والغرب**. ترجمة أحمد محمود. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 2003م.

سامر إرشيد. **حركة "فتح" والسلطة الفلسطينية. تداعيات أوسلو والانتفاضة الثانية**. رام الله: مواطن. المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. 2007م.

صالح مصباح. **فلسفة الحداثة الليبرالية الكلاسيكية من هوبز إلى كانط**. بيروت: جداول للنشر والتوزيع. 2011م.

طارق أبو شلوف. **في رحاب الجوع المقدس**. فلسطين: مؤسسة مهجة القدس. 2013م.

طلال أسد.**تشكلات العلمانية في المسيحية والإسلام والحداثة**. بيروت. جسور للترجمة والنشر. 2016م.

عادل مناع. **نكبة وبقاء وحكاية فلسطينيين ظلوا في حيفا والجليل (1948م– 1956م)**. فلسطين: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2016 م.

عائشة عودة. **ثمنا للشمس**. مؤسسة (مواطن) المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. رام الله: فلسطين. 2016م.

عبد الستار قاسم. **مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية**. بيروت: منشورات دار الأمة. 1986م.

عبد الفتاح إمام. **أصول فلسفة الحق (المجلد الأول)**. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر. 1983م.

عدنان حسين. **حق تقرير المصير القضية الأرمنية نموذجاً**، لبنان: مركز الدراسات الأرمنية. 1998م.

عربي بدوي. **المعتقلات الاستعمارية البريطانية في مذكرات الشيخ عربي بدوي (أحد ثوار 1936م) نضالات وآلام وراء القضبان**. فلسطين: إصدار هيئة شؤون الأسرى والمحررين. 2019م.

عصمت منصور. **سجن السجن**. فلسطين: وزارة الثقافة الفلسطينية. أدب السجون. 2011م.

علي جرادات. **لست وحدك. ذاكرة حرية تتدفق**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2019م.

علي شواهنة. **معركة العهد والوفاء إضراب الكرامة 2012م**. فلسطين: مؤسسة مهجة القدس. 2013م.

فرانز فانون. **معذبو الأرض**. بيروت: دار القلم. 1972م.

فليتسيا لانغر. **أولئك إخواني**. منشورات صلاح الدين. القدس. 1976م.

فليتسيا لانغر. **بأم عيني. القدس**: منشورات صلاح الدين. 1975م.

قدورة فارس وآخرون. **هموم الحركة الأسيرة في ظل السلام**. رام الله: منشورات وزارة الإعلام. 1995م.

كامل خلة. **فلسطين والانتداب البريطاني. 1922م– 1939م**. طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. 1982م.

كوديل روبرت. **النظام العالمي الجديد– حقوق الإنسان وتقرير المصير**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م.

لين هانت. **نشأة حقوق الإنسان**. مصر: كلمات عربية للترجمة والنشر. 2013م.

لينين. **حق الأمم في تقرير مصيرها**. القاهرة: دار ابن الوليد. 1957م.

محسن ثابت. **نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال الإسرائيلي**. لم يثق تاريخ الإصدار.

محمد القيسي. **الهواء المقنع أبو علي شاهين، خمسة عشر عاماً في الاعتقال الصهيوني**. كتاب لوتس. لم يثق سنة النشر.

محمد شويكة. **وثيقة الأسرى. وثيقة الوفاق الوطني. الرواية الكاملة من داخل الأسر**. رام الله: الحملة الشعبية لإطلاق سراح القائد مروان البرغوثي وكافة الأسرى. 2009م.

مذكرات المحامية **فيليتسيا لانغر**. الغضب والأمل – مسيرة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1993م.

مذكرات انجيلا ديفيس. القدس. دار الكتاب. 1977م.

مروان البرغوثي وآخرون. **مقاومة الاعتقال**.فلسطين: شركة مؤسسة الأيام. 2010م.

مروان البرغوثي. **ألف يوم في زنزانة العزل الإنفرادي**. لبنان: الدار العربية للعلوم – ناشرون. 2011م.

مصطفى كبها. **وديع عواودة**. أسرى بلا حراب. 1948م-1949م. فلسطين: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.2013م.

منير العكش. **دولة فلسطينية للهنود الحمر**. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. 2015م.

مورتمر سليزر. **النظام العالمي الجديد– حدود السيادة، حقوق الإنسان، تقرير مصاير الشعوب**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م.

ميشيل فوكو. **المراقبة والمعاقبة –ولادة السجن**. بيروت. مركز الإنماء القومي. 1990م.

ناجي علوش. **نحو ثورة فلسطينية جديدة**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر. 1972م.

ناصر دمج. **أنصار شاهد على عصر الجريمة**. فلسطين: مطبعة أبو غوش2005م.

نبيل علقم. **عهد الانتداب البريطاني في الذاكرة الشعبية الفلسطينية**. عكا: مؤسسة الأسوار. 2002م.

نرجس كانيفي. **النظام العالمي الجديد– سيادة دون قومية؟ تقييم نقدي لحقوق الأقلية متجاوزا نموذج الدولة القومية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2001م.

واصف عبوشي. **فلسطين قبل الضياع. قراءة جديدة في المصادر البريطانية**. ترجمة علي الجرباوي. القاهرة: رياض الريس للكتب والنشر. 1985م.

وليد الفاهوم. **نباح العنصرية. الانتفاضة..محاكم ومعاناة**. لم يوثق سنة النشر .

وليد الهودلي. **ستائر العتمة**. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي. 2015م.

وليد الهودلي. **هكذا أصبح جاسوساً**. رام الله: مركز بيت المقدس للأدب. 2018م.

وليد دقة. **صهر الوعي. أو في إعادة تعريف التعذيب**. مركز الجزيرة للدراسات. قطر. الدوحة. 2010م.

وليد دقة. **يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002م**، رام الله: مواطن. المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية. 2004م.

يورغن أوسترهامل. **الاستعمار مراجعة نظرية عامة**. الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية. 1998م.

المجلات ورسائل الماجستير

أحمد فتحي القرش. مفهوم الحرية عند جون ستيروات ميل. **مجلة كلية الآداب**– جامعة نبها– مصر. ع19،ج1: 476-479. 2008م.

خليل شاهين. **بعد إضراب الأسرى.حراك سياسي وصراع داخلي**. مجلة الدراسات الفلسطينية (111). 2017م.

رلى أبو دحو. **الحركة الفلسطينية الأسيرة 1967م– 1992م النضال من أجل الهوية الوطنية**. فلسطين: جامعة بيرزيت. رسالة ماجستير. 2014م.

زياد موسى زياد. **تأثير حقبة أوسلو على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية 1993م– 2012م**. فلسطين: جامعة القدس، رسالة ماجستير. 2012م.

صلاح الدين الدباغ. حق الشعب الفلسطيني بأرضه والعودة إليها انطلاقاً من شرعة حقوق الإنسان وحقوق الشعب في تقرير مصيرها. فلسطين: **شؤون فلسطينية العدد**. 1975م. 42: 139- 151.

صلاح العاوور. أساسيات اختيار وتقويم الرواة في التاريخ الشفوي. **مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات**. العدد الأول. تشرين الأول 2002م.

عادل يحيى. التاريخ الشفوي.**مجلة آفاق فلسطينية**. جامعة بيرزيت. 1990م.

عارف العارف. النكبة "نكبة" بيت المقدس والفردوس المفقود. **مجلة الدراسات الفلسطينية**. رام الله. 2013م.

عدنان أبو شبيكة. لغة الرواية في التاريخ الشفوي الفلسطيني بين الفصحى والعامية. **مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات**. العدد 21. 2010م.

عيسى قراقع. **الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو (1993م– 1999م)**. رام الله: جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير. 2000م.

فراس جابر. **السجن "الإسرائيلي" كمفهوم زماني ومكاني – دراسة في المفهوم والأثر**. رام الله: جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير. 2010م.

محمد الهزاط. حق تقرير المصير في عالم متحول.**المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية**. ص 119–ص 131. 2016م.

منقذ أبو عطوان. **مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية (1967م– 2005م)**. رام الله: جامعة بيرزيت،رسالة ماجستير. 2007م.

نهاية أبو ريان. **التغيير في البناء الاجتماعي للأسرى السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية**. فلسطين: جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير. 2014م.

هاشم آل إبراهيم. **سيادة الدولة بين مفهومها التقليدي وظاهرة التداول**. جامعة الشرق الاوسط: رسالة ماجستير.ص 23. 2013م.

وليد حباس. الاستعمار الاستيطاني نحو إطار نظري جديد.**مجلة قضايا إسرائيلية**، العدد 66. مركز مدار. ص 115. 2017م.

المصادر الإلكترونية

أحمد عزم. إضراب الأسرى 2017م. القدرة على الفعل الشعبي والافتقاد للإطار التنظيمي. المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات. 2017م. https://bit.ly/2FA8Lj7

أرشيف جريدة الحياة. مقابلة مع الأسير عثمان مصلح الذي واصل إضرابه عن الطعام حتى بعد إعلان اسمه من ضمن من سيتم إطلاق سراحهم، نشرت المقابلة قبل تحرره بأيام في 15 أكتوبر/ تشرين الأول عام 2011م، ص1. مقطع مصور للأسير مؤيد الشيص لحظة وصوله إلى رام الله بعد تحرره، وهو ما يزال يخوض الإضراب الذي بدأه مع رفاقه في الأسر، https://www.youtube.com/watch?v=U6CJbvDeeXc

بلال كايد. من محاضرة الإضراب أيقونة النضال. مقال. موقع اتجاه. https://itijah.ps/?p=480

تقرير الانتهاكات لحقوق الأسرى والأسيرات لعام 2014. مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_2014_0.pdf

تقرير الانتهاكات لحقوق الأسرى والأسيرات لعام 2014م. مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. https://www.addameer.org/sites/default/files/publications/tqryr_lnthkt_2014_0.pdf

دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية. الفعل والفاعلية في الهبة الشعبية.

https://bit.ly/3lVSKno.2015

رزق وليد دقة وزوجته سناء في شهر شباط/ فبراير 2020م، طفلتهما "ميلاد" عبر النطف المحررة، وهذه رسالة وجهها دقة قبل أن ترى النور، رسالة الأسير وليد دقة لميلاد قبل أن ترى النور: أنظر في https://bit.ly/355J9mR

صقر أبو فخر. نكبة ذاكرة: بقايا مركز الأبحاث الفلسطيني في الصحراء الجزائرية. مقال. ضفة ثالثة. https://bit.ly/3k8zgLM

عبد الرحيم الشيخ.حكاية سر الزيت. المقولة الخامسة: حكايات السجن الصغير والسجن الكبير. 2018م.

https://bit.ly/2H8ztjz

عبد الناصر فروانة. الإضراب عن الطعام بين الفردية والجماعية.

https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2020/01/29/512286.html

علا المصياتي. الموت احتجاجًا من أجل الحياة.. أبرز حالات الإضراب عن الطعام في العالم.

https://bit.ly/3k0c6qJ

قانون التغذية القسرية تصريح بقتل المضربين عن الطعام. مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان.
https://bit.ly/3dFCF2c

مصطلح العلاج القسري، برز مع بدء الإضرابات الذاتية بعد عام 2012م، وبرزت بشكل أساس في إضراب عام 2014م، وكذلك في إضراب الأسير محمد علان عام 2015م. أنظر أيضاً: بيان صادر عن مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان: https://bit.ly/3j5niRN

مقابلة مصورة مع وداد البرغوثي. والدة الأسير قسام البرغوثي. ليلة الهدم 11 أيار/ مايو 2020م، https://bit.ly/3lQNRvG

هنا سليمان تروي قصة البحث عن الأرشيف الفلسطيني الضائع. مقابلة. بيروت. شبابيك.
https://bit.ly/2HfyEFh

هنا سليمان. تأملات في الغياب: الأرشيف الفلسطيني من حركة التحرر إلى دولة أوسلو.
https://bit.ly/344lYdB

وائل الجاغوب. واقع اليسار الفلسطيني وسُبل النهوضhttps://bit.ly/3k54rYn
وليد دقة. *حرر نفسك بنفسك*. مقال نشر في صحيفة الحدث في تاريخ 16 نيسان/ أبريل 2020م،
https://bit.ly/343s7qa

وليد دقة. رسالة الأسير وليد دقة في اليوم الأول من عامه العشرين في الأسر!. 2010م.
https://bit.ly/2SXpboO

وليد دقة. مقابلة خاصة أجراها موقع عرب 48 نشرت في تاريخ 22 نيسان 2016م. https://bit.ly/353SBY6

الياس خوري. الأسرى والقرار الوطني المستقل. جريدة القدس العربي. نشرت المقال في تاريخ الأول من أيار/ مايو 2017م. https://bit.ly/2GZiikG

المقابلات:

(أ.أ) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت المقابلة في جامعة بيرزيت. 2018م.

(إ.ش) أسيرة محررة جرت المقابلة معها في نادي الأسير الفلسطيني. فرع الخليل. 2019م.

(أ.ق) أسير محرر أعيد اعتقاله خلال البحث، المقابلة مكتوبة بناء على رغبة الأسير، تمت بعد مقابلات حوارية جرت معه في منزله عام 2018م و 2019م.

(أ.م) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

(ب.ص) أسير محرر من أسرى انتفاضة الحجارة. جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

(ب.ك) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت المقابلة معه في مكان عمله في نابلس. 2019م.

(ث.ح) أسير محرر. أعيد اعتقاله خلال البحث. جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. فرع الخليل. 2019م.

(ح.ة) أسير محرر من الأسرى القدامى فترة الستينيات. جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

(خ.ع) أسير محرر جرت المقابلة عبر الهاتف بناء على رغبة الأسير. 2019م.

(ر.أ) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2018م.

(ر.ق) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في نادي الأسير الفلسطيني 2020م.

(س.ب) أسير محرر من الأسرى الإداريين، جرت المقابلة معه في منزله في البيرة. 2018م.

(س.ع) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت المقابلة في مكتبة الفارابي في رام الله.2018م.

(س.ي) أسير محرر من الأسرى القدامى جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني 2018م.

(ض.أ) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت في نادي الأسير الفلسطيني. 2020م.

(ع.ب). جرت المقابلة في منزله في رام الله. عام 2018م.

(ع.ة) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت المقابلة في مقهى في رام الله. 2019م.

(ع.ت) أسير في سجون الاحتلال اعتقل خلال البحث. جرت المقابلة في جامعة بيرزيت. 2018م.

(ع.د) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) نفذ إضراب ذاتي عن الطعام. جرت المقابلة في مكان عمله في الخليل.2018م.

(ع.س). أسيرة محررة، جرت المقابلة في منزلها في رام الله. 2018م.

(ع.ع) أسيرة محررة. جرت المقابلة في مركز بيت المقدس في رام الله. 2018م.

(ع.م) أسير محرر من أسرى القدامى. جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2019م.

(ع.ي) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى) جرت المقابلة في منزله في الخليل. 2018م.

(ف.ب). جرت المقابلة في مكتب المحامية نسيم شاهين. رام الله. عام 2018م.

(ف.ع) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت المقابلة في منزله في مخيم الأمعري. 2018م.

(ل.خ) أسيرة محررة. جرت المقابلة في مقهى في رام الله. 2019م.

(م.ش) أسير محرر. من الأسرى القدامى. المقابلة مكتوبة بعد مقابلة حوارية سابقة، بناء على طلب الأسير. 2018م.

(م.ق) أسير محرر من الأسرى الإداريين الذين خاضوا إضرابات ذاتية. جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2019م.

(ن.ه) أسيرة محررة. جرت المقابلة في منزلها في الخليل. 2018م.

(و.ي) أسير محرر من أسرى تكرر اعتقاله على مدار عدة عقود حتى عام 2017م وشارك في الإضراب. جرت المقابلة في مركز بيت المقدس. رام الله. 2019م.

(ي.ح) أسير محرر من أسرى (جيل انتفاضة الأقصى). جرت المقابلة في نادي الأسير الفلسطيني. 2019م.

قائمة الكتب والمجلات باللغة الإنجليزية

Coulthard Glen. *Red skin. White Masks .London: University of Minnesota Press*.51-78. 2014.

EsmailNashif. 2008. *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community* . London: RoutledgeTaylor & Francis Group.

JeefCorntassel.Toward *Sustainable Self-Determination: Rethinking the Contemporary Indigenous-Rights Discourse*. 106-126. 2008.

Joanne Barker. *Sovereignty matters: Locations of contestation and possibility in indigenous struggles for self-determination* .Lincoln and London . University of Nebraska Press.2005.

Karuka Manu. *Black and Native Visions of Self-Determination. University of Minnesota Press.*2018.

Lena Meari. Sumud: *A Philosophy of Confronting Interrogation*. 2011.

Malak Shwaikh. *Dynamics of Prison Resistance Hunger Strikes by Palestinian Political Prisoners in Israeli Prisons*. 2018.

Patrick wolf. *Settler Colonialism and the Elimination of the native*: 402. 2006.

Rana Barakat. *"Writing/Righting Palestine Studies: Settler Colonialism, Indigenous Sovereignty and Resisting The Ghost (S) Of History"*. Settler Colonial Studies, 1-15. 2017.

Robert Warrior. *On intellectual sovereignty and the work of the public intellectual* .this interview took place on May 18, 2010.

SipmpsonAudura. *Mohawk Interrupts. Durham and London*: Duke University Press. 1-35. 2014.

Stefan Hoffmann.*Human Right In The Twentieth Century*. New York: Cambridge university press.2011.